



اختيارات

شفا بيٲ
وراڊية

بيسرا
مسعود

المقدمة

إن أكثر اختياراتنا حماقة في الغالب تكون أعظمها أهمية..

لا تذكر إيما أين قرأت هذه العبارة أو ربما سمعتها سابقاً على لسان الراهبة باتي ولكنها إلى الآن صادقة وإلى حد جنوني.. لقد اختارت البطاقة الأرجوانية الصارخة..

ماذا لو كانت اختارت البطاقة البيضاء البسيطة بدلا منها

والى أين كان ليقودها اختيارها وقتئذ؟!

ماذا لو عادت عقارب الساعة إلى الخلف !!

هل ستكون نهايتها واحدة؟

أم سيكون لها مصير آخر بانتظارها ؟

سؤال جاهدت إيما كثيرا لتعرف أجابته

ماذا لو...؟

الفصل الأول

ساعات أقوم الصبح قلبي حزين
أطل بره الباب ياخذني الحنين
الى لقيته ضاع
والى اشتريته انباع
والى قابلته راح وفات الأنين

توقف المسجل فجاء عن الصدح بأحب
الأغاني إليها بصوت مطربتها المفضلة
فاستدارات عابسة تاركه مشهد الأشجار
المتعانقه أسفل نافذتها
خطت الراهبة باتى خطوات سريعة
باتجاه النافذة وأغلقتها بقليل من الجهد فى
وجه الرياح المتناحره وقالت بصوتها الهادىء
الرخيم بلوم :
- لم تجهز بعد إيما؟

نظرت الراهبة إلى إيما بعين ناقدة من أعلى
رأسها حتى أسفل قدميها

تفحصت فيها عقدة شعرها الدائرية خلف
عنقها والمحكمة بشدة على خصلات بنيت
اللون إلى وجهها الخالي من مساحيق التجميل
وبلورتها المحتشمة بلونها الأبيض الناصع
والتي أحكمت غلق أزرتها حتى أعلى الياقة
وصولاً لحدائنها الأسود البسيط المسطح
وظهرت علامات خيبة الأمل جلية على
وجهها ...

سارت إيما بكفيها على تنورتها الكحلية و
التي تصل إلى بعد ركبتها بقليل
وقالت بابتسامة جاهدت لتجعلها مرحة: بلى ..
..أنا جاهزة....

عبست الراهبة وقالت :

- عزيزتي هذا آخر يوم لك بالمدسة،
جميع زميلاتك خلعن الزي الرسمي وارتدين
فساتين ملونة احتفالاً بيوم التخرج...

هزت إيما رأسها وقالت :

- لا تقلقي سأصل بك للإطمئنان عليك
في تمام السابعة صباحا يومي الاثنين
والجمعة

أمسكت الراهبة بكف إيما وأعطتها قلادة
فضية معلق بها قلب صغير مجوف وقالت :
ضعيها في عنقك ولا تخليها أبدا رجاءا
... لم أضع بها صليبا ..

ثم تنهدت الراهبة وقالت بمرح :

- كنت أود شراء واحدة ذهبية ولكن نقودي
لم تكن تكفي

هزت إيما رأسها بوقار امرأة في الخمسين من
عمرها وليس كفتاة في مقتبل ربيعها الثالث
وقالت :

- أنا أشعر بالراحة في تلك الملابس...

تنهدت الراهبة وهزت رأسها فهي تعلم جيدا
صلابة رأس تلك الفتاة وسارت إلى حيث
معطف التخرج وساعدتها بارتدائه وعندما
انتهت قابلتها بابتسامة ودودة قائلة :

- تعلمين جيدا أنه بإمكانك الإتصال بي
في أي وقت عدا طبعا أوقات الخلوة والصلاة

صمتت الراهبة لبرهة لتتأمل وقع كلماتها
على إيما التي قالت بياس أدمى قلبها الفتى:

-وماذا لو كنا لا نملك الخيار؟

فردت الراهبة على الفور بخشوع هامس
مؤكدة:

- عندها نخضع لإرادة الرب عزيزتي

هزت إيما رأسها ورفعت أنظارها إلى الراهبة
وقالت :

-أشكرك على هديتك الغالية

طردت إيما الدموع بعيدا وابتسمت بإمتنان
بالغ وقالت بصوت منخفض :

-ولكن لم القلب أجوف؟

أمسكت الراهبة بكلتا قبضتيها ونظرت في
أعين إيما البندقيّة وقالت :

-لأنه بالفعل أجوف، إلا إذا ملئته بحب الرب

والناس والخير.. وتذكري إيما.. الحياة ما هي

إلا سلسلة اختيارات.. فأحسني دوما إلى

نفسك باختيار الأفضل لك ولمن حولك

-لا تقلقي عليّ .. لم أعد أعول على قدمه
بالكثير من الآمال.. لقد كبرت ولم أعد
تلك الطفلة الحمقاء

شعور حارق بالألم اخترق صدر الراهبة
الطيب لدى انصرافها من غرفة إيما ، فالفتاة
الصغيرة التي عهد إليها براعيتها منذ خمسة
عشر أعواما قد كبرت وأصبحت تفهم أن
جحود والدها لا نهاية له .. وأنها قد يئست من
طلب حنانه..

لا تعلم الراهبة باتى أي نوع من الآباء هذا
الذي يلقي بطفلة صغيرة بعمر الثلاث سنوات

ابتسمت لها الراهبة وقالت بهدوء :

سأتركك لتودعين غرفتك وانتظرك
بالقاعة ولكن لا تتأخري سيبدأ الاحتفال
في غضون نصف ساعة.. لا أعلم لم تأخر
السيد مراد حتى الآن ولكنى واثقة أنه من
المحال أن يفوت على نفسه رؤية تخرج ابنته
الكبرى....

هزت إيما رأسها وطمأنت الراهبة باتى:

والطفل ضحكه يرن
مع ان مش كل البشر فرحانين

إبتسامته ساخرة علت معالم وجه إيما فكما
يبدا وأن كلمات جاهين تملك ينبوعاً من
الأمل لا ينضب، وضعت إيما القلادة حول
عنقها وتأملت نفسها بالمرآة لبرهته ثم أغلقت
المسجل وحملته ووضعته في حقيبتها
الكحلية اللون ونظرت إلى حجرتها الصغيرة
نظرة جوفاء .. لا تعلم سر البرودة التي سرت
في أطرافها .. هل لأن وجودها أصبح غير
مرحب به في المكان الذي ترعرعت به بعد

في مدرسة داخلية بدير للراهبات ولا
يكلف نفسه إلا زيارة يتيمة من العام للآخر
بل وأحياناً يضمن بها عليها إذ تحضر زوجته
بالتنباة عنه لدفع المصاريف والإنصراف
حتى دون إلقاء نظرة واحدة علي الفتاة
المسكينة

سارت إيما نحو النافذة مرة أخرى وقبل أن
تصل إليها أعادت تشغيل المسجل مره أخرى
وأخذت تندندن:

وارجع واقول
لسه الطيور بتضن
والنحلالات بتطنن

وثالثة.. كم رجته إيما مرار ليصطحبها
للعيش معه ومع أخواتها الصغار ولكنه

كان يرفض بقسوة معللاً إنشغاله بالأعمال
..ولكن لم ينشغل عنها هي فقط ويجد
الوقت الكافي لأسرته الصغيرة؟
ما الذي يميز أختيها عنها ليجترها هنا
وحيدة؟؟؟

سؤال أجهدت إيما نفسها به ولم تصرح به
علناً إلا أمام الراهبة باتى في إحدى الليالي
المظلمة.

بلوغها الثامنة عشر من عمرها، هل تستشعر
الجدان روحها المكسورة؟

كانت زميلاتهما يتقن إلى يوم التخرج بضارغ
الصبر والكثير من الأمنيات والآمال.. إلا
هي، إلى أين ستذهب.. وأين ستعيش...

تنامى شعور إيما بالنفي بقوه داخلها منذ

..من تركها والدها هنا بعد وفاة والدتها ثم
زواجه من أخرى في غضون أشهر قليلة.. وبعد
مرور سنوات كانت قد أنجبت له طفلة ثانية

جلست إيما على الدرج خارج الكنيسة وانتظرتة طويلا ساعة بعد الأخرى حتى حل الليل وإيما ترفض الدخول إلى المهجع للنوم رافضة فكرة أن يكون هجرها أبيها ونساها في هذا اليوم المميز لها.

رافضة فكرة انه قد اغتال أحد أهم أمانيتها في الحياة

أن ترى العالم خارج الدير وأن تنعم بصحبة أبيها وأسرته وأن تتعرف إلى أختيها اللواتي يصغرنها. تصورتهم إيما بعقل فتاة في السادسة من عمرها أن شعورهم ذهبية وملابسهم ذهبية بل وأن عيونهم ذهبية لهذا

كان قد وعدها أبيها أنه سيصطحبها لقضاء العطلة الصيفية برفقته لأحد الأعوام الماضية حينها كانت تبلغ السادسة من عمرها وانتظرتة إيما طويلاً يومها بل وأبلغت جميع الفتيات حين كن يستعددن للذهاب برفقة آبائهن في العطلة الصيفية أنها هي الأخرى ستفادر المدرسة لأول مره ولن يشركها أبيها بالمعسكر الصيفي الذي تقيمه المدرسة تحت إشراف الراهبات لهؤلاء الفتيات التي تعذر على أهاليهن القدوم ككل عام ..

تنهدت الراهبة باتى واحتضنت كتفها وقالت
:سأبحث لك غدا عن كوكو ذهبية ولكن
لليوم ليس لدينا بالمطبخ إلا كوكو بنية
.ما رأيك أن نتناولها مع البسكويت المحلى
الذي تفضليه؟

هزت الصغيرة رأسها وسارت صامتة إلى جوار
الراهبة باتى حتى أوصلتها إلى حجرتها ونامت
دون تناول شراب" الكوكو " وعندما
استيقظت في اليوم التالي لم تبكي ولم
تتكلم وظلت صامتة طوال فترة الصيف فقد

يحبهم أبيها أكثر منها وهى الفتاة النحيلة
البنية الرأس والعين

وحين انتصف الليل نطقت الراهبه باتى
أخيرا وقالت لها :

-عزيزتي لقد أنتصف الليل ويبدو أن والدك
لن يحضر .ما رأيك ببعض الكوكو
الساخن؟

هزت ايما رأسها بخضوع وتسابقت دموعها
بغزارة على وجهها الطفولي وقالت :

-أريد كوكو ذهبية!!

عندها تغضن جبين والدها وقست عيناه
وقال لها بصوت جاف:

لا ، أنت لا تشبهين أياً من أفراد العائلة.

وانصرف بعد قوله سريعاً لكانما كان يهرب
من أمرا ما ، من ذكرى ربما!!

لم تعثر أيما على أبيها في هذا الحشد الهائل
وكما خمنت لقد نسيها أبيها في هذا اليوم
"المميز" ، وكان هذا هو المعتاد منه.

يوم مميز آخر يمر دونه

وستجلس على درج الكنيسة لتنتظره كما
اعتادت فقد وبخها مرة لدى انتظارها له

علمت حينها أن أباه قد نساها فلدیه الآن
طفلتين ذهبتين يحبهما ولا يحبها

.....

خرجت إيما من غرفتها وترجلت الدرج
القديم المهجع ومنه إلى الباحة الخارجية
بحثت في وجوه الحضور عن وجه أبيها الذي
تجاهد دوماً لتذكر نفسها به، فهي

لا تشبهه ولا حتى تشبه والدتها الراحلة
، تذكرت إيما أنها في إحدى الزيارات قد

سألت أبيها عن سر هذا الأمر فهي كانت تتوق
لتعرف هل كانت تشبه جدتها مثلاً ، أو أحد

قطرب

دينها وكيفية أداء الصلوات وشرحت لها الكثير من الأمور الخاصة بعلاقتها بربها كفتاه مسلمة، لم تكن تختلف تعاليم الإسلام كثيرا عن المسيحية السمحة كما علمتها الراهبة باتى أن عليها عدم الكذب والغش وأن الله يراها وأن هناك ثواب وعقاب وجنة للأبرار.

صعدت إيما برفقة زميلاتهما إلى المنصة وتلقت من الراهبة الأمر شهادة تخرجها بدرجة الإمتياز وقبلتها الراهبة باتى على جبهتها وقالت لها :
- بالتوفيق إيما

بداخل الكنيسة، أنها فتاه مسلمة ولا يصح لها أن تصلى بداخل الكنيسة وعليها قضاء الصلوات في حجرتها .

وقتها لم يدرك عقلها ذو الثمانية أعوام، ما الفارق؟؟!!

وإن كانت مسلمة كما يدعى فلم يتركها للعيش هنا طوال الأعوام الكثيرة الماضية وعن أي صلاه يتحدث؟

بالطبع لم تجد إجابة شافية لها من أبيها وعضواً عنه أخبرتها الراهبة باتى أن ديانتها هي الإسلام، وأحضرت لها كتباً مبسطة عن

تغضن جبين إيما وقالت :

-لم تنادين بهذا الاسم؟!

قالت الراهبه باتى بهدوء :

-هذا ما سوف يدعونك به الناس خلف هذا
السور إيمان مراد .عليك أن تعتاد وقوعه على
أذنيك عزيزتي

هزت ايما رأسها بعند :

ولكني لا أحب أن يدعوني أحدهم بهذا
الاسم ..اسمى إيما ..وأتمنى أن لا تدعوني
بغيره من فضلك

أخذت الراهبه باتى نفسا عميقا وقالت :

-كما تشائين يا إيما

.....

الفصل الثاني

مرت فترة الظهير الصاخبة وأخيراً استطاعت إيما الانفراد بنفسها في حجرتها وحيدة كانت تدعى أمام الجميع أن الوحدة أمر جيد وأنها لا تمل البقاء بمفردها قط فهذا يمنحها وقتاً للتأمل

ولكن الآن قلبها يأن ويصرخ "كلا ليست الوحدة بالأمر الجيد قط" وكم من الزمن عليها بالبقاء وحيدة لا أب ولا أم ولا أسرة

-حتى في هذا اليوم المميز

نظقتها إيما هامسة

ولأول مرة منذ أشهر عدة سمحت لدموعها بالإنهيار وبصمت تام فلن تراها إحدى الفتيات وحتى لو تعالى نشيجها فلن يلتقطه أذان سوى أذنيها فجميعهن قد غادرن المهجع مع أهاليهن وحتى من يصغرنها بسنوات دراسية غادرن قبل أيام عدة إلى العطلة الصيفية

انخرطت إيما في بكاء صامت حتى قطع صوت طرقات مضطربة سكون الغرفة فمسحت إيما وجهها بسرعة ومحت آثار دموعها بأصابع احترفت تلك المهنة واتجهت إلى الباب وفتحته وقابلت الراهبة باتى بابتسامته هادئة وقالت متسائلة :

عقدت إيما حاجبيها متعجبة

حتى استجمعت الراهبة باتى شتات نفسها مرة
أخرى وقالت بحزم هادىء:

- إيما .. لقد توفى والدك منذ خمسة أيام
، لقد كان يعانى من وعكة صحية منذ أشهر
ولكنه لم ينجو منها للأسف . لقد حضر
السائق وبرفقته المحامى لاصطحابك إلى
بيت الأسرة عزيزتى...

وقفت إيما صامتة لعدة دقائق لا يبدو على
وجهها أى انفعال ، حاولت أن تأتى بأى كلمة،
أى رد عيشى كان أو يحمل فى طياته المنطق
ولكن ذهبت جهودها أدراج الرياح

هل حضر أبى أخيرا أم أرسل أحدهم بدلا
منه؟

انضجت شفتا الراهبة باتى باندهاشة
وعقدت حاجبيها قائلت :

- لقد حضر السائق لاصطحابك عزيزتى
أومات إيما برأسها بوقار وقالت :

سأحضر حقيبتى إذ

استوقفتها الراهبة بتردد وقالت : ولكن
..هناك...

ثم أخذت نفسا عميقا وصمتت

لقد مات والدك وما أن سمعتي بالخبر
تحميلين حقيبتك للانصراف مذعنة فقط
للأمر!!

نظرت لها إيما وقالت بهدوء :

-وماذا عساي أن أفعل برأيك؟، لقد مرت
خمسة أيام على وفاته

تراخي كف الراهبة وتراجعت خطوة إلى
الخلف وقالت :

أبكي على الأقل.. اصرخي... قولي شيئا

نظرت لها إيما وأخذت تفكر متسائلة داخلها

استدارات إيما ونظرت الى حجرتها الخاوية
لا تدرى أيهما أكثر فراغا حجرتها أم روحها
فحملت حقيبتها وتخطت الراهبة باتى إلى
الأسفل

جرت الراهبة خلفها فعليا رغم أنها تخالف
العادات والأعراف بالمدرسة القديمة
ولكنها لم تبالى بها صارخة بإيما:

-إيما.. انتظري

أوقفتها الراهبة بعنف وأمسكت بوجهها
لتدريه نحوها بالقوة حتى قالت:

-أهذا ما لديك إيما!؟

"أبكي !!!"

كم من الليالي قضتها في بكاء وحسرة
كم من العمر مضى بها ولم تنعم بحب أبيها
ولا رفقته

كم من الدموع عليها أن تذرف لأجله حتى
يكتفى

تطالبها الراهبة الطيبة بالبكاء الآن وهو
ميت في حين أنه لم تجدى الدموع معه نفعاً
وهو حي يرزق

فلم عليها أن تبكي؟؟

لم تفهم إيما طلب الراهبة

ولم تجد له تعليلاً مناسباً عدا أن الراهبة
المسكينه قد فقدت عقلها!!

عقدت إيما حاجبها وقالت بهدوء رافضت
الانصياع لأمر الراهبة :

-كلا.. لن أفعل

هزت الراهبة باتى رأسها وقالت بتفهم:

-كما تشائين إيما.. وإن أردت يوماً أن تبكي
لأجل والدك يمكنك البكاء على كتفي
وسأكون إلى جوارك

-أنا أيضا علاقتي بالمرحوم أبعد ماتكون
علاقة ابنته بأبيها سيد...؟

عقد المحامي حاجبيه بأسف قائلا:

- حافظ سليمان. أتمنى أن تجدى فى كلماتى
سلوان كافي ولكن والدك فعل ما بوسعه
لأجلك. تفضلى،

أشار لها بالركوب فاعتلت إيما الكرسي
الخليفي بخفتة ونظرت إلى الراهبة باتي
وودعتها بأشارة خفيفة من يدها

انصرفت إيما باتجاه الباب الرئيسي وعندما
خرجت رأت سيارة فارهته سوداء ورجلا فى
أوائل الستينات من عمره يترجل من السيارة
بوقار وحينما اقتربت منه إيما أمسك
بكفيها وقال:

- آنسة إيما تقبلى خالص تعازى. المرحوم
كان صديق عزيز وعلاقتنا وطيدة تتخطى
علاقة رجل أعمال بمحاميه لتكون أقرب
••••• لرجل وصديقه..

تنامت ابتسامته ساخرة إلى زاوية فمها قائلة
بتهكم :

إلى طريقه ظلت ايما صامتة طوال الوقت
حتى تنجح المحامي قائلاً :

-لم يسبق لك التعرف على شاهنדה هانم
والضتاتين؟

قالت ايما بصوت جاف :

-كلا.. رأيت زوجة أبي مرة واحدة بالصدفة
ولا أذكر معالم وجهها بدقة

هز المحامي رأسه ولم يعقب وظل صامتا حتى
وصلا إلى مشارف المدينة بطرقها المزدهمة
فقال بصوت جاهد أن يجعله ودودا :

وانطلقت بها السيارة مغادرة ولأول مرة الدير
وأخترقت أسواره العاليتة إلى العالم خلفه.
كانت إيما تتوق إلى تلك اللحظة منذ
سنوات طويلة ولكنها الآن لا تعرف لم تشعر
بالخوف وعدم الإطمئنان، قلبها منقبض
تشعر بأن هذا العالم الذي تمنى رؤيته من
كل قلبها

هو عالم كبير وفارغ أضحت فيه وحيدة
ولكن تلك المرة دون أسوار

راقبت إيما الطريق من نافذة السيارة، ظلال
الأشجار التي تحيط بالدير قد تلاشت
في طريق خاويًا إلا من سيارات مسرعة كل

حتى تحركت السيارة مرة أخرى

فتصاعدت أنفاس الرجل

الجالس الى جوارها بارتياح والتفت لها:

-أوشكنا على الوصول..

سارت السيارة فى شارع هادىء يقع على

جانبيه قصور وفيلات وحدائق واسعة متقاربة

لم تكن تحتاج جهدا لمعرفة مدى ثراء

والدها فالمصاريف المدرسية التى كان

يدفعها كل عام كانت خير دليل، توقفت

السيارة أمام بوابة معدنية عريضة فتحت آليا

وسارت عجلات السيارة فى الممر المكسي

-عليك من الآن فصاعداً اعتياد صخب

العاصمة..

نظرت إيما حولها بانزعاج فالجميع يجرى

:يتناحر، يتجادب ويتنافر

وقفت السيارة أخيرا فقالت إيما متسائلة:

-هل وصلنا؟!

هز المحامى رأسه نافية وقال بضجر:

-إشارة مرورية..

توقفت السيارة وتوقف المحرك عن الهدر

ومرت الدقائق ببطء

قائلاً لها :

-تفضلي آنسه إيمان..

خطت إيما خطوات ثلاث إلى الداخل وطالعت

ولأول مره زوجته أبيها وأختيها وجها لوجه

وعجبا لم تكونا ذهبيتان كما ظنت دوما!!

نظرت لها أختها الصغرى بفضول جم أما

الكبرى فظلت جامدة مكانها فيما قامت

زوجة أبيها واتجهت نحو المحامي وسلمت عليه

أولا ثم التفتت إلى إيمان قائله بصوت ثابت:

- مرحبا بك ، كنت أتمنى أن نلتقى في

ظرف أفضل..

بالحصى الأبيض الصغير حتى توقفت أمام

درجات القصر الرخامية العريضة

ترجل السائق وفتح الباب لها فترجلت بدورها

وسارت خلف المحامي متطلعة حولها بجمود،

استقبلتهم الخادمة بابتسامة ضيقة تكاد

تكون أقرب لتكشيرة قائلة للمحامي:

الهانم بانتظارك في غرفة المكتب برفقتي

الآنستان..

سار المحامي في الردهة الواسعة نحو غرفة

المكتب وطرق الباب وفتحه بهدوء وطالع

الحضور داخل الغرفة ثم استدار لإيما

لم تدري إيما بما تجيبها فضلت صامتة حتى أشارت لها بالجلوس منفردة على كرسي إلى جوار المدفنة بعيداً بعدة أمتار عن أختيها اللتان جلستا إلى جوار بعضهما البعض تتوسطهن زوجه أبيها على الأريكة الواسعة.. وجلس المحامي على المقعد المقابل لها

وقال بهدوء:

-آنسة إيما .. لقد كتب والدك وصية قبيل وفاته أردت قرأتها منذ أن توفي والدك الاسبوع الماضي،

ولكن شاهنדה هانم أصرت على حضورك لتسمعيها مع بقية أفراد أسرتك بعد حفل تخرجك. لم تكن ترغب بأن يعكر هذا الخبر عليك صفو حفلتك مع زميلاتك. كتب والدك الوصية منذ خمس سنوات لذلك ستجدين بها بعض الفقرات التي تشير إلى هذا الوقت .

تنحج المحامي وأخرج من حقيبته الوصية وبدأ في قرأتها بصوت ثابت:

"عزيزتي شاهنדה .. زوجتي الغالية .. ابنتي الحبيبة نهى .. ابنتي الصغيره سهى .. إن كان

منذ ساعة زمنية كانت تطالبها الراهبة
بالبكاء لأجله وهي في تلك اللحظات
بالذات لا تتمنى إلا عودته إلى الحياة لتصرخ
في وجهه.

مالذي فعلته له لكي يكرهها إلى هذا
الحد؟

لقد كانت طفلة.. طفلة، وهو كان كل
عالمها ومع ذلك أصدر قراراً بنفيها إلى خلف
أسوار الدير العالية وعندما حان الوقت
لتحصل على حريتها غادر هو الحياة.

أفاقت إيما من شرودها عندما نادى عليها
المحامي فالتفتت إليه بخجل وهي تنظر إليه

السيد حافظ سليمان يقرأ عليكم هذه
الكلمات فهذا يعنى أنتى قد بت الآن بين
أيادى الرحمن أوصيكن حبيباتى بعد...-

نظرت إيما إلى المحامي وهو يقرأ وكأنما
تجمدت نسمات الهواء حولها وطمست
الأصوات، وكأنما توقفت الأرض عن الدوران
ولم تسمع إلا صوت دقات قلبها المحترق...

هو لم يذكر اسمها .تراه هل نساها حتى وهو
يكتب وصية لما بعد موته...ألهذا الحد هي
غير مرثية بالنسبة إليه ..غير محسوسة..

غير موجودة !!

-أوصى بالقصر وكامل ثروتى إلى زوجتى

الحبيبية على أن تعيد هى تقسيم الأثر على ابنتى نهى مراد وسهى مراد بعد بلوغهما السن القانونى لكل واحدة منهما الثلث والباقى يعود إلى رفيقة دريى وكفاحي زوجتى الحبيبية شاهنده منصور العارف ويتم دفع مصاريف دراسة إيمان مراد سنوياً من عائد أرباح الشركات حتى بلوغها الثامنة عشرة عاماً وأرجو أن تستلم مفتاح شقة جدتها الذى تركته بحوزتى بعد وفاة والدتها لتعيش بها ولتعلم فقط ،المفتاح وعقد الشقة والأوراق التى تؤكد أحقيتها بشقة جدتها بحوزة

والى أختيها وزوجه أبيها وهن يرمقنها بنظرات مستفهمة، فقال المحامى :

سأعيد على مسامعك الجزء الأخير وسأترك لك نسخة من الوصية لتقرئها مرة ثانية إن اردت..

تحشج صوتها وهى تقول:

-لا بأس

•• هز المحامى رأسه متفهماً وأعاد وضع عويناته واستطرد:

الأستاذ حافظ سليمان..أدعو لى أحبائى فأنا
الآن بحاجة الى دعوات قلوبكم الطاهرة
المحب لكم دوما ..مراد بدران..

تعالى نشيخ الفتاه الصغرى فربتت أختها على
كتفها وظلت إيما صامتة شاردة نظرات زوجته
أبيها القلقتة هى من أخرجتها من شرودها

قائلة:

-إيمان

رفعت إيما رأسها وقالت بقسوة :

-إيما ..اسمى إيما

شاهندة رأسها وقالت :

-حسنا إيما أبيك كان ، أقصد الأرت ..

لم تدعها إيما تكمل جملتها وقالت بقسوة :

-لم يكن لى أب فى يوم من الأيام فلم عساي
أن أتوقع منه إرثاً الآن.

تنحنح المحامى وقال:

-أنستة ..إيما.. لقد تركت لك جدتك

شقتها وكتبت عقدا باسمك تركه والدك
بحوزتي مع المفتاح وأوراقا أخرى بمكتبي..

التفتت له إيما متعجبة :

-أى جدة؟! لم يخبرني عنها ...

وجدت إيما صعوبة في نطق كلمة أبي

فقالت :

-هو لم يخبرني عن جدتي ظننتها ماتت منذ

زمن بعيد

هز المحامي رأسه وقال لها مصححا :

والدة السيد مراد أباك لاتزال على قيد

الحياة في إحدى دور المسنين تتلقى عناية

طبية بالغة .. أما جدتك والدة والدتك

توفت وأنت في السابعة من عمرك

عقدت إيما حاجبيها وقالت :

-ولكن لم لم تأتي لزيارتي،

لم لم يخبرني عنها أي شيء؟!؟!

قال المحامي بهدوء :

-العلاقات بينها وبين والدك كانت منقطعة

ومتوترة على الدوام ..ظن أباك أنه من

الأفضل ألا تتعرفي عليها ولهذا لم يخبرها

يوما بمكانك..

عقدت إيما حاجبيها ورددت خلف المحامي

صارخه حانقتة :

-ظن أنه الأفضل !! من يظن هو نفسه!

-هنيئاً لك بتلك الجدران وهذا السقف
وتلك الذكرى أما أنا لم يكن لى أب فى
يوم من الأيام حتى أحترم ذكراه

تسارعت خطوات إيما إلى خارج الغرفة بل
والقصر كله فتسارعت خطوات المحامى
خلفها مناديا :

-انتظرى...انتظرى ... أنسه إيما

لم تتوقف إيما ولكنها قالت بغضب يعصف
بكيانها :

-اسمى إيما..

تهدج صوت المحامى خلفها وقال:

قامت شاهنדה بغضب واتجهت إلى حيث تجلس
إيما وقالت :

-ربما تشعرين الآن أنك تكرهينه ولكن

إذا علمت الحقيقة فى يوم من الأيام فأنا
واثقة أنك ستغيرين رأيك لقد أنقذك هذا
الرجل من مصير أسوء بكثير ولهذا لن أسمح

لك إلا باحترام ذكراه طالما بقيت فى
حمائه تلك الجدران وتحت سقف قصره..

قامت إيما من مجلسها وقالت بصوت متهدج
غضباً :

-كلا ..أنا لن أدخل هذا القصر مره أخرى
ماحييت ..سأذهب معك الآن لتعطيني أوراقتي
وأردفت ساخرة :

-إرثي

وأمام نظراتها التي كانت تناطح الصخر قوة
وبعمره الذي قارب على الستون عاما ومفاصل
ركبتيه التي أهلكت منذ قليل لم يملك
إلا الإذعان لأمرها قائلا :

-كما تشائين

بعد مرور ستون دقيقه كانت إيما تجلس في
مكتب المحامي الذي أغرقها بكثير من

-حسنا إيما أرجوك أنا رجل كبير ..لا
تدعيني أجرى خلفك فما عدت قادر على
الركض ..

توقفت إيما عن الجرى ..كانت قد وصلت إلى
مشارف البوابة المعدنية وأخير وصل لها
المحامي وقال لاهتا :

-اسمعي ..لنتجه إلى الداخل لتبتي ليلتك
وغدا سأأخذك السائق إلى حيث مكتبي
وسنرى مانضله بعدها ..

التفتت إيما إلى حيث القصر ورأت زوجة أبيها
واقضت خلف الباب متشحة بالاسود حزنا على
ليكون أباهما فقالت بعند :

تظاهر المحامى بالبحث فى أدراج المكتبة
الأبنوسى الضخم عن شهادة ميلادها حتى قال
بابتسامته مضطربة :

-عذرا إيما لقد انصرفت مساعدتي ولا
يمكنني أن أجدها لك. سأبحث لك عنها
فى وقت لاحق..

هزت إيما رأسها وقالت ببساطة:

-لا بأس إن لم تعثر عليها يمكننى استخراج
واحدة جديدة ..أليس كذلك؟

هز الاستاذ حافظ رأسه مؤكداً :

الأوراق الخاصة بها ..شهاداتها المدرسية
لكل عام من الأعوام السابقة،أوراق
الإلتحاق بالمدرسة،صورا خاصة بها تجمعها
بزميلاتها ،يبدو أن إدارة المدرسة كانت
تبعثها بالبريد لوالدها الذى بالنهاية تركها
لمحاميه الأمين وعقد ملكية شقة جدتها
الراحلة تضحست إيما الأوراق مرة بعد الأخرى
حتى عقدت إيما حاجبها وقالت :

••••• أين شهاده ميلادى ؟! لا توجد وثيقتها بها فى
تلك الأوراق؟!!

اضطرب المحامى قليلا وقال :

أظن أنها بمكان ما ..

فى ثوان معدودة مما أثار الاضطراب والقلق
داخلها لما هو آت فأجابت مستسلمة :

-ماذا هناك؟

تراجع المحامى بظهره إلى الخلف واستند
بكفيه على ذراعى الكرسي وقال:

-أود أن أعرف ماهى خطتك ..وكيف تنوين
التصرف بحياتك فى الأيام القادمة

عقدت إيما حاجبيها وقالت باستهزاء مبطن :

-سأذهب إلى شقتى ثم أبحث عن عمل يعولني
..هل تظن ان مراد بك ترك لى خيار آخر

!!!

-بالطبع ،بالطبع ..ولكن لا تقلقى سأجدها
لك وان لم أفعل سأقوم بنفسى باستخراج
أخرى..

زمت إيما شفيتها وقالت بصوت أبح خافت :

-حسنا هذا كل شىء .سأنصرف الآن

همت إيما بالنهوض حتى اعترض المحامى
بنبره حازمة:

•• لحظة واحدة أيتها الشابة...

سكنت إيما مكانها وتأملت مقاطع وجهه

التي ارتسمت عليها الصرامة بسهولة

وحفلات الكوكتيل مساء الجمعة في
 حديقه الدير .. أستطيع تدبر حالي .. لا تقلق
 احتقن وجه المحامي لوقاحة تلك الشابة
 العنيدة وقال بصوت حائق :
 -أنا أعلم جيداً كيف هي حياة الراهبات
 ولكنني قلق بشأنك فبالنهاية أشعر
 بالمسئولية تجاهك ..أنا من كتب تلك
 الوصية تحت إصرار والدك وأعلم جيداً
 أسبابه واحترمها بالكامل وهناك بالطبع
 تفسير منطقي وعادل لتلك الوصية ولكن..

تنهد المحامي وقال مستسلماً :
 كلا .. لم يفعل، ولكن هل بإمكانك العيش
 وحيدة بمضردك والقيام بشؤونك
 ارتسمت ابتسامته ساخرة جلية على معالم
 وجه إيما الساحر وقالت :
 -بالطبع سيدى أنت تعلم كيف هي حياة
 المدراس الداخلية برفقة الراهبات

فعدا الحفلات التنكرية
 التي كانت تقام كل ثلاثاء في المهجع

اخفيارات .. يسرا مسعد

قاصطته إيما بحنق جم ودموعها تتقافز رغماً
عنها ولكنها استطاعت حبسها كما كانت
تفعل دوما :

لم لا تخبرنى عن تلك الأسباب العادلة إذ
ودعك من هراء العيش بمفردى وحيدة .. هه
تكلم . ما لذي يدفع رجلا ليلقى بطفلته
الصغيرة في دير وعندما يحين وقت حريتها
يرحل عن الحياة تاركاً وصية مجحفه
••••• كتلك ويحرمها حتى بالبقاء برفقة أختيها
تحت سقف واحد

نكس المحامى رأسه بمواجهتها

وظل صامتها حتى رفع رأسه أخيراً وقال بهي
تنهيده مريرة :

-ليس بإمكانى البوح لك عن تلك الأسباب
ليس الآن على الأقل ولكننى أعدك عندما
أجد الوقت ملائماً سأخبرك .. هذا عهد على
ردت إيما بعد برهة بوجه خال من الانفعالات
-ثمانية عشرة عاماً مرت ولم يجد أبى الوقت
الملائم ليخبرنى عن أسباب هجره وكراهيته
لى . كم من الوقت ستجعلنى انتظر أنت
الآخر سيدى ؟

رد المحامى بعد وقت يسير بأوامر مقتضبه :

هز المحامى رأسه وقال وهى يناولها بطاقتى
بسيطة بيضاء اللون :

-نعم .هذا رجل أعمال صديق لوالدك وهو
أيضا صديق لي .أظن أنه بإمكانه
مساعدتك للحصول على عمل لائق-

ظل المحامى ممسكا بالبطاقتة فى يده فما
أن سمعت إيما بأمر صداقتة هذا الغريب بأبيها
حتى أبت بعزة نفس الاستعانة به.

أدرك الأستاذ حافظ متأخراً أن ذلت لسانه
هذه قد كلفته الكثير .فهو كان ليطمئن
أن عهد بأمرها لأحد المقربين منه.هز
المحامى رأسه ووضع البطاقتة على سطح

-احصلي على عمل رتبى حياتك واستقري
بها وستجدين منى الإجابة الشافية .أنا لن
أغادر الحياة وأنا أحمل وزرك يا صغيرة

هزت إيما رأسها باستسلام فهذا الرجل على
الرغم من طيبة قلبه التى تظهر عليه على
انفعالاته وملامح وجهه إلا إنه يحمل تصميماً
جماً على إبقاء أسرار موكله طى الكتمان
على الأقل إلى الآن..

فتح المحامى درجه وأخرج دفتر صغير وأخذ
يبحث فيه فرفعت إيما حاجبها بتساؤل قائلة
-هل هناك أوراق أخرى؟!

-أنا لست غاضبا منك ..خذى هذه ..لا أعلم
صاحبها جيدا وأكاد لا أذكره ولكنه مر
بى ذات مرة

-واسترسل فى الحديث متصنعا اللطف :

-صاحب شركة حديثة للتصميمات
الداخلية ..مكاتب ..شركات ..أمرا من هذا
القبيل ،وبإشارة من أبهامه الأيمن للنافذة التى
تجاوره تابع قائلا :

-مصممة الأزياء بالشقة المقابلة استعانت به
لتجديد الاستوديو الخاص بها وترك لى
البطاقه كنوع من الدعاية..

المكتب بجوار أوراقها وقال ساخرا منها بحنق
وهو يهمم بالبحث فى دفتر البطاقات :

-حسنا سأبحث عن آخر لاتجمعه بوالدك أى
علاقة

همت إيما بالاعتراض ..فهى وإن كانت
بحاجه لعمل فهى لن تتوسله منه ولا من أى
شخص فأسكتها المحامى بإشاره من يده

قائلا:

قال المحامى بنبره رضا عندما لمح يدها
تمتد إلى البطاقه :

-الخيار خيارك إيما

رفعت إيما وجهها وتعلو عيناها نظرة تنم عن
الدهشة

مابال الحديث عن الخيارات ينهمر من فمه
وفم الراهبة باتى، فهزت إيما رأسها بامتنان
بالغ :

-شكرا لك سيدي وأود أن أعتذر لك ..

قاطعها المحامى بإشارة من يده :

طالعت إيما البطاقه بكثير من العجب ..أى
بطاقه عمل تحمل هذا اللون الأرجوانى
الصارخ ويرجوا صاحبها أن يحصل على عمل
بفضلها ..

هل يأخذه الناس بمحمل جدى حقا ؟!!

وضعت إيما البطاقه مع أوراقها وهمت بالنهوض
تاركة البطاقه الأولى مكانها على سطح
المكتب ولكنها اصطدمت بالنظرة اللانتمت

من قبل المحامى العجوز فأخذتها فقط
لتطيب خاطره ..لا تنكر إيما أنه فى
الساعات القليلة الماضية عاملها بلطف بالغ
فقد أنه صديق لوالدها

-لا بأس. السائق سيصطحبك إلى شقتك
..كنت أفضل أن تبيني ليلتك بالقصر حتى
يتسنى لك الوقت الكافي لتنظيفها
وترتيبها فالشقة مغلقة منذ سنوات عديدة
وعندي يقين بالغ أنها بحاجة لإصلاحات
جمّة..

هزت إيما رأسها وقالت :

-لا تقلق سيد حافظ ..لقد كنت أمكث
بالعراء لشهور متواصلة عندما كنت
بالمدرسة، أستطيع تدبر حالي ..شكرا لك
مره أخرى

مدت إيما يدها لتصافح المحامي بتقديرها
وغادرت مكتبه إلى أسفل العقار فوجدت
السائق بانتظارها بعدما تلقى مكالمة
هاتفية من السيد حافظ ليصلها إلى شقتها
القديمة، سكنها الجديد

مكثت إيما بالسيارة صامتة حتى أوصلها
السائق للشارع الذي كانت تقطن فيه جدتها
الراحلة سابقا نظرت إيما حولها فالمنطقة
السكنية حولها تبدو في حدود المتوسطة
إن لم تكن أعلى بقليل ومزدحمة إلى حد ما
أوقف السائق السيارة أسفل العقار وقال بلطف
:

رفعت إيما كفها بتحيةة بسيطة للسائق
 وحملت حقيبتها التي وضعها لها على الرصيف
 واتجهت إلى داخل العقار وصعدت درجاته
 ببطء حتى وصلت للطابق الرابع وفي طريقها
 للصعود لاحظت إيما أن كل طابق يحوى
 عددا مختلفا من الشقق السكنية فالطابق
 الأول به شقتان والثاني أربعة!!! والثالث
 ثلاثة وهاهى بالطابق الرابع به اثنتان أيضا
 تمكنت إيما من فتح الباب والدخول بعد
 وقت يسير
 الظلام بالطبع كان دامسا ولحسن حظها
 استطاعت معرفة مكان المقبس بفضل

-لقد وصلنا أنستى .. هذا هو العقار .. نظرت
 إيما للورقة التي تحملها والتي كتب فيها
 الأستاذ حافظ العنوان بالتفصيل
 فشكرت السائق وترجلت من السيارة ورفعت
 أبصارها للعقار المكون من خمس طوابق
 والذي كانت حالته متهاككة بعض الشيء
 مما أثار الخيبة فى نفسها ،

ولكنها سرعان ما سخرت من نفسها ، فبعد
 أحداث هذا اليوم المتتالية الدرامية لحد
 بعيد هل كانت تتوقع ختمة أقل مثالية له
 من أحداثه البائسة؟!

يراها محاميه أنها منطقية لحرمانها من إرثها
والحكم عليها بالعيش وحيدة حتى بعد
وفاته!!

أسئله لم تجد لها إيما إجابة، ولكنها تمننت
بقوة ان تعثر على أجوبتها في القريب العاجل
،ألقت أمنيتها في حجر الشمس التي أوشكت
على الرحيل لعلها في اليوم القادم تحمل لها
الجواب مع أشراقها الجديدة

وارتسمت ابتسامته ساخرة مريرة أخرى على
محاياها .. لا تعرف لها سببا

ولكن أليست الحياة كالكهوه مرة

الضوء المنبعث من الردهة خارج الشقة
فرفعته بقليل من الجهد فعمت الأنوار أرجاء
المكان ،التفتت إيما للباب وأغلقتة وأوصدته
جيذا وأخذت تتجول في أرجاء الشقة الرحبة
بفضول ،رائحة العفن والرطوبة هي المهيمنة
على غرفها وحمامها ومطبخها الواسع.. ومع هذا
فالأثاث يبدو في حاله جيدة ..فتحت إيما
كل النوافذ والشرفات

••• أوشكت الشمس على المغيب فوققت إيما
بالشرفة الرئيسية تتابع مشهد السماء بحزن
كبير ..لما هجرها أبيها .لم منع جدتها من
زيارتها والتعرف إليها وما تملك الأسباب التي

تركت إيما الشرفة واتجهت الى الداخل
وبدأت فوراً بتنظيف مسكنها الجديد بهمة
ونشاط لتطرح الأسئلة المستباحة والأجوبة
المحالة أرضاً
فليس عليها التفكير

الفصل الثالث

وقفت إيما تنظر للبنائة المكونة من
طابقين اثنين فقط يحطها سوار ضيق يعزل

••• عليها فقط أن تنظف المكان لتنام وكفى
بتلك نهايه لهذا اليوم "المميز"

الأغلب. هي لن تستجدي عطفًا من أصدقائك
والدها الجاحد ...

نظرت في الساعة التي يحملها ساعدها
الرقيق ذات السوار الذهبي الدقيق فوجدتها
تشير للثامنة والنصف التفتت إيما حولها فلم
تجد أى اشارات لحياة داخل البناء في هذا
الصباح المبكر

فتوجهت نحو الكشك الخشبي الذي يطل
عليها من الجانب الأيسر في الجهة
المعاكسة وابتاعت الصحيفة ونقدت البائع
ثمنا وقالت له :

حديقه وان كانت صغيرة فهي غناء عن
المحيط الهاديء بها

الشارع في تلك الساعة خاويا تناولت
فطورها في تمام السادسة والنصف كما
اعتادت وتسابتت خطواتها بعدها إلى أن
قادتها للعنوان المدون بالبطاقة الأرجوانية

حاولت التحلى بالمنطق أثناء اختيارها لتلك
البطاقة بالتحديد ولكن مشاعرها كانت

اخرجت إيما البطاقة الأرجوانية بحركة
سريعة من حقيبتها السوداء التي كانت
تحملها وأعطتها له

طالع البائع البطاقة وهز رأسه وقال :

-نعم هي شركته .آنستي ..أظن أنهم يفتحون
أبوابهم في تمام الواحدة ظهرا او ربما بعدها
بقليل

رفعت حاجبها دهشة ورددت هامسة :

-الواحدة ظهرا ،حقاً؟؟!!

زم البائع شفثيه وقال محاولا التخفيف عنها
-تلك هي الحال ولكن في بعض الأحيان

-هل تعلم سيدى فى أى وقت تفتح تلك
الشركة أبوابها ؟

رفع البائع حاجبيه دهشة ..فلفظ "سيدى"
قد استرعى اهتمامه فأى فتاه بهيئة مهذبة
كتلك تسأل عن شركة ليث وفى الصباح
الباكر!!

قال ليتأكد :

-تقصدين شركة ليث الأعرس ؟

هزت إيما رأسها وقالت :

ألا أعلم اسم صاحبها

أو الذهاب للعنوان المقيد بالبطاقة البيضاء
تسائلت إيما داخلها لربما تكون تلك
إشارة من السماء لها بالذهاب !!!
كانت قد عزمته أمرها بالانصراف عندما
تخطت الساعة التاسعة والنصف بقليل إلا
إنها قد سمعت هدير لمحرك دراجة بخارية
يقترب

فرفعت أنظارها فوجدت رجلا طويلا بجسد
رياضي نحيل يترجل من عليها يرتدى سترة
من الجلد الأسود وسروال من الجينز الثقيل
بلون أسود أيضا . خلع الرجل خوذته الثقيلة

تحضر المساعدة في التاسعة بإمكانك
الانتظار قليلا إن لم تحضر فعليك بالعودة
في فترة الظهيرة مرة أخرى

زمت إيما شفيتها بقنوط وشكرت البائع
واتجهت إلى الرصيف أسفل البناية وافترشته
بالصحيفة وجلست بانتظار المساعدة التي من
الممكن أن تحضر

مرت الدقائق ثقيلة فالجوار هاديء للغاية
فنظرت في ساعتها فوجدتها تخطت التاسعة
بعشر دقائق

وتراجعت بين الانتظار لوقت أطول

السوداء كاشفا عن أغزر شعر راته إيما فی
 حیاتها والتفت لها لكانما شعر بناظریها
 تراقبه فابتسم لها ابتسامتة صغيرة اقتحمت
 زوايا فكه وذقنه النبات وظهرت غمازتیة
 تلقیان علیها التحیه بیسر تام

سار نحوها مقتربا منها وعلى وجهه نفس
 الابتسامتة المغویة

لاحظت إيما أنها تحملق به فأحمر وجهها
 وصرفت أنظارها للإتجاه المعاكس

صوت أجش مثير أخترق مسامعها ملقيا
 علیها التحیه وسؤال تردد فی نسماة الهواء
 الخفیطة بها

-هل انتظرت لوقت طویل؟

التفتت له متعجبه وقالت :

-هل تعمل بهذه الشركة؟

أوما لها برأسه وقال بعث:

-بم أخدمك؟

رفعت رأسها بكبرياء وقالت بترفع :

-أود مقابله رئیس العمل

لاحظت إيما أنه أخرج سلسله مفاتيح وفتح

البوابتة المعدنیة ودون أن يلتفت لها بدعوة

صعد الدرجات بخفتة ونشاط

واتخذت قرار عازما بإنهاء ما قد أنت لا جلم
ربما لاتعثر على وظيفة وعندها ستعود
أدراجها إلى العنوان المدون بالبطاقة البيضاء
وصعدت الدرجات

كان قد فتح الباب الرئيسي على مصراعيه
واستبقها للداخل

دخلت والتفتت حولها تتطالع المكان
بفضول ، لقد كان مريحا بعكس البطاقة
المعبرة عنه بلونيه الأبيض والأسود
بسيط ومثالي إلى أبعد حد

لا زينة مبهرجة ولا لوحات كثيرة معلقة

وقفت متحيرة أنتخذ خطوات للأعلى أم
تنصرف؟

، هاهو اختيار آخر يطل برأسه في صباحها
المبكر

هي لا تعرف هويته من يكون أو ماذا يفعل
ماذا لو أراد إيذائها؟!

في تلك الساعة المبكره وفي تلك
المنطقه الهادئه الخاويه

سيكون أمرا سهلا

وعندما استبد بها القلق والخوف بعند لم
تدرك ممن ورثته صممت على طرد الهواجس

- ما هذا ؟؟

ابتسم لها بيسر وكان تلك وظيفته في
الحياة وقال :

- بنيات الرأس يفضلن القهوة والشكولا ثم
غمز لها واتسعت ابتسامته لتعلن غمازتيه مرة
أخرى عن وجودهما وأردف بلؤم:

- والبندق

رفعت إيما حاجبيها بنزق ووضعت الكوب
على أقرب منضدة في محيطها وقالت محتدة :

فقط ضوء الشمس المنبعث من النوافذ
المغطاة بستائر رقيقة معدنية بيضاء وبعض
شتلات الزرع التي تزين الأركان

لاحظت غياب الغريب المثير الذي فتح لها
الباب . لقد اختفى بالداخل وهي تود سؤاله
في أي وقت سيحضر رئيسه فرفعت صوتها
منادية:

-مرحبا ... أيها ...

وقفت إيما محتارة حتى سمعت صوت خطواته
تطرق الأرض الخشبية خلفها فالتفت لتجده
يحمل كوبين قدم لها واحدا فأخذته منه
تعجب شديد وقالت :

همت إيما بالاعتراض هي فقط تود أن تعلم
متى سيحضر وليس أن تنتظر لوقت أطول
ولكنه لم يمهلها وقال سريعا :

-فقط عشر دقائق، ثم اختفى مره أخرى

جلست إيما على الأريكة الجلدية السوداء
خلفها وعقدت ذراعيها وبعد برهه دخلت فتاة
شقراء يافعة بزي أحمر وزينة براقرة رفعت
أنظارها لها متعجبه واتجهت إلى الداخل دون
إهتمام

بعد قليل ظهرت اللامعة مرة أخرى أمامها
وقالت لها :

-شكرالك ولكني لا أرغب في شرب
القهوة فقط أرغب بمعرفه متى يمكنني
مقابله رئيسك ؟

عقد الغريب حاجبيه وقال :

-فيم تودين رؤيته ؟

ارتسمت معالم البرودة على وجه إيما

وقالت بنبرة ثلجية مترفعه:

-هذا ليس من شأنك

رفع الغريب حاجبيه وأجاب بهدوء خطير
بإمكانك الانتظار في تلك الغرفة حتى

بم أخدمك يا آنسه؟

قامت إيما وقالت :

-اسمى إيما مراد وأتمنى مقابلة رئيس العمل

ارتسمت ابتسامة دافئة على وجه الفتاة

وقالت لها بهدوء :

-تفضلى

عقدت إيما حاجبيها وسارت خلف الفتاة

متعجبة حتى وصلت لمكتب مساعدة رئيس

الشركة الخاوية ورفعت الهاتف وقالت

بأدب جم :

سيد ليث .. آنسه إيما مراد تود مقابلةك

وضعت الفتاه السماعة مرة أخرى و اشارات

لايما بالدخول قائلة :

-تفضلى

ترددت إيما فى الدخول إلى المكتب

أيعقل أن يكون الغريب الذى قدم لها القهوة

هو ليث الأعر صاحب الشركه !!!

.....

دلفت إلى الحجرة ولم يكن بإمكانها تجاهل

النظرة الساخرة التى كانت تعلق وجهه

الوسيم فعقدت حاجبيها وتقدمت لمواجهته

فأشار لها بالجلوس قائلا :

-تفضلي آنسه إيما . بم أخدمك ؟

جلست وهي تستجمع شجاعته

وباغته بهجوم يدينه :

-كان بإمكانك إخباري

اتسعت إبتسامته كاشفة عن أسنانه البيضاء
اللامعة وقال :

-كان ليكون هذا أمرا قاتلا للمتعتم

واجهته بنظرة مستنكرة :

بجعلى حمقاء الصباح !!

عندها أطلق ضحكه صاخبه أدهشتها وقال
مدافعا عن نفسه :

-وهل كنت أعرفك من قبل ؟

• شعرت إيما بوجوب الاستئذان والرحيل ورأى
عزمها بين على وجهها فقال بصوت دافئ
هادئ :

-لم أكن أقصد تعكير مزاجك ..ومرة
أخرى آنسه إيما ..بم أخدمك ؟

سؤاله الودود أشعرها بالحرص فدفعت له
بأوراق تخرجها وقالت ببساطة :

-أريد وظيفت

حماق بها مندهشا لصراحتها وبساطتها
وهمهم قانلا :

-تردين وظيفه .. كم عمرك ؟

ردت بهدوء:

-ثمانية عشرة عاما

رفع حاجبه الكثيف وقال :

-ألا يجد ربك الذهاب إلى الجامعة

لاستكمال تعليمك ؟

بغيت إيما من سؤاله فأمر ذهابها للجامعة لم

يكن مطروحا للنقاش بعقلها وأحداث حياتها

التي خيرة وقالت برفض قاطع :

-لا

طالع هو الأوراق وقال متسائلا :

-اسمك إيما أم إيما

ردت بعد قليل :

-الجميع يدعونني بإيما .. إيما اسمي

بالأوراق الرسمية

وأردفت بصبر مستنزف :

-هل هناك وظيفة تصلح لي ؟

نظر لها وقال باستنكار:

نشيطت تظهري في أول يوم عمل لك في
التاسعة صباحا وربما قبلها بقليل وهذا أمر
جيد .أنا بحاجة لمساعدة صباحية
ظلت إيما جامده مكانها وقالت بعد قليل
:ماذا تعنى ..بمساعدة صباحية ؟

ابتسم لها وقال :

-بصراحة لا أدري ..واستطرد لكانما يفكر
في الأمر مثلها تماما :ستأتين للعمل في تمام
التاسعه صباحا وتنصرفين في الخامسة تردين
على الاتصالات وترتبين جدول مواعيدى في
هذا الوقت ..

-يا لغرورك ...الأصح هل هناك وظيفة
تصلحين لها ..أليس كذلك ؟

بعند أجابت متمنية الحصول على

إجابة صريحة تنهى هذا اللقاء

إلى أمر واضح :

-كلاهما يحملان نفس المعنى وينتهيان إلى
نفس النتيجة

وبإشاره من أصبعه نافيه أكد لها:

-كلا..المعنيان مختلفان كإختلاف الشرق
والغرب ولكن لا يوجد لدى وقت لاشرح لك
الاختلاف الفلسفى .يبداً وأنت فتاة

ثم رفع رأسه وقال متسائلا :

يبدو ملائما . أليس كذلك ؟

كانت إيما تنظر له باستغراب شديد ،

يسألها إن كان يلائمها ومنذ قليل يختلف

معها عما كانت تصلح للوظيفة او تصلح

الوظيفة لها !!!

ضرب بقبضته على سطح المكتب فأفزعها

وقال :

هل سأنتظر منك ردا في القريب العاجل ؟

فردت بسرعه ولم تفكر:

-كم الراتب ؟

ضافت حدقتيه وهو ينظر لها :

-خمسمائة جنيها هذا خلاف العلاوات

هزت إيما رأسها وقالت :حسنا أنا أقبل

قام ومد يده ليصافحها فقامت من مجلسها

ونظرت له بتعجب ومدت يدها الى كفه

تصافحه بتردد وقالت بصوت خافت :شكرا

استبقى كفها بين أصابعه النحيله لبرهه

استشعر فيها دفئه فسحبته إيما بخجل وقالت

:هل سأبدأ العمل من اليوم

فهذا الليث يبدو و متعجرفا معتادا لسطوته
على النساء بوجه عام وعليها بوجه أخص

كان واضحا لها أنه لم ينبهر بشهادتها
الدراسية التي تعود الى أعرق المدارس
الداخلية ولا لحصولها على شهادات إمتياز
لسنوات عديدة متواصلة بالإضافة
لإتقانها ثلاث لغات ليسألها عن الجامعة !!!

ولكن ما خفى عنها أنه كان مبهورا بإتزانها
الذي يفوق عمرها بأضعاف مضاعفة
والأكثر أنها لم تنتشى بفعل زرقته عيناه
المتناقضة مع سمره بشرته والمركزة عليها

أجاب سريعا بفتره تجريبية حتى آخر الأسبوع
إن سارت الامور على مايرام ستكون الوظيفة
لك .. ستعلمك دينا واجبتك

خرجت من مكتبه وتوجهت إلى مكتب
المساعدة اللامعة والتي قابلتها بوجه بشوش
وعرفتها بنفسها وبمتطلبات عملها المتواضع

.....

عادت إيما إلى منزلها في تمام الساعة مساء
وما أن دلفت من باب الشقة حتى خلعت
حذاءها وأسندت ظهرها إلى الباب بتعب وهي
تراجع بذهنها أحداث اليوم المشحون الذي
تلا به منذ الصباح الباكر

ودلقت إلى فراشها البسيط وبيدها كوب من
اللبن الدافئ ابتاعته في طريق عودتها إلى
البيت

لحسن الحظ كان معها ما يقرب من الثلاثة
الآف من الجنيهات، كان والدها معتادا على
ترك أموال لها بحساب بنكي تصرف منه
إيما أثناء تواجدها في المدرسة بالطبع لم
يغب عن ذهن إيما أن المبالغ التي يتركها
لها والدها من حين إلى آخر هي زهيدة
بالمقارنة بزميلاتها ولكن الراهبة باتى
كانت تطيب خاطرها بأنها لا تحتاج للكثير

بل أنها حتى نهاية اليوم لم تهديه إبتسامته
واحدة !!

أخبرها بنهاية اليوم أنه راض إلى الآن
عن عملها وبإمكانها العودة في الصباح
التالى وأكد عليها مرة أخرى إن اتقنت العمل
لنهاية الأسبوع فبإمكانها العمل معه
••• وما لم يخبرها به أنه وضع لنفسه رهان آخر
وجعله مقيدا فقط بنهاية الشهر

ظلت كلماته "إلى الآن" تتردد في ذهنها
حتى بعدما أنتهت من حمامها الدافئ القصير

قبيل انصرافها إلى عملها الجديد بساعتين
 كاملتين عازمت على أن تقضيهم بالترريض
 إلى مقر الشركة ليتسنى لها التعرف على
 الأماكن المحيطة بها، كادت أن ترتطم
 بعجوز ضئيلة على بعد خطوات من باب
 شقتها بعد أن أغلقته بحرص وأجفلتها بشدة
 نظرت لها العجوز نظرة متفحصت وقالت لها
 بصوت رفيع شعرت إيما للأول وهلة بأنه
 هارب من حكايات ألف ليلة وليلة :
 -من تكونين؟ وكيف دخلت إلى هنا ؟
 رفعت إيما حاجبيها متعجبة من ظهور العجوز
 من العدم وقالت لها بتردد:

بل على الرغم من ضآلة مصروفها إلا انها
 استطاعت ادخار معظمه

صباح اليوم التالي استيقظت إيما

وهي تشعر بمزيجا غريبا من السرور والخوف
 لقد أقدمت على حياة لم تعرفها من قبل أن
 يكون لها وظيفة تدبر عليها دخلا وتعول
 نفسها وتتحمل مسئولية أمرها بالكامل
 والخوف من تبعات تلك المسئولية والخوف
 الأكبر من أن تطول وحدتها

-هذه ... هذه شقت جدتى

وينفس الصوت الحاد الرفيع ردت عليها
العجوز متعجبه: وداد تكون جدتك .. إذن
أنت ابنه هذا الأخرق

ابتسامته منحرفته بزائوته فم إيما الذى قلما
تجد البسمة طريقها إليه احتلت جوانبه
وهممت موافقة: نعم أنا ابنه هذا الأخرق

مدت العجوز يديها لتتلمس بشره إيما
الصافية وسارت بكفها الدافئ على
منحنيات وجهها مما أثار ذعر المسكينته
وتراجعت خطوه للخلف ،

ولكن العجوز تابعت اقتحام حدود مساحتي
المحصوره فى سنتيمترات معدودة

قائلته بتؤده: لا تشبيهنها ولا تشبيهنه .. أنا
اتذكره جيدا .. كان شابا أشقر مندفعاً من
عائله ذات حسب ونسب ، تعجب الجميع كيف
عثرت وداد لابنتها الوحيدة على عريس مثله
وهى التى لا تكاد تملك قوت يومها
.. ولكنها كانت امرأه قوية .. الصغيرة

المسكينته رحلت بعد زواجها منه فى هذا
الحادث الأليم .. اذكر يوم وفاتها جيدا لم
تكف وداد عن النحيب والصراخ ... بت معها

تجمدت إيما مكانها لسبب مجهول واستمعت
متأخرة على صوت إنغلاق الباب الخشبي
القديم المجاور لها ، كانت تريد استبقاء
تلك العجوز المخيفة لسؤالها عن أى حقيقة
تقصد ولكنها توارت خلفه وتعجبت داخلها
من قوه تلك العجوز التى يبدو انها تخطت
الكثير من السنوات بعد السبعون من عمرها
وعندما وصلت إلى عملها مبكرة عشر دقائق
كانت لا زالت تشعر بألم ينبض بكفها
المعتصر ، وباستسلام جلست أعلى الدرجات
أمام باب الشركة المغلق فى انتظار "دينا"

تلك الليلة وكانت أطول ليلة مرت على
بحياتى
تهدج صوت إيما وهى تسأل العجوز: هل
كنتى تعرفين أمى؟؟
ردت عليها العجوز بإبتسامة ماكرة قائلة:
كانت هشة ورقيقة وضعيفة تماما
كالعصفور .. وأردفت بتصميم: لا تشبيهنها
مطلقا ، واعتصرت قبضه إيما بين أصابعها
الأنحيلة وأردفت: أنت فتاة قوية .. ولكن لا
أظن أنك تتحملين الحقيقة بعد .. عودى
لزيارتى فى وقت لاحق، سأذهب لأطعم هرتى

المساعدة اللامعة التي قابلتها بالأمس
القريب

ومرة أخرى استغرقت بالتفكير في أمر
العجوز وجدتها .. يبدو وأنها تعرف الكثير عن
عائلتها .. حتى أنها عقدت مقارنه بينها وبين
أمها الراحلة

هل كانت أمها بالفعل شخصية ضعيفة ..

لم يذكر لها أبيها عن أي شيء يخصها ، حتى
إنها لا تعرف شكلها

إنها المخطئه كان يتوجب عليها البحث في
أرجاء الشقه عن أي صور تخص أمها وجدتها

، لقد اكتفت بتنظيف الشقة ولم تفتش
أي شيء يخصهما هي وجدتها

انشغلت بالبحث عن وظيفة وان تستقر
بحياتها كي تحصل على إجابات من المحامي
في حين أن الاجابات قد تكون حاضرة
كلها في شقتها

- ليتني أملكه

قامت إيما فزعة وكادت أن ترتطم به
وتسقط من أعلى الدرجات وتقع، لولا أن
حاصر بيد خبيرة خصرها النحيل واصطدمت
عينها البندقيّة بشعاع السماء ، وابتسامته

...لو امتلكه الاسكندر لاستطاع العبور
لأسوار بابل في أيام بدلا من أشهر

الفصل الرابع

الهرب أحيانا قد يصبح أحد وسائل المواجهة
المشروعة

أو

في بعض الحالات لا يكون إلا مجرد دعوة !!

دعوة للإقتحام

المغويه أعلنت الهجوم على دقائق قلبها الفتى
وتركزت نظراته على شفيتها المكورتان
بانفراجة تشبه الحلم قادرة على اغواء
قديس في معزله ، وأخذ يراقب تخضب

وجنتيها الناعمة بالدم المتصاعد عندما
استشعرت انفراد كفيه بخاصرتها انفرادا
حصريا لم يسبقه له أحد

واستطاعت بعد مجهود شاق استجماع انفاسها
وهي تدفع بكفيه وهي تسأله بأنفاس لاهثة
:ما هو ؟

نظر لها مليا ثم قال بصوته الأجلش المثير
كواسها الخمس :العزم الباد بقسمات وجهك

كان الباب مفتوحا بضعة انشات صغيرة
تسمح لجسده النحيل بالعبور دون أن يحدث
ضجة

اتجه إلى الداخل نحو الغرفة الصغيرة أسفل
السلم حيث كان يلتقيها دوما

كانت قد خن سيجارا بعصبية وبجوارها عدة
فنجاين بقهوة مريرة استقرت بجوفها منذ
ساعات

وكانما شعرت بثقل صدره يطوف أرجاء
الحجرة الخشبية الضيقة رفعت رأسها إليه

لسر دفين على وشك الكشف عنه
لكنز مغمور على وشك أن يعثر عليه
أو لربما لأقاويل وثرثرة مخفية قد
تنقلب لحقيقة صارخة

في الصباح الباكر ترك سيارته على مقربة
من القصر وسار بخطوات متهدلة نحوه

كان لا يرغب أن يراه أحد ولهذا أتى متخفي
بوشاح ضباب صباحي أسدل سخاؤه على
الحديقة الأمامية الكثيفة بأشجارها

المتفتحة

وارتسمت معالم الأسف على ملامحها
وقامت متشحة بسواد ناعم ، ربتت على جانب
وجهه وقالت بخضوت لائم : لم تنم
خلع عويناته وقال بصوت مرهق : وكيف
يمكننى النوم وانا أحمل هذا الوزر
عبست ونفشت دخان محترق وقالت بعصبية
:كف عن هذا ..نحن لم نخطيء بشيء...هو
نفسه لم يكون متأكدا
رفع حافظ صوته فى وجهها ربما لأول مره فى
حياته وقال :مراد كان مريضا بالواسواس
القهرى ..لم يكون متأكدا من أى شيء

بحياته، كان يتوجب علينا إخبارها ..عاجلا
أم آجلا ستخضع لهذا الفحص
دعكت شاهنדה سيجارتها بالمرمدة وخفضت
رأسها باستسلام مزييف واقتربت منه بنعومة
وألصقت شفثيها فى عنقه قالت بدلال متقن
:أعدك ..ولكن ليس الآن عزيزى ...
ثم رفعت رأسها لتواجهه بعيناها البندقية
الناعسة وأردفت منادية اسمه بهمس مغناج
:حافظ ..عزيزى ... لأجل البنات ..لننتظر
قليلا، بضعة أشهر فقط ..ستكون صدمة لهم
مهما كانت النتيجة

تتركها ، وأن مصاريفها الدراسية كانت
أكثر مما ينبغي

ابتسامته ساخرة انطبعت على شفتيه وهو
يقول : وأنت بالطبع صاحبة تلك الفكرة
جلس تلك المره على رأس المكتب بثقت
وهو يقول : شاهدة بضعه ملايين قد تنقص
من حسابك وقد يبقى كما هو .. ولكن
شئت أم أبيت ستمر الأيام عليها وتفهم
، وسيظل اسمها إيمان مراد وربما رفعت يوما
قضية بأحقيتها بالارث إن علمت بحقيقتها
مرضه

وبعد صمت طويل أثقل صدره حتى أراحه
متنهذا : لك هذا

ابتسمت له بود وأمسكت بكفه وقالت
: تعال لتأكل شيئا

سحب يده وقال : لا .. لن أستطيع على الذهاب
قبل أن تستيقظ الفتاتين
.. لم يسألا عنها ؟

.. علمت شاهدة أنه لن يستطع التخلي عن
أفكاره المعذبة بشأن إيما ولتريحه من
عذاب ضميره قالت : لا . تعلمان أنك لن

وربما طالبت هي بإجراء فحص الشفرة الوراثية. فماذا أنت فاعله ؟

جلست على سطح المكتب بثقة وقالت: ومن أين لها أن تعلم بأمر مرضه، حافظ.. منك؟! مد يده وقبض على كفيها: لن أخون الأمانة شاهنדה.. أنا أحبك نعم.. ولكنى لن ..

قاطعته بحدة وقالت: وأنت السبب.. بسببك أنا تزوجته.. بل لأجلك. أهذا رد الجميل قامت وسارت خطوات عصبية لتشعل سيجارا آخرى وهي تقول: لم تكن لتصبح هذا

المحامى اللامع لولا قضايا مراد. وأنت تعلم أنها ليست بمجهودك وحدك

أخفض حافظ رأسه وتابعت بعجرفة: كنت لتنتهى لمحامى بسيط بأحد المكاتب المغمورة فى الخمسين من عمره لا زوجة لك تعول ولا أولاد. أنا منحتك كل شيء

نفث أنفاسه غاضبا وقام واتجه إليها وقال بهمس غاضب: لم أكن لأمانع... ولكنى سرت عمرى وراء سراب، لأحقق اسما وثروة بها أستحق ابنه منصور العارف. أنا من ضيع عمره، من تنازل عن الزوجة والأولاد لأجلك

تمنى نفسها أنها يوما ما ستصبح حرة بإرادتها
السماء

لم يكن الطلاق أمرا مطروحا فى عائلتها

وكان عليها أن تتحمل

أن ترسم حلما ، وتسير بدريه

يوما ما سيرحل مراد

ويكون حافظ زوجها لها

حافظ حبيبها

ولكنه كان محاميا متواضعا لم يكن

ليرضى غرور أباها

، ولكننى لن أستطيع التنازل عن نراهنى
شاهنده.. لتعلمى هذا جيدا

وانصرف تاركها تحترق مع دخانها المتصاعد

وهى تحسب أنها على وشك خسران قسم

كبير من ثروتها .. لقد عاشت طيلتة عمرها

وصدقت ثرثرة مراد عن خيانتة زوجته وأنها

حتما ليست ابنته .. صدقت تلك الكذبتة

التي اخترعها عقله المريض دون أى إثبات

••• وترفض اليوم أن تبحث ورائها ، إن كانت

حقيقتة أم لا

بعد تلك السنون التي تحملت فيها زوجها لا

تجد متقبلة لطباعه المتقلبتة

ولا زال حافظ كما هو بنزاهته التي تنقص
من ثروته المحتمله كل يوم باعا لا تحتمله
هي

وبعد تقسيم الإرث لن يتبقى لها سوى الثمن
وهذا القصر

لتأتى بعد ذلك من يشك أباهما فى حقيقة
بنوته لها لتشاركها وتقتطع من هذا الثمن
قدرا يسيرا

وبطمع كبر داخلها ونما لم تستطع
الاستسلام

فقط تستطيع الهرب

لم يكن ذا حسب ونسب!!

وكان مراد محطما بجادث زوجته المشبوه
الذى أودى بحياتها

والمرض بدأ يقات من عقله

وبصله الصداقة القوية بين الأسرتين كانت
من القلائل الذين يعلمون بحقيقة مرضه

وقبلت الزواج منه مكرهه

رأت فيه مشروع العمر لحبيبها

ليتسنى لهما الزواج يوما

حلمها الذى كبر مع الزمن بإزدياد ثروة مراد

اهربى

صرخة أيقظت عقلها الذى نوم مغناطيسيا
 بفعل نظراته الزرقاء المركزة على شفيتها
 فأمرت قدميها بالتحرك وفورا نحو الشارع
 وبخطوات متسارعة متخبطة وأنفاس
 متلاحقة بوضحة متعالية طفت أعالي
 الهواء فوقها صاحبها حتى وصلت للكشك
 الخشبي الذى كان صاحبه غائبا لحسن
 حظها وإلا كان طالع وجهها محتقنا بالدماء
 أخافه حتى الموت أو أضحكه كمن تسبب
 بلونه هذا ، وقفت تستجمع قواها وهى تشعر
 بالخطر من هذه ومن نفسها الحمقاء.

هاهى مرة أخرى حمقاء الصباح

والسبب مؤخرا

هو

وبعد قليل عادت أدراجها بخطوات متزنتة إلى
 مقر عملها مؤخرا ، بعدما ابتاعت لبان لم
 تستسيغ ضيافته داخل فمها
 فقد كان ممنوعا بحكم قوانين الدير
 ولكنها وجدت فيه صحبة طيبة قد تخفف
 مقدار توترها
 دخلت فوجدت المكان هادئا لا بد أنه
 اختفى داخل مكتبه

وظنت أنها قد شفيت منه

بحثت عن محرمة ورقية في حقيبتها
الصغيرة ولكنها لم تعثر على واحدة، فبدأت
بهمس تلعن وتسب وهي تحاول العثور على
عبوة في أدراج المكتب المغلق واحدا تلو
الأخر

حتى سمعته يتنحج فرفعت أنظارا مترقبة
نحوه بخجل، فقال لها بإبتسامة ودودة أغرقت
راحتها بطوفان متعرق، عم تبحثين؟
ردت بصوت متحشرج: محرمة ورقية
سحب بخفت واحدة من صندوق زجاجي

وكان هذا أمرا جيدا

أو ربما يعد لها قهوة !!

تخبطت إيما بين أوراقه الظنون بما يفعله هذا
الليث وأي عبث قد يقودها إلى عرينه مرة
أخرى

اللعه بدأت يديها بالتعرق

هي تكره ذلك

كان هذا الأمر يشعرها بالحرج الشديد
وسط زميلاتهما

وقد اختفى منذ وقت طويل

لم يرد عليها وسار بضعة خطوات نحو غرفتي
واستدار وقال لها : لن تحضر .. بالمناسبة
أعددت القهوة .. رجاءا .. احضري لى بعضا منها

وقفت أمام الماكينة الكهربائية التي لم
تري مثلها من قبل ، لا قدرى كيفيه التصرف
بها وقررت سحب فنجان أسود أمامها وصبت
بعضا من القهوة داخله وأضافت معلقتين من
السكر وسارت نحو غرفة مكتبه ودخلت
وضعت الفنجان بحرص

صغير أخضر شفاف يقبع أمام ناظريها
بالضبط وقال بابتسامته واسعة : تفضلى
أخفضت ناظريها ووجهها متورم خجلا وكمدا
وقالت هامسة : أشكرك

بدأت فى تجفيف كفيها تحت أنظاره
المركزة عليها ثم رفعت وجهها له متسائلة
بسؤالا عاديا كان أو أخرق ، لربما استطاعت
صرف أى فكرة قد تخطر بباله لتشعرها
بمزيد امن الحرج هى فى غنى عنه : بأى
ساعة ستحضر دينا ؟

بلوزة حريرية بيضاء تصل بحافتها المغلقة
حتى أطراف جيدها المرمرى وسروال أسود
طويل، شعرها الحريري معقود إلا من خصلته
تسللت من رباطه المحكم جراء هرولتها
المفاجئة دفعتها هي خلف أذنيها
ونهاية ببشرتها الناعمة كالأطفال لا
تشوبها شائبة

وتركزت أنظاره تلك المرة على عيناها
البندقيّة وهو يقول باستنتاج صحيح بصوت
أجش متمهل: لقد أضفتي لها السكر
أومات إيما برأسها وهي تقول: فقط معلقتان

وقالت بصوت هاديء متزن يعاكس الأفكار
الصاخبة داخلها: تفضل.. هل هناك أمرا
آخرا؟

ترك صحيفته ووضعها جانبه وارتشف بضعا
من قهوته وارتسمت على وجهه ابتسامته
منزعجة وقال بغموض: حلوة

رفعت حاجبيها وقالت سريعا: ماذا؟؟!!

تأملها ليث لبرهه، وسارت عيناها عليها لتمنحه
لذة تقييم سريع للهارية منه

ابتسم لها كعادته وقال

وكانما يسطر عليها قانونا من الأفضل لها ألا
تخالفه: أفضلها مرة دون سكر، ولكن
لأجلك سأتنازل تلك المره

لم تعرف إيما أين تختفى طلاقته لسانها
ولكنها عليها بالبحث عنها والتمسك بها
طالما ظلت بالقرب منه، فالهرب لا يصبح
دوما خيارا مطروحا

فقالته بعدما انتشلت نفسها من بحور أفكارها
باتزان يمقته: هل هناك أمرا آخر.. سيدي؟

عندها قرر معاقبتها بعمل دؤوب وشاق لساعتين
لربما فقدت قدرا يسيرا منه، فبعد كل
ما فعله وتخطبه بسيدى !!!

لم يعلم أنه بذلك يمنحها السلام والهدوء
النفسي الذي كانت تطمح إليه.. فالأعمال
الشاقة ببساطته تكون صديقتها المقربة،
بها تنغمس وتنسى الأم الفقد والحرمان
والوحده

.....

عادت إلى مسكنها في تمام الثامنة ابتاعت
عشاء فقد كانت جائعة بحق

رأته كيف يزين غرفه استقبال واسعه لتبرهن
 إتساعا ورحبه لضيوف عائلته كبيرة
 وكيف بقلمه رسم صورا كارتونيه
 مضحكة في غرفه صغيرة لتستقبل مولودا
 سعيدا

وبسمه حزينة على شفتيها في الوقت نفسه
 مولدا يرغب به والدان، اثنان، مجتمعان، سويا
 ومعا .

على حبه

استيقظت إيما من أفكارها وجلت أمام باب
 شقتها وهي تبحث عن مفتاحها الوحيد القابع

لم تظن أنها تستمع هذا القدر في عملها
 فبعيدا عن سطوته وعجرفته المقيتة التي
 قد تنقلب في لحظات مفاجئة إلى حميمية
 مهلكة

هو فنان بالفضرة

على الورقه البيضاء

يسطر رسوما وأفكارا

يحول جدراننا ميتة للوحة تنبض بذكر
 صاحبها

ويمنح الأماكن الفارغة أرواحا تسكنها

جبن.. بالتأكيد شمت رائحته إنه طعامها
المفضل

ردت إيما بابتسامته غابت سريعا وهي تتجه
إلى باب شقتها مره أخرى وأخرجت مفتاحه
ولكن تلك المرة بحركة أسرع وفتحته وما
أن همت بالدخول حتى اعترضت العجوز
طريقها وهي تسألها: أين كنت؟

التفتت لها إيما وكانت على وشك الطلب
منها أن تهتم بشؤونها ببرود ألفته ولكنها
تراجعت فلربما تحتاج للعجوز للعثور على
بعض الأجوبة وقالت بغموض: في عملي

في حقيبتها على مواء قطرة وهي تحوم
وتتلمس قدميها فقضت في الهواء صارخة

وتنامى إلى أذنيها ضحكة مؤنبة للعجوز وهي
تنهر القطرة: روما.. كفى عن هذا.. هيا تعال

قضت الهرة في حضن صاحبته التي اتجهت
إلى إيما الواقفه بعيدا بعدة خطوات وهي
تحمل هرتها الضخمة ذات الزغب الأبيض
الكثيف: لا تقلقى عزيزتى.. هي فقط
ترحب بك

ودست بأنظارها في الكيس الذي تحمله إيما
وهي تتفحص محتوياته بنظرة سريعة وقالت
صوتها الرفيع: آاه أنت تحملين

بعدها منامة كريمية نظيفة والتفتت حوض
 في الغرفة شاعرة بأن هناك خطبا بها
 تلك الطاولة لم تكن بعيدة عن الحائط
 خلفها ببضعة سنتيمترات من قبل
 نهلت الشكوك من صدرها فالتفت إليها
 ودفعتها لتلتصق بالحائط كما ظنت وخرجت
 من الغرفة مسرعة
 أعدت كوبا من الكوكو المفضلة وتناولت
 شطيرة من الجبن مع الخس وما أن أنهت
 عشاؤها البسيط حتى غسلت الكوب
 والطبق واتجهت الى الغرفة الكبرى وأخذت

رفعت العجوز حاجبيها وقالت بدهشة:
 تعملين .. أمر جيد ..تناولى عشاك ونامي
 إذن ، لا بد أنك متعبت .. وانصرفت
 تعجبت إيما للغاية من انصرافها السريع، لقد
 توقعت أن تدس العجوز بأنفها في شأنها
 وتساؤها مزيدا من الأسئلة عن حقيقة عملها،
 ولكنها يبدو أنها متشاركتان بكرة
 الخوض في الحديث مع الغرباء
 دخلت وأغلقت الباب بإحكام وأنارت الأضواء
 كلها، فقد كانت تخاف الظلام وتكرهه
 سارت إيما نحو المطبخ ووضعت أشيائها
 التجهت بعدها للحمام لتغتسل سريعا ارتدت

فقامت مسرعه لتقتحمها ولم تجد إلا
السكون يغلفها ، فعادت إلى فراشها مرة أخرى
ولكن تلك المرة بصحبه سكين !!

.....

صباح اليوم التالى تناولت إيما فطارا يشبه
عشاء الأمس إلا من شطيرة الجبن ومنحت
نفسها نظرة غير راضية فى المرأة المجاورة
لباب الشقة فقد كانت الهالات تلقى بظلالها
الكثيفة حول عيناها جراء نومها المتقطع
وعلامات الإجهاد تظهر جلية على معالم
وجهها

تبحث داخل الخزانة ولكنها كانت

خاوية تماما حتى من الملابس !!

وبعد مرور ساعة ونصف كانت إيما قد فتحت
جميع الأدراج والخزانات بالشقة بالكامل
وانتهت للأشياء

فقط هى متعبة ومرهقة بل وغازبة

فاتجهت إلى غرفتها لتتال قسما من النوم

وبعد مرور ساعات استيقظت بفرع فقد ظنت
أنها سمعت صوت لخطوات مجهولة فى الصالة
الخارجية

قبضت إيما نفسها متلبسههت بجرم التفكیر
 به وبرایه فی مظهرها وهی تحاول قرص
 وجنتیها لتمنجهما مبارکته من الدم الهارب
 منهما وهی تسخر من نفسها ألا تتعجل فأمر
 وجنتیها المتخضب بالدماء أصبح یسیرا
 بفضلہ

وترکت المرأة غاضبه من صحبتها المزعجه
 وخرجت وأحکمت غلق باب الشقة جیدا
 وصممت ألا تعود إليها فی المساء إلا وفی
 حوزتها قفلاً إضافی

وكان أمرا اصطدامها بالعجوز أصبح شیئا
 تنهیا فی حیاتها مؤخرا كو جنتها

المخضبه خجلاً ارتسمت نظرة مستسلمة
 وجه إيما وهی تقابل العجوز المزعجه
 وابتسامته صفراء تواجهها بها وقالت: صباح
 الخیر .سیدتی

لم ترد علیها العجوز بابتسامته كما توقعت
 وإنما قالت بصرامته: عندما تودین العثور علی
 شیء لیس علیک البحث وإثارة الضجة ..

فقط قومی بزیارتی

واختفت

كعادتها

خلف الباب المجاور

خوف سيطر على إيما طردته بقوه وهى
تتمسك بقلبها الصغير الأجوف هديت
الراهبة باتى الذى تورى خلف ياقة بلورتها
البيضاء المغلقة

كم تشتاق إليها وللطمأنينة التى كانت
تمنحها لها

غدا ستصل بها

ولكن عليها الآن التوجه إلى عرين الأسد

ولسوء حظها نسيت إحكام ياققتها الحريرية

وقد لى القلب اللامع خارجه

تحت حمايتها

الفصل الخامس

كان يطالع أحد تصميماته القديمة

يشعر بأن داخله شيئاً تغير

براعة فرشاته..

،عضوية خطوطه

تغيرت..

والسبب عبثه،

الذى أضحى قالباً وفلكاً به يدور

تمنى من أعماقه أن يعود إليه من جديد

صدقه

أن يشكل بأحساسه

لا أن يتشكل بعثت رغباته

أخذ فرشته وبدأ بالعزف على لوحته البيضاء

ودون قصد منه

لا إراديا بدأ برسم وجهها وخصلات شعرها

متطائرة حولها تشكل فراشات وورود

تحاول بأصابعها القبض عليها

لعلها هي لحد بعيد

متزمتة لحد أبعد

تقبض على فراشات حرة تمنعها

تكبح أفكارا وخيالات

كان قد انتهى من لوحته فى ساعات الصباح

الباكر

بدأها منذ ساعات الفجر الأولى

ومضى الوقت ولم يشعر به

وجلس يتمتع بفضجان قهوته المرة

تحت ظلة من أشعة الشمس تطوق رأسه كما

يجب

عجوز مريبة

ظلت تكرر تلك الجملة من حين لآخر أثناء

رحلتها الصباحية

لم تنفك باحثة عن إجابة

تفسير غائب لتصرفات وأفعال أغرب تحيبتها

من كل الجوانب

وكل هذا ولم يمض أسبوع واحد على

خروجها من الدير

رددت داخلها مرة ربما تكون العاشرة

عجوز مريبة

لتنبيهه وتوقف مزيدا من إحساسه

يتأمل براعة عزف أنامله

منتشيا بإحساس غاب لوقت

شغف يتطاير في الهواء حوله

أطاح بسلطة تبلى طغى عليه منذ زمن

معلنا انتصارا حتى على زفيره

والفضل يرجع للبريئة المتمزمتة

صاحبه اللقب الذي لم يحظى به من قبل

سيدي !!

وعشرة غير متوقعة تماما عند الباب المفتوح
على مصراعيه

رفعت نظرها لتتأكد أنه لم يكن شاهدا
على حماقة صباحية أخرى

ولحسن الحظ كان غائبا

ولكن الستائر المرتفعة أخبرتها أنه موجود
ومنذ زمن

••• ورائحه القهوة المسيطرة على الأجواء أكدت
لها صدق حدسها

أخذت نفسا عميقا واتجهت إلى المكتب
وضعت حقيبتها بحرص وسحبت محرمة ورقية

لتمسح قطرات نديّة استقرت بقاع كفتها

رن جرس الهاتف فأجفلها واستدارت لتجيب

بحرفية، كان موعدا تأكده إحدى العميلات

لاحظت إيما أنها لثالث يوم عمل على التوالي •••

لم تتلقى من هذا الهاتف إلا صوت نساء

شعور حارق اجتاحتها بالغيرة ربما مخلوطا

بالسخرية التي تشكل جانبا كبيرا من

شخصيتها

سخرية مرة كقهوته

أو أصبح يجتاح أفكارها بما يفضله من مذاق

شراب

وسحقت دفاء أنامله بخشونة ماتبقى من
 أعصابها المحترقة بفعل اقتحامه لسور
 ياقتها وكسره قواعد بنيت منذ زمن بفضل
 عزلتها ولم تملك إلا التراجع للخلف
 بخطوة.. إثنان ولو استطاعت لأطلقت لساقها
 الرياح لربما بعشرة
 ولكنها شعرت كأنها سجينته
 والقضبان بحور عيناه
 فيها وكفى
 وعقلها يشكل دربا للهرب
 عجوز مريبتة!!

وضعت إيما سماعه الهاتف بعنف حانقة
 وأجفلت مرة أخرى ولكن تلك المرة على
 صوته الأجش يأمرها برقة
 رويدك

التفتت فجأة وتطاير شعرها المعكوص
 لكن عيناه لم تستوعب إلا مشاهدا لتطاير
 قلب أجوف أستقر بين عظمتي رقبتها
 وأيقن عندها أن هذا ما ينقص لوحته لتصير
 أيقونة في الكمال
 وبأصابع فنان مد يده ليقبض عليه برقة

واستطاعت كسر السحر الذى طوقها

وقالت بصوت لا زال يرتعش سريعا:

-لديك موعد فى الثانية ظهرا

زم شفتيه وأطبق على فكيه فكاد أن

يحطم أسنانه غيظا

وانصرف عنها إلى غرفه مكتبه ليلقى لها

أمرا من خلف كتفيه قبل أن يختفى داخله

سأبقى بمكتبي لاتزعجيني باتصالات

أغلق الباب بحدة ورفع الغطاء الأبيض عن

لوحته ليتطاير فى الهواء مرة أخرى وجلس

طعمها

بقلب أجوف

وابتسم بمكر مؤكدا لنفسه

لن يصمد طويلا

.....

مرت ساعات قضتها بضجر تنتظر

ربما مكالمته هاتفية

إحدى العميلات

ولكن السكون كان جليسا

وهو اختفى داخل معزله

ألن يكلفها بعمل ؟!

وجد النعاس لعيناها السبيل

وخرج من معزله تاركا خلفه لوحة لبريئة
 بقلب أجوف، ليشاهد لوحة حية لقطعة
 تتمرغ تحت أشعه الشمس غارقة في نوم
 تملكها

إبتسامته ملئت جوانب وجهه واشرقت

غمازتيه وهو يراقبها

اقترب منها بهدوء كي لا يوقظها وسحب

كرسيا ليجلس مواجهها لها

وبمكر شغل المسجل الصغير خلفه لتنساب

مقطوعة عازفة لشوبان بصوت مرتفع

نظرت مرة أخرى للباب المغلق وتساءلت

بفضول عما يفعله بالداخل

أيا كان ما يفعله فهي تحسده

يجد ما يشغل به وقته

وهي ملت توسد سطح المكتب في انتظاره

لم يسيطر الملل عليها طويلا

فبعد ليلة مزعجة قضتها في نوم متقطع

والهدوء الذي يغلف المكان ونسمات الهواء

الداكنة بفعل أشعه الشمس المنسابة من

النافذة خلفها

دفعت خصلته شعر هاريت خلف أذنها وقالت
 بصوت أبح :أسفه ..لم أشعر ..أقصد ،لم أقصد
 ..أن أقصد

عقد حاجبيه بتسليته من تلعثها بكلمات
 حمقاء كفعلتها وهو يوماً لها برأسه في
 مساعدة سلبية لها يتعمد بها بعثرتمزيد من
 الكلمات وكلها تدور حول معنى "أقصد"
 عندها سكتت

وهي تنظر له في انتظار رد أو ربما عقاب أو أي
 شيء

ولكنها لن تضيف مزيداً من الكلمات

فأجفلتها واستيقظت في الحال أغلق المذياع
 بحركة سريعة والتفتت ليوأجها مرة أخرى

احمرار وجنتها ببساطة قاتل

إضافة لبشرة وردية بفعل الدفء المكتسب
 جراء استغراقها بالنوم ربما لأربعون دقيقة
 متصلة ،شعر بأنفاسه تذوب

ولكنه قال بحرفية وصوت سيطر عليه
 الاستمتاع بتوبيخها

-آنسه إيما أنا لا أدفع لك راتبا لتنامي

أو مجنحا ينفث اللهب

وكان هذا كافيا بإثارة الذعر داخلها وهي
طفلت

ولكن من قال أن الوحش الكاسر لا بد أن
يكون بغیضا، كريها أو قبيحا

لما لا يكون ببساطة رجل أسمر يستطيع
بعيناه فقط إقتحام عالمها وتهديد أمنه
وأمانه وبعثرة دقات قلبها لتنبض بمقطوعة
موسيقية

هي ببساطة نشاز حتى على أذنيها

.....

فالساعة قاربت على منتصف الظهيرة وهي لن
تجعل من نفسها حمقاء الصباح والمساء
بحنان مال إلى الأمام وهو يخترقها بعيناه: لما
لا تعدين لنا بعضا من القهوة

كانت الراهبه باتى تحكى لها قصصا فى
صغرها عن الأميرة والأقزام السبع

عن على بابا والأربعين حرامى

••• عن سندباد والأميرة ياسمينا

وكل الحكايات كانت تتضمن

وحشا كاسر

بكستنائية مشوقته القدر باختصار

فاتنة

صرخه انبعثت من فمها صغيرة أجفلتها قبل
العميلة صاحبة موعد الثانية وهي تهمهم
باعتذار مرتعش واحداً تلو الآخر

-أسفه، سامحيني.. لم أقصد

نظرت لها العميلة متعجبة من هذه الخرقاء
التي وظفها ليث .. أين المحنكة الأخرى؟

أعدت له القهوة المرة وتوجهت بها إلى
مكتبه ولا زالت تشعر بالغضب الشديد من
نفسها

تهمهم بحديث غير مفهوم بدءاً من غيبته إلى
سخيف، مزعج، فاتن

لا، لا، سخيف ومزعج بل ووقح

••• إلى حد الفتنة

سارحة هي

وغارقة في خيالات إجتاحتها حتى كادت أن
تضرب ولكن تلك المرة

-أتمنى ألا أكون تركتك طويلاً في
انتظاري

التفتت ليث للضارغ فمها وراءه وهو يقول
بأوداج منتفخة:

-إيما .رجاءاً أعدى للمدام قهوة ،وأكد عليها
بعدهما ألقى نظرة على عميلته التي تموضعت
بأريحية أعلى سطح مكتبه بإبتسامته
مقتضبة

- سكر مضبوط

مد يده ليأخذ فنجانها من إيما التي كادت
تلك المرة أن تسكبه حرفياً في وجهه

فتح الباب ونظر إليهما وهو يطالع وجه إيما
المحتقن بكلماتها المعتادة مؤخراً حول "لم
أقصد" وهو يقول بشبه إبتسامته:
-دلق القهوة خير، تفضلي جيبي

بسمته مشرقة احتلت وجه المدام وهي تطبع
قبلة دافنة على وجنته تحت أنظار إيما التي
فرغ فمها اندهاشا لهذا المشهد الذي كان
يترجم في عقلها فوراً كأحد المشاهد
المخلتة بالأداب العامه

وتابعت جيبي سيرها داخل غرفته وهي
تقول بدلال:

قبلته!! ..يا إلهي

.....

انتهى اليوم وتقريبا فرت هاربة من

صحبه عندما حضرت دينا في تمام الخامسة

حتى أنها ألقى التحية شاردة على زميلتها وهي

في طريقها إلى الخارج

سارت في الشارع الهاديء بخطوات متسارعة

ولمحت نظرة الرجل الطيب الذي يبدو أنه

يقطن الكشك الخشبي وهو يرمقها بنظرة

لم تفهم كنهها أهي شفقت أم احتقار

ولكنها قالت بجمود :سأعد لك آخر ..لقد

أضحى باردا

واختفت في غضون ثوان من أمامه

وهي تلعنه داخلها مرة وتلعن نفسها الحمقاء

ألف مرة

وقح ،وقح ،وقح

عابث وقح

بل هو فاجر

وهمست لنفسها وهي تسكب القهوة في

المرحاض:

وعادت إلى منزلها حاملة عشائها وفضلا متينا
لم تنسه

بل ازداد إصرارها على حماية نفسها من
المجهول

تناولت عشائها وانتهت من جلي الصحن
الوحيد

واتجهت إلى باب شقتها وأخرجت العدة اللازمة
التي ابتاعتها منذ ساعات وبدأت العمل

حرصت ألا تحدث ضوضاء كي لا تنتبه
العجوز

وما أن انتهت حتى سمعت العجوز تقول بصوت
الرفيع مباركته:

حسنا فعلتي

أجملت إيما وبشدة وشعرت فعليا بالخوف
وابيضت ملامحها

كانت العجوز بارعة في الظهور من العدم
بحق!!

أقسمت إيما داخلها انها التفتت منذ ثوان
قليلة ولم تكن العجوز موجودة

كيف ظهرت بتلك السرعة؟

بل من أين لها تلك الخفة!!؟

كان الظلام حالكا والمكان يبدا وأنه
مكتظ بممتع وحقائب وأثاث، كأنه مخزن
وليس مكان فيه تعيش العجوز
ورائحة مقبلة تسيطر على الأجواء
والمفترض أن تبحث لها عن قطتها الضخمة
ذات الرغب الأبيض
وهي تخشى القطط، وبشدة
ضوء مصباح يدوي اصطدم بعيني إيما
البندقية فأغلقتها بحركة لا إرادية
وسمعت صوت العجوز وهي تقول: هاك. هذا

ألا يجد ربعجوز من عمرها أن تتحرك ببطء
طالبة العون في كل خطوة
قالت العجوز بصوتها الرفيع طارحة أسئلة
إيما أرضا
هل لك أن تساعدني عزيزتي. إنني أبحث
عن روما وهي مختبئة بالداخل ولا أستطيع
الوصول إليها
دخلت العجوز شقتها وكان أمر انصياع إيما
لطلبها أمرا عاديا، مضروغا منه
أغلقت إيما باب شقتها وسارت داخل شقه
العجوز بخطوات متوجسة

فنظرت لها وتماسكت وهي تقول :حسنا
سأذهب الآن

أمسكت العجوز بذراع إيما وقالت بصرامة :لا
،أجلسي ..سأذهب لأعد لك مشروباً ..تفضلين
الشاي ..أليس كذلك ؟

ولم تنتظر منها إجابة سواء بالإيجاب أو
النفى واختفت مرة أخرى

لم تجلس إيما فقد كان القلق والتوتر ينهل
من راحتيتها العرق وانما تجولت ببضعة
خطوات حولها وهي تمسك بالمصباح
الصغير بيد وباليده الأخرى بالقلب الذي
يحملة عنقها وأثناء تجولها وقعت بقعة

المصباح ..انا لم أتمكن من دفع فاتورة
الكهرباء وكما ترين فالظلام دامسا

تناولت إيما المصباح اليدوي منها وبدأت في
البحث عن الهرة اللعينة

حتى عثرت عليها تحت الأريكة نائمة

فقالت إيما وهي تنادي على العجوز التي

اختفت مرة أخرى :لقد وجدتها إنها نائمة هنا
تحت هذه الأريكة

ظهرت العجوز مرة أخرى وببيدها شمعدان

نحاسي قديم وقالت بصوت لامبال أثار دهشه

إيما :حمدا لله ..خشيت أن تكون قد هربت

ملامحها ملائكية ذات شعر أسود غزير
معكوس خلف جيدها بتسريحة تقليدية
وقد نحيل بلباس أبيض محتشم من الدانتيل
ووالدها يبدو في غاية السعادة وهو يمسك
بكفيها

لاحظت إيما وجود دفتر مذكرات مستقر
على الطاولة المستديرة تناولته بسرعة
فتحته بأصابع متلهفة وقرأته بصوت خافت
مرتعش

إلى ذكرى ابنتى ساره.

إلى حفيدتى إيما،

الضوء على صورة لها وهى طفلة صغيرة فى
أحد أركان الحديقة بالدير

نحتت الدهشة ملامحها بدقة واقتربت من
الطاولة التى تحمل صورتها فى إطار ذهبى
اللون رفيع والى جوارها عدة صور أخرى لها
وهى تلعب مع إحدى رفيقاتها وصورة لإمرأه
ترتدى ثوب زفاف إلى جانب والدها وهو فى
ريعان شبابه

إذن تلك هى أمها

أمسكت إيما بالصورة بأصابع مرتجفة

لقد كانت جميلة بحق وتمنت لو أنها تشبهها

إليك يا عزيزتى الحقيقة

قلبت إيما الصفحة لتجد ورقة مهترنة
لصحيفة مجهولة معنونة بخبر بالخط
العريض

"سيارة تشتعل فى حادث أليم أودت بحياة
زوجة رجل أعمال شهير وعشيقها"

عقدت إيما حاجبيها وأنفاسها تتسارع وهى
تقلب الصفحة لتجد ورقة أخرى من نفس
الجريدة والعنوان اعتذار من مديرها عن نشر
خبر مغلوط وجارى التحقيق بالأمر

طلعت إيما تاريخ الخبر لتجده قد مضى على
ستة عشرة أعواماً

لقد كان عمرها سنتان بالضبط !!

همت إيما بقلب الصفحة ولكن أصابع العجوز
التي اختطفت منها الدفتر أربعتها ومنعتها فى
الوقت ذاته

التفتت إيما إليها ولم يثير مشهد ملامح
العجوز تحت أضواء الشموع خوفها قدر غضباً
استعر بجوانبها وقالت بصوت يرتعش حنقاً :
أين عثرتى على هذا ؟

جوارها .. ذكريات مثيرة للإهتمام . أليس
كذلك يا إيمان؟

صححت لها إيمان بسرعة وهي لا تزال تشعر
بالنضور منها ؛ إيمان

أشارت لها العجوز بيدها إشارة تحمل معنى
"لا يهم"

اقتربت منها إيمان وهي تقول باستنتاج
صحيح: إذن أنت من أفرغت الخزائن والأدراج
والحوائط أيضا ، مشيرة بيدها إلى الصور التي
تحتل الطاولة خلفها

أجابتها العجوز ببساطة: من خزانتك
جدتك ..

عقدت إيمان حاجبيها وقالت بغیظ: أعديه إلى
.. ليس هذا من حقك

هزت العجوز رأسها وهي تقول بابتسامته
بغیضة: لا .. هو من حقي ... كوني متأكدة

سارت العجوز إلى حيث كرسي خشبي ذو ظهر
طويل واستقرت عليه وهي تتابع بهدوء: أنا من
سهرت إلى جوارها كل ليلة استمع إلى
نشيجها وبكائها وعندما أقعدها المرض ولم
تجد أحدا يراعها كنت أنا الوحيد إلى

عقدت العجوز حاجبها وهي تقر بغضب ابنتها
 ابنته رجل أعمال ثرى . بالتأكد تملكين
 المال .. لاتمارسين على الألعاب أيتها الصغيرة
 اخذت إيما نفسا عميقا وهي تسترجع وصية
 أبيها المجحفة وقالت بصوت جاف : لم يترك
 لى فلسا واحدا

قامت العجوز وربتت على كتف إيما وقالت
 بشفقة كاذبة : أوووو .. مسكينته .. أثق أنك
 ستتدبرين أمرك وعندها سأكون فى
 إنتظارك .. بابى لك مفتوح دوما ولكنى
 الآن أود النوم

هزت لها العجوز برأسها وأجابتها : نعم .. فكل
 شىء ولديه ثمن : عار على أن أتركه ورائى
 تلك الصور مثلا .. ثمناها فواتير الكهرباء
 المتأخرة

وهذا الوشاح الذى يعود لجدتك والذى
 يدفء كتفى ثمنه فاتورة علاجى الشهرى

أما ذلك الدفتر الذى يحوى الحقيقة فثمنه
 مائة ألف من الجنيهات

ردت إيما بضحكة ساخرة : ومن أين لى بتلك
 الأموال برأيك؟

وعقلها لا يدرس إلا وسيلة للحصول على الرزق
الذى يستقر بشقة العجوز

للحصول على الحقيقة التى ارادتها جدتها أن
تعرفها

أطفأت العجوز الشمعات بطرف إصبعها
واختفت

المصباح الذى كان يستقر بكف إيما كان
بدأ فى الخفوت هو الآخر

وبحكمه آثرت الخروج من شقه العجوز قبل
أن يرحل آخر بصيص منه

وبحركه خاطفة قبضت على صورة زفاف
والديها ولو استطاعت لحملت الطاولة بكل
ما عليها ولكن لمعان عيني العجوز بغضب فى
الظلام منعها فأسرعت بخطواتها نحو الباب
نحو النجاة.

الفصل السادس

مرة أخرى لم تنم إيما ليلتها

قضتها تفكر شاعرة بكمد وغيظ شديد

ما سر ذلك الحادث الذي أودى بحياة أمها

أكان لديها عشيقا؟

ألهذا كرهها أبيها ؟

أيشك في نسبها ؟؟

أيعقل هذا ؟؟

اغتالت الظنون براعة مضجعتها وظلت طوال

الليل تحتبس دموعاً وتعلقت أصابعها بقوة

بالقلب حتى أبيضت معالمها

وأشرقت شمس الصباح عليها وهي لازالت

مستيقظة تحملق في صورة زفاف والديها

تذكر أنه لا بد هناك خطب ما ... لا يمكن

أن تكون صاحبة تلك الملامح الملائكية

قادرة على الغدر أو الخيانة

فأمها كما وصفتها العجوز اللئيمة بالضبط

تبدو كعصفور رقيق

دقت ساعة الحائط معلنة تمام السادسة

فجل ما ينحصر بتفكيرها الآن الحصول على
اجابات تشفى غليل صدرها

جلست أعلى الدرج أمام باب المكتب فى
انتظار حضور أحدهم

تعجبت إيما داخلها عن تكاسل البشر خارج
جدران الدير

فهى بمثل هذا التوقيت كانت قد تكون قد
انتهت من تمارين رياضيه قاسيه واستعدت
لتلقى العلم

وبعد مرور ساعه زمنيته حضر المحامى وهم
بفتح الباب بنفسه إلا أن مشهد إيما التى هبت

ولا يوجد إلا شخصا واحدا بإمكانه الرد على
تساؤلاتها

وبعد مرور ساعه ونصف قضتها بالترىض إلى
حيث مكتبه كان يمكنها الوصول بوقت
أقل إلا أنه بسبب انعدام خبرتها بمعالم
المدينه بعد، لم تستطع

ولكنها مع ذلك وصلت مبكرة، فاللوحة
النحاسيه المعلقة على باب المكتب المغلق
تشير أنه ساعات العمل تبدأ من التاسعه
صباحا

تساءلت إيما عن رد فعل الليث لتأخرها
لأنها لم تكنها لم تهتم

كان عليها أم خوف منها .. وداخله تأكيد
ينمو بأنه بخسها حقها فالفتاة قوية وبحق

وبعد برهة كان يجلس على كرسية وإيما
لا زالت واقفة فقال مخاطباً إيها بلطف
:ارتاحي إيما واجلسي

ردت عليه بقوة : لا ، أنا لن أرتاح حتى أعرف
الحقيقة... لقد أخبرتنى أن علاقتكما
كانت تتعدى كونها علاقة رجل أعمال
بوكيله .. أليس كذلك ؟

رد حافظ بتردد: نعم .. ولكن ..

واقفه ريثما رآته أثار دهشته والقليل من القلق
بداخل نفسه فقال منزعجاً: إيما .. ما الذي أتى
بك في تلك الساعة ؟

ردت إيما بنبرة جافة متجاهلة سؤاله بما
اعتصر قلبها طوال الساعات الماضية : أكان
لديها عشيق ؟ ألهذا كرهني ؟؟

كاد أن يتوقف قلبه عن النبض وابتعد
عنها ببضعة خطوات للخلف ليفتح الباب بيد
مرتعشة والعرق يتصبب من جبهته ... لقد
حان الوقت ليخبرها الحقيقة .. ظن أنه
مستعداً لتلك اللحظة منذ أيام قليلة
لأنه يشعر الآن بخوف شديد لا يعلم إن

وقضت إيما تراقب انفعالاته ليزداد يقينها
 أنه يعلم الكثير وهي لن تبرح هذا المكان
 إلا برفقة حقيقة تمحى بها ظنون الماضي
 والحاضر والقادم مجتمعين
 جلست قبالة وانتظرت صامتة وأنظارها
 مركزة عليه حتى حفظت ملامح وجهه عن
 ظهر قلب
 حتى رفع أنظاره لها أخيرا قائلاً بدبلوماسية
 مكتسبه بفضل مهنته: كان مراد موكل
 وأسراره سترافقني إلى قبري وأيا كان
 ماسمعتيه بشأن والدتك مالم تملكى عليه
 دليلاً واحداً فهو لا أساس له من الصحة

قاطعته بقوه مرة أخرى وهي تقترب منه
 بإتهام: وأخبرتني أنك تتفهم داو فعه
 ليكتب تلك الوصية المجحفة بعدما
 أهملنى عمرى كله
 صمت ولم يملك جواباً وطأطأ برأسه وهو
 لا يدري كيف وبماذا يجيبها .. ستغضب منه
 شاهنده إن أخبرها بحقيقة مرض مراد
 .. ولكن من ناحية أخرى هو لا يستطيع تحمل
 مثل هذا الوزر ليس فقط بحقها بل بحق من
 تورات تحت الثرى ولم يعرف هو نفسه يوماً إن
 كانت مجرمة أم أن تلك هلاوس زوج مريض
 تقا حىء بموت زوجته فى سيارة رجل غريب

كل ما استندت عليه بشكوكها قطعت
ورقية ممزقة لجريدة مجهولة في دفتر
مذكرات قد لا يكون من الأساس يعود
لجدها

بل قد يكون بالأصل لعبة حقيرة من العجوز
اللئيمة لتبتز منها الأموال، ولكن ماتفسير
معامله أبيها لها على مرور السنون الماضية
سؤال ظل يجلد لها حتى اليوم حتى تساقطت
دمعة ساخنة من مقلتيها وهي ترتجف بشفاه
بسؤالها الأبدى: لم؟؟ لم هجرني .. إذن؟؟ لم
...

ضاقت عينا إيما وهي ترد عليه بثقة
:ولكنك أخبرتنى سابقا أن أحصل على
عمل واستقر بحياتي عندها ستطلعني
على إجابات تشفى صدري

عقد حافظ أصابع كفيه واستقر بهما على
سطح المكتب ومال إلى الأمام وقال بنبرة
هادئة: نعم .. فعلت .. ولكنك حتى الآن لم
تستقرى إيما، فعند أول مهب لرياح الحياة
وتقاذفتك الظنون حتى طار عقلك وظننتي
انك لست ابنته بل ووصمتي أمك بعار
الخيانة

لم تمتلك إلا الصمت إجابة، فقد كان محقا

رفعت إيما أنظارها له وأدركت المعنى
المخفى وراء سؤاله ، أن تتناسى وتركز في
الحاضر وأقرت داخلها أنه كان محقاً فقالت
وهي تمسح دموعها بطروف أناملها وهي تتنهد
:نعم

سألها باهتمام :كيف هو ؟

وبذله لسان قالت سريعاً :مثير

حملق بها حافظ فأردفت لتصحح ذلتها : -
مثير للإهتمام ..تصميمات الديكور وتغيير
المكان بلمسات بسيطة ..أمر مثير للإهتمام
حقاً ..

وصمتت وتوالت العبرات مدارا على صفحة
وجهها الناعم فأخفته عن عيون المحامي
بكفيها ،يكفيها خزي الشفقة بعيناه
كاد يصرخ بها ليريح قلبه من الآمه "لأنه
كان مريض" ولكنه لم يستطع

ستوبخه شاهنده وبشده وربما تركته .بعد
كل هذا العمر ..هو لا يستطيع خسران حلمه
وحياته

فأثر الصمت المعذب والمعذب

وقال متوددا لها بسؤال ليخرجها من دوامتها

الآله :حصلتى على عمل ،هاه؟

إيما .. أنت فتاة طيبة ونقيّة .. وأرجو أن
تطلعيني على أخبارك كل حين

.....

وصلت متأخرة بساعتين عن موعد عملها
دخلت متوقعة ردة فعل غاضبة ومؤنبّة من
الليث ولكن المكان كان ساكنا للغاية
سخرت إيما داخلها

ربما يكون الهدوء الذي يسبق العاصفة

تنامت خطواتها إلى حيث مكتبه والباب
كان مفتوحا على مصراعيه والمكان خاويا

وأردفت كاذبة فيبلا مس القريب غرقت
بنعاس ملول : في الواقع يستنذ كل وقتي
وطاقتي

ابتسم لها حافظ : إذن لم تلق البطاقة
البيضاء استحسانك بعد كل شيء

قالت إيما مدافعة عن نفسها : لقد عزمتم على
الذهاب أولا لعنوان شركة التصميمات فقد
كان أقرب وقررت إن لم أحصل على عمل بها
سوف أتوجه إلى ال.....

قاطعها بإشارة من يده : لا عليك .. الخيار
خيارك .. أتمنى لك التوفيق من كل قلبي

لا حظت إيما وجود لوحه كبيرة مغطاة
مقابله للنافذة أمامها فاقتربت منها بفضول
تود رفع ولو جزء يسير من القماش الذي
يحجبها حتى سمعت صوته خلفها فأجفلها
واللتفتت كأنما قبض عليها بالجزم المشهود
وهو يقول لأنما :حضرتى أخيراً

اقترب منها ويده تحمل فنجانه من القهوة
المره ،ووقفت أمامه كتلميذة فاشلة ولم يغب
على ناظره الهالات الداكنة التي تحيط
بعيناها فالتهمت جزءا يسيرا من جمال
بشرتها فمد أصبعه يتلمسها
وهو يقول بغیظ :إنى لأحسده

تراجعت للخلف خطوة هاربت من لمسائه
الجريئة وهى تقول باستغراب :من؟
أجاب بحميمية وقد ضاقت عيناه :هذا الذى
يقض مضجعك بالليل، إنه لمحظوظ
رفعت جانب فمها بشبه إبتسامته ساخرة وهى
تؤكد له بغموض: بل إنه لميت
ثم رفعت أنظارها لتواجه معالم وجهه
المندهشة والغاضبة وهى تقول بصوت جاف
:أسفه لتأخرى ..أعدك انه امرأ لن يتكرر
رفع لها فنجانه وهو يقول بقسوة :ستجدين
قهوه بالماكينته صبى لنفسك الكثير،

وما أن جلست حتى وجدته واقفاً فوق رأسها
وهو يضع رزمة من المجلات وهو
يأمرها: اخرجي منها تصميميما يليق بمحل
ألعاب زوجية
.وانصرف

عقدت إيما حاجبها وهي تهتمهم "ألعاب
زوجية..ماذا يعنى؟"

ظننت إيما أنه يقصد محل لألعاب الأطفال
..ولكن أليس عجيباً وجود ألعاب لزوج من
الأطفال فقط ..لم لا تصمم ألعاباً لمجموعة
من الأطفال أو طفل واحد حتى ..شعرت إيما
أنه يوجد خطباً ما ..أمراً لا تفهمه

فلدينا يوم طويل من العمل ولا رغبة لي في
توسدك المكتب نائمة كالأمس .

عادت أدراجها الى مكتبها وببداها فنجان
قهوة لم تستسيغ طعمه فهي بحياتها لم
تتناول المنبهات من قبل بالأضافة أنها أرادت
تذوقها مرة وهي من كانت تفضل

الكوكو الحلوة

ولكن داخلها رغبة تتصاعد في تجربة كل
ما هو جديد والأكثر كل ما هو يحب ويفضل
،ربما استطاعت فهمه وفهم مزاجه المتغير
بإستمرار

بالضيق الشديد وأخذت تفكر حتى لو
حصلت على تصميم جيد برأيه ،كيف
ستتعامل معه وقتها ..أسيحدثها عن تلك
الأمور ..أسيطلب منها أحضار أشياء تخص
تلك "الألعاب "

ستموت خجلا عندها وليس عليها القلق بشأن
شاهد قبرها

تصورت ما سوف تفعله وقتها ،هي حتما
ستوشم وجهه بصفعة يستحقها وعندها
ستذهب لتعد شراب الكوكو

وارتسمت ابتسامته مشرقته وانبعثت منها
ضحكة حاولت كتمها جراء تخيل المشهد

وقررت بالبحث في الشبكة العنكبوتية
عن معنى "ألعاب زوجية" ..وبمجرد ظهور أول
صورة تخص هذا المعنى حتى صار لونها أحمر
كالأشياء الكثيرة التي تختبرها عيناها
لأول مرة وكاد يغشى عليها من هول ما رآته
فأغلقت الحاسوب بحركه سريعه وأخذت
نفسا عميقا وقد قررت عدم الخوض في تلك
الآله مرة أخرى بالبحث القريب أو البعيد
واكتفت بالمجلات أمامها

أخذت في تقليب الصفحات صفحة بعد
الأخرى بملل فما تراه الآن لا يكاد يقترب
مقدار أنمله مما رآته منذ ساعة ،حتى شعرت

تخيلت إيما مرة أخرى مشهد الصفعة الذي
يستقر فوق وجهه الوسيم وابتسمت وقالت
بثقت: عذرا سيدي ولكن هذا ليس من
شأنك

رفع حاجبيه دهشة من قوة تماسكها، تلك
الصبيّة التي لم تتخطى العشرون عاما تقف
الند بالند له وقال ليسطر عليها قانونا به
يحظر أسطورة التعامل الرسمي في عالمها
:ساخبرك إذن ما هو شأنى .. إياك أن
تخاطبيني مرة أخرى بهذا اللقب .. لسنا في
العصور الوسطى وأنت لست خادمتي .. اسمي
ليث .. مفهوم

فقط وهي تقلب الصفحات مرة أخرى عليها
تحصل على تصميم

صوته بدا معتادا لأن يجفلها أو يقبض عليها
بالجرم المشهود، فما عادت تبالى بل رفعت
رأسها بعند وهي تواجه إتهام عيناه وهو يقول
:طلبت منك البحث عن تصميم لا قراءة
عامو النكات والكاريكاتيور

ردت إيما نافية ببساطة: لا يوجد عامود
للنكات هنا

زم شفتيه غاضبا وهو يجلس قبالتها قائلا
بحدة: علام تضحكين إذن؟

رد ليث متعجبا :لدينا عمل بالخارج هيا
استعدى احملى دفتر ملاحظاتك واتبعينى

قام من مجلسه وتركها متجهها للخارج
فحملت إيما حقيبتها بعدما وضعت فيها أقلاما
كافية ودفتر الملاحظات منصاعة لأمره
حانقة

أغلقت الباب جيدا ووجدته ينتظرها فى
الحديقة الضيقة عبرت البوابة وأحكم هو
غلق المزلاج وقال لها ببساطه مشيرا لدرجاته
البخارية :هيا أصدى

حملت فيه إيما دهشه وقالت :ماذا ؟

واستطرد بحرفية :هل عثرتى على تصميم
مناسب ؟

قالت مستنكرة بفلسفة إنه ليس بالأمر
المناسب لأعثر له على تصميم مناسب
عندها أجاب ببرود مترفع :القرار ليس
قرارك ..يبدا وأنه لاخبرة لك بهذه الأمور
سأعهد بالأمر لدينا إذن ..أستعدى الآن
للخروج
رفعت إيما حاجبيها ..أيقوم بفصلها من
العمل !!

وقالت بدشه :ماذا؟لم ؟

ومرة أخرى أنصاعت لأمره كارهة فقال
مباركا فعلتها: فتاة طيبة .. وأردف بمكر
:أحيطى بخصري كي لا تقعى،

تمنى من قلبه لو يستطيع الإستدارة فقط
بوجهه ليرى قسامات وجهها الذى أقسم داخله
أنه يشتعل خجلا ولكنه أستطاع كبح
جماح نضسه فهو كان واثقا انه لن يمانع
بتذوق شفيتها عندها

انطلق بالدراجته مسرعا فمدت يدا مرتجفة
لتحيط جذعه القوى مثيرة داخله شعورا
جارفا بالسيطرة والقوة شاعرا أن لقب سيدى
لا يضيئه حقه

قال بنفاذ صبر وهو يستقر على مقعدها
الجلدى الضيق: قلت أصدى خلصى
وقضت إيما مرتبكة وهى تتمتم: ولكن
..أنا... ثم استعادت رباط جأشها وهى تقول: لا
لن أفعل

استدار لها ولمعت زرقته عيناه وهو يقول
متحديا: أتخافين؟

اتهامه له بالخوف أثار ضيقها وقالت
نافية: كلا

فهو الليث

.....

كان قد أنهى محادثة هاتفية مع الخادمة
وهي تخبره أن سيدتها لاتزال نائمة فأمرها أن
توقظها لتخبرها أنه سيكون بالقصر في
غضون نصف ساعة وعليها إستقباله
وطيله الطريق وهو يشحذ عزيمته بمواجهتها
بما استقر عليه من أمر

لابد لها أن تضم إيما لرعايتها على الأقل
عليها ان تمنحها حق العيش في القصر

خطة اختيها

عار عليها أن تلقى بالفتاة بعيدا ، طالما
استباححت إرثها

وان رفضت فعندها سيصر هو على إجراء
فحص للشفرة الوراثية حتى دون علمها
هو يثق أن الصغيرة سهى لن تمنع فهي
بعكس الأخت الكبرى تمتلك قلبا حنوناً
شغوفا .. كانت تشبه جدتها .. تلك
المسكينة التي أسكنها مراد دارا للعجزة
لأنها كانت تبعث بأخبار إيما وصورها إلى
وداد رغبتة في التسريته عنها واعتبر بوسواس
سيطر على أفكاره أن أمه تتآمر عليه هي
الأخرى

-هل ستنصرف الآن سيدى؟

أطرق برأسه قليلا ثم قال:

-أخبرى الهانم اننى قد مررت بها

هزت الخادمة رأسها بأدب جم مؤكدة له :

-بالتأكيد سأفعل

وبعد انصرافه بثوان معدودة كانت فى غرفة

سيدتها التى كانت تطالع الصحف فى

الضراش لتخبرها بانصرافه وهى تضع فنجان

الشاي الذى تفضله سيدتها فى هذا الوقت من

النهار على الطاولة المستديرة أسفل النافذة

وصل القصر منذ قرابة الساعة وهما هو الآن

يرتشف فتجان القهوة الثانى على التوالى

الذى أعدته له خادمتها العجوز وجلس بتوتر

ينقر بأصابعه على سطح المكتب فالهانم

كانت لا تزال نائمة

مدلته هى

أموال مراد أمنت لها الدلال

كما اشتهدت دوما

وضع عويناته واستقام من مجلسه وسار إلى

الخارج

أخبرته الخادمة المطيعة قائلة

الواسعة ورتبت أزهارها بأصابع محترفة
سريعة

تنهدت شاهنده وكأنما جبل قد أزيح عن
كاهلها وقالت وهي تنفض الشراشف
الحريرية واتجهت إلى النافذة لتتأكد من
رحيله ودون أن تحيد بناظريها عن الأفق أمام
ناظريها قالت للخادمة جوارها

-أعدى لى ملابسى يجب أن أذهب فورا

للبنك ولا تنسى مراجعة حقائب الفتاتان
،فالطائرة ستقلع فى المساء

هزت الخادمة رأسها بانصياح وانصرفت لاداء
أوامر سيدتها بينما كانت شاهنده ترتشف
القليل من شاي الأزهار الذى يؤمن لبشرتها
الحماية الكاملة وهى تراجع خط سيرها
لهذا اليوم الهام

بقى لها بعض الإجراءات البسيطة لتحويل
كافة أرصدها للخارج والقصر ستعرضه
للإيجار أو البيع ريثما تستقر بوضعها فى
سويسرا

والفتاتان

هذا الجزء الأصعب

لم تستوعب سهى ضرورة السفر ومغادرة البلاد
 لكن نهى الكبرى كانت اول من سعد بهذا
 الخبر
 فهي لطالما تطلعت للرحيل والعيش بالخارج
 وحملت أمها عبأ أمان ورغبات لم تكن
 بحسبانها

كانت فقط تود الهرب

كان يتطلع لها بدهشة بالغه

من تلك ؟

ومن أى أرض أنت

بل من أى سماء هبطت !!

مؤكد أنها تمتلك طلّة أليس فى بلاد
 العجائب

شعر معكوس خلف رقبتها بإحكام

ووجه خال من المساحيق

وملابس تشبه ملابس مدرسية اقلعت أخته

عن إرتداؤها منذ الزمن

والأعجب أنها برفقة ليث

صديقه

بئر النساء

وفي النهاية يصطحب تلك لجلسة تصوير
عارضات بمتجره الذي يقع في أحد أغنى
مناطق البلدة والمتخصص فقط في كل
مايهن المرأة من عطور إلى ملابس مخصصة
فقط لإشعال اللهب في مخيلة أمثاله من

الرجال

تصاعدت خطوات ليث باتجاهه وعلى ملامحه

يا فطة غير مرئية

غير قابل للإقتراب

غير قابلة للنقاش

وخلفه تتعثر الحمقاء بخطوات غير محسوبة
وهي تراقب بعينين مذعورتان المكان حولها

عارضات عاريات

راوائح ملهمة ذكية

واللون

أحمر مشير

وخوف يسيطر عليها

وعقلها يسطر جملة أخرى

بيت للدعارة

أتبادر بالصراخ أم تهرول إلى الخارج مسرعة؟!!

-إيما-

صوته المتعجل أرجفها وتابع وهو يزمجر بها

-لا تقضى كالبهاء أحضرى قلمك وتعالى

أملأها بعض الملاحظات عن لون الطلاء

والإضاءة وبعض النواقص التي تلزم المكان

ثم أمرها بالإنصراف إلى الخارج وتخبره أى

نوع من النباتات فى محيط المتجر ليقرر

أيستبدلها أم لا ؟

كل هذا ووجهها كلون جدران المتجر بل

أشد

وبفعل الضوء المنبعث فى الكاميرات التي

كانت تلتقط صوراً للعارضات وهن يظهرن من

أجسامهن أكثر مما يخفين

كانت عينها تقريبا فقدت قدرتها عن

الإبصار الصحيح

فاتخذت طريقها للخارج مشوشة الذهن

والبصر تتعثر بكل ما هو قائم أرضاً ومدلى

من السقف المنخفض

أطلق سيف ضحكة عالية وهو يطالع وجه

صديقه المحققن

هز رأسه نافيا : كلا ، الطلاء غير مناسب
فاللون مكرر

ضافت حدقتا سيف وهو يقول :حقا .. أى لون
تقترح إذن

رد ليث بثقتة كبرى :الأبيض بالتأكيد

هز سيف رأسه موافقا وهو يقول :واضح
..جرىء ..مشير

ومرة أخرى استطاعت بيسر جذب الأنظار
إليها

فقد تعثرت مجددا ولكن تلك المرة
بخاصرة عارضة ضيقة سمراء وهى تتلمسها

فالحمقاء جذبت الأنظار إليها وهما هو يكاد
يفقد مكانته بين العارضات فلطالما كان
صعب المنال .نظر بغيظ إلى صديقه الذى
كان يسأله

-من تلك؟؟..من أين أحضرتها ؟

قال ببرود وهو يتلمس الطلاء الحديث بأصابع
خبيرة

-مساعدتى الجديدة ..تعلم العمل يزدهر
ودينا مكلفة بالكثير ،أحضرتها لتساعد

رد صديقه وهو يقول بغير اقتناع :ولكننا
قاربنا على الانتهاء

لا توجد أزهار فقط نباتات وزروع بحاجتها
للتقليم .. وكادت أن تتلعثم بلفظ "سيدي"

ولسوء حظه نادته دون ألقاب كما أراد

ليث

أمام الجميع

أمام صديقه الذي نظر لها بمكر

وأمام العارضات اللاوتى أمطرنه بنظرات

الإستهجان

وزار هو

-إذن هيا بنا

بادراك متأخر فعلتها الحمقاء وقالت دون
تفكير وهي تبتعد بأناملها "بشرك
ناعمة"

سدت لها العارضة نظرة مستنكرة

عندها قالت إيما بصوت متردد

-أقصد قويت

وهي تشير لها بسبابتها إلى الأعلى

وكانت عيناه هو الآخر تحلق بالأعلى وهو

يدعو الله أن يلهمه الصبر

نظرت له إيما وهي تقول بثبات:

الفصل السابع

دقت الساعة الخامسة معلنة توجب رحيلها
 فقررت استجماع شجاعتهما والتوجه نحو
 مكتبه فمئذ عودتهما من رحلتها
 الصباحية الباكرة وهو يعتزلها
 كان يبدو عليه الغضب الشديد انتفخت
 أوداجه بشدة وشعرت هي بنيران جسده
 المحمومة وهي تلتف بأطراف أصابعها حول
 جذعه في طريق العودة فوق الدراجة
 البخارية الجامحة وعندما ترجلت نباتها
 تحركاته العاصفة أن عليها التزام الصمت
 وقوته وهو يصعد الدرج لأعلى دون أن

يلتفت لها بكلمة وعندما لمح طرفها خلفها
 قال لها بخشونة دون أن يلتفت "لا تزعجيني
 ومن وقتها وهي تجلس تتلقى الاتصالات قارة
 وتتجول بالمكان الخاوي دون أن تفعل شيئاً
 قارة أخرى...

نظرت مرة أخرى إلى الساعة المعلقة على
 الحائط لقد تخطت الخامسة بربع الساعة،
 ولم تحضر دينا بعد...

عندها أخذت نفساً عميقاً وقررت
 مواجهة الأسد

هي لم تخطئ بشيء

.....

ظلت طول الطريق تفكر في أمره وما الذي
أغضبه منها وشعرت بالضيق لأجله

هي لا تود إغضابه

لقد أصبح يمثل لها صحبة لطيفة في الأيام
الماضية رغم أنه يشير حنقا للفاية

يعوضها عن صحبة الراهبة باتي

اتسعت عينها بضرع:

- يا إلهي، لقد وعدتها بالاتصال

الذي انزوى بركنه، فهو وان أراد لن يستطيع
افتراسها

دقت بطرقات لا تخطيء عزمها فوق الباب
الموصد وبالمقابل سمعته يهدر

" اذهبي "

لم تتوقع تلك إجابة ولا تلك معاملة
أيصرفها من خلف الباب

••••• حقتنت بشدة وزمت شفيتها وتوجهت
غاضبة نحو مكتبها مرة أخرى لتحمل

حقيبتها وتنصرف الى بيتها

••••• ذهب بغضبه إلى الجحيم المستعرة

صعدت درجات السلم وهي شاردة في أمره

مرة أخرى، حتى وصلت إلى باب شقتها

وأخرجت مفتاح القفل أولاً وفتحته ثم أدارت

مفتاح الباب وما أن فتحته حتى شعرت بشيء

ثقيل قد مر على قدميها بسرعة

فصرخت فزعرة وقضرت في الهواء وتعالق

صيححاتها وهي تنظر نحو القطعة الضخمة التي

كشرت لها عن أنيابها

نظرت لها إيما بضرع..

لقد كانت بالداخل ولكن كيف؟

ابتاعت عشائها على عجالته وتسارعت
خطواتها نحو المنزل وهي تحاول تذكر

أيوجد به هاتف؟

هي لا تذكر إن كانت رأت واحداً وهي
تنظفه

همست لنفسها

يال حماقتي

وأخذت رغما عنها تفكر به مرة أخرى

"بالتأكيد هو غاضب مني، فأنا بالفعل

حمقاء"

وأخذ الهلع يسيطر عليها فأصابتها برودة
امتدت لأطرافها ودقات قلبها المتنافرة لا
تتوقف عن الهذيان..

جلست على طرف الكرسي وهي تمر بكفيها
على قدميها في محاولة منها لإرسال الدفء
لها وهي تهدئ من روع نفسها قائلة بصوت
خافت:

- اهدئي، لا بد أن القطرة تسلت منذ الصباح
لقد تلكأت لبعض الوقت عندما كنت أبحث
عن مفتاح القفل لا بد أنها انسلت إلى الداخل
ولم أشعر بها واحتبست بالداخل طول النهار

ورفعت أنظارها نحو باب المجاور لها ورأت عينا
العجوز تلمعان داخل ظلام شقتها تحد جانها
بنظرة كريهة وهي تشير لقطتها
بكرة صوفية رمادية وتأمرها بالدخول
أطاعت القطرة أمرها بسهولة تامّة وأغلقت
العجوز الباب بقوة في وجه إيما التي بالفعل
كادت أن تموت فرعا

دخلت إيما شقتها بخطوات بطيئة وأضاءت
الأنوار كلها وأخذت بالتجول فيها تتأكد من
كل منافذها لتجدها جميعها مغلقة لا توجد
نافذة واحدة مفتوحة

تركت الطعام وقامت تبحث عن الهاتف
ولكنها لم تعثر على واحد أ خمنت إيما أن
الجدة لم تكن تملك واحداً بالأساس
شعرت بالحنين لها رغم أنها لم تعرفها يوماً
فأبيها الذي عرفته لقليل من الوقت في
حياتها لم يكلف نفسه عناء تأمين سقف لها
أما جدتها ففعلت ولولا الجارة العجوز لأصبح
المكان أكثر أمناً واطمئناناً..
دعت لها ولأمها بالرحمة والمغفرة من كل
قلبها وتنازع حلقها غصّة إذ لم تتمكن من
الدعاء لأبيها ولم تستطع إكمال عشائها
أيضاً..

حاولت أن تقنع نفسها بالمنطق أن هذا ما
حدث فالباب مغلق،، جميع النوافذ مغلقة وان
كانت القطرة تمتلك
سبعة أرواحاً لا بد لها أن تفقد واحدة لتتلبس
بالسبعة الباقية وقد كانت حية ترزق لوقت
قريب للغاية
وعندما هدأت دقائق قلبها وانتظمت أنفاسها
بعض الشيء قامت لتغير ملابسها وشرعت في
إعداد عشائها وأثناء تناولها لشطيرتها
اليومية تذكرت الراهبة باتي

غيب رغم لم تستخدمها يوماً ولكنها كانت
تشعر أنها قد تحتاجها وقد صدق حدسها
أتاها من الطرف الآخر صوت هادئ وقور ميزته
إيما على الفور أنها الراهبة الأم فابتسمت إيما
بحبور وألقت عليها التحية بأدب جم
وبالمقابل رحبت بها الراهبة العجوز بصوت
ودود للغاية وقد استطاعت تمييز هويتها بيسر
تام

طلبت منها التحدث للراهبة باتي فكان
لها ما طلبت في غضون دقائق معدودة
أتاها صوتها مرحباً معاتباً قلقاً للغاية
استشفت منه على الفور ملامحه المتغيرة عند

نظرت للساعة فوجدتها تمام السابعة
والراهبة تخلد إلى النوم في التاسعة وقررت
ارتداء ملابسها مرة أخرى والخروج للبحث عن
هاتف لتطمئن عليها وتطمئن بها، فقلبها
الأجوف لا يكفي وحده وهناك أصابع
دافنة امتدت إليه كلما تلمسته طالبة منه
العون غزت تلك الذكرى عقلها حتى أنها
فكرت في خلعه ولكنها لم تقوى

سارت لبعض الوقت في الشارع حتى عثرت
على كشك جرائد به هاتف نقدت البائع
أجرته ودقت الأرقام التي تحفظها عن ظهر

- نعم، ألتقي بهم.. أحزري ماذا، لقد حصلت
على وظيفة وأنا الآن أعول نفسي كما كنت
أتمنى دوما

ابتسمت الراهبة بقلق واستطاع أن ينتقل
للطرف الآخر وهي تقول لها:

- وظيفة؟؟.. بتلك السرعة إيما
ردت إيما على الفور:

- لا تقلقي الأمور كلها بخير

لم تصدقها الراهبة وقالت:

- وكيف حال القلب

كل كلمة تصدر منها و لمعت عيناها بدموع
وهي تهمس لها

- افتقدك للغاية

ردت الراهبة باتي

- وأنا أيضا عزيزتي.. افتقدك للغاية،

حديثيني عن أحوالك، هل قابلت أفراد
عائلتك"

ردت إيما بجمود كانت لا تود الخوض في

الحديث عنهم ولا أن توغل صدر الراهبة

بالقلق عليها وعلى أحوالها فقالت بصوت

متسارع الأنفاس:

داخله كان مايطالعهها فدخلت وأغلقت
الباب جيداً وخلدت إلى النوم

استيقظت صباح اليوم التالي بعدما قضت
ليلتها في أحلام مضمנית تركض وتركض
حتى شعرت بألم فعلي ينخر عظام قدميها
فقامت متعبة وجلست لبرهة في سريرها
الواسع وهي تمسك بالقلب تستمد منه القوة
لكي تنهض وأخيراً فعلت

تناولت ما تبقى من عشاء الأمس كفضول لها
فحياة التقشف التي كانت تقضيها الراهبات
في الدير كانت لا تزال تؤثر فيها

ردت إيما بعد برهة لا تعلم إن كانت صادقة
أم لا:

- لا زال أجوف

ردت الراهبة بصوت خاشع:

- أمهلي نفسك بعض الوقت إيما ولا تتعجلي
بشيء

أخذت إيما نفضاً عميقاً وقالت:

- سأفعل

وضعت السماعة وسألت البائع إن كان يريد
أموالاً إضافية فشكرها رافضاً وعادت إلى
سلكتها وفتحت الباب متحفزة ولكن الصمت

فلا معنى لإهدار النعم سوى الجحود بها
ويعطية الله

ارتدت ملابسها المعتادة بلوزة قطنية بلون
أبيض و تنورة سوداء امتدت لمنتصف
كاحليها ورفعت شعرها وثبتته بدبابيس لا
خصلات هاريت ولا متأرجحة معها في مشيتها

كعكة مثبتة أعلى رأسها

رطبت بشرتها بكريم رخيص اعتادت
على استخدامه منذ سنوات

فبشرتها النقية لم تعرف يوماً منتجات
التجميل الباهظة

وشفتيها الوردية لمعت بلمعة طفيفة ب
الكاكاو الشفافة

مظهرها كان متزمتاً أكثر من المعتاد

بريئاً أكثر من المعتاد

بلونيه الأبيض والأسود

لا رمادي

لا ظلال

لا بين وبين

واضحة

محددة

صريحة

حتى وان كانت غامضة

وما كانت سوى ساعة زمنية حتى وصلت
إلى مقر عملها صعدت الدرج ووجدت الباب
غير موصل فتعجبت وأقرت داخلها ساخرة
"لن يكون لها يوماً بداية صباح اعتيادية
طالما ظلت برفقته"

••• ودخلت متوقعة وجوده رغم وصولها قبل
موعد العمل بساعة كاملة

لكن المكان كان مظلماً رفعت الستائر
وسمحت لأشعة الشمس بفرض سيطرتها عليه
في غضون ثوان معدودة

وذهبت للمطبخ الصغير لصنع القهوة فهذا ما
كان غائباً رائحة القهوة المنعشة للحواس
روت الزرع الأخضر والذي انتشى بفعل قطرات
الماء

وشعرت بالسكينة لبرهته

ولكن أين هو؟! ..

أيعقل أن يكون غادراً مس ولم يحكم غلق
الأبواب

طالعتها الغرفة بظلامها وسكونها فسارت
 بهدوء لترفع الستائر المعدنية لتحتل أشعة
 الشمس أرضها ببقعة مضيئة واسعة طالت
 جوانبها
 والتفتت
 وكادت أن تموت هلعاً عندما سمعت تأوهات
 راته مكوماً بملابسه منذ الأمس على
 الأريكة وزمجر بها بصوت متعب:
 - ماذا تفعلين أيتها الحمقاء؟
 وضعت يدها على صدرها وأخرجت أنفاسها
 المحتبسة وهي تمتد

سخرت داخلها من المتناقضات التي تحيطنها
 من كل جانب
 توصلد هي غلق الأبواب والنوافذ ورغم
 ذلك تجد قطة ضخمة تستقبلها
 وهو يترك الأبواب مفتوحة والمكان حتى
 لم يمسه طيف
 أم أن الأطياف تخشى الليث
 ••• سارت نحو غرفته وشعرت بالخبت داخلها ينمو
 وهي تقرر لنفسها
 "نعم أود استكشافها في غيابه.. وتلك
 الموضة المغطاة أيضا"

مدت أطراف أصابعها دون تفكير لتتلمس
جبهته وصفعتها حرارتها بقوة فقالت جزعاً:

- يا إلهي.. أنت تعاني الحمى

سخر منها بصوت ضعيف:

- تلك وأشياء أخرى من ضمنها أنت.. فاذهبي

الآن ولا تزعجيني، دعيني لأرتاح

عاد للنوم مرة أخرى واحتارت إيما أتطلب

طبيباً ولكنها لا تعرف أحد

فكرت بالذهاب إلى الصيدلية وقد فعلت

وساعدها الصيدلي ببعض الأدوية التي يظن

- آسفة، ثم أعلم أنك هنا

همهم بأصوات غير مفهومة وعاد للنوم مرة
أخرى نظرت له متعجبة وسارت نحوه واقتربت
منه ببطء وهمست قائلة:

- هل أنت بخير

أتاها رده نافياً بصوت مجهد قائلاً لها:

- كلا، عودي إلى منزلك، لن أستطيع

•• العمل اليوم وأسد لي تلك الستائر الملعونة

نظرت له إيما كان يبذو عليه الإرهاق

الشديد، وجهه شاحباً كالموتى وأنفاسه

ثقيلة غير منتظمة

رفع أنظاره المتعبّة إليها ورأى تصميمها

جلياً فقال بخشونة: أعطيني إياها

تناول منها حبة الدواء وساعدته إيما في

ارتشاف القليل من الماء وعاد مجدداً لبسط

جسده الضخم على الأريكة التي أنت بحمله

طوال الليل وصوت أنفاسه المتعبّة يجلد

ضميرها

فكرت

"يالله من عنيد، لم لا يذهب لمنزله ليرتاح..

أين هم عائلته أم لا أحد يهتم به مثلها "

أنها قد تكون نافعة وأسدها نصيحة قبيل
ذهابها:

- الراحة والمشروبات الدافئة والليمون خير
معين للتغلب على البرد

حملت عليه الدواء ورجعت مرة أخرى إليه
وأيقظته برفق ليتناول حبة الدواء زمجر مرة
أخرى مستاءً وهو يقول:

- ألم أأمرك بالذهاب؟

ردت بعند: أنا لن أذهب إلى أي مكان حتى
تقوم وتتناول تلك الحبة

- سمعتك أيتها الثرثارة.. ألم تقولي أن
ستذهبين عند تناولي حبة الدواء اللعينة لم
لا زالت هنا ؟!

نظرت لها إيما باشفاق وقالت:

- سأطلب سيارة أجره فقط أخبرني
بالعنوان.. لا تستطيع النوم هنا

ومن غياهب عقله الذي سيطر عليه المرض
سطع المنطق يخبره أنها على حق يحتاج
للراحة وتبديل ملابسه.. كما أن فكرة
اصطحابها له المنزل، منزله، ليست بفكرة
سيئة على كل حال

شعرت به يرتجف.. لم يكن هناك غطاءً
يتدثر به طوال الليل

لا بد أن هذا ما زاد من وطأة مرضه فرفعت
صوتها مرة أخرى قائلة:

- لا بد أن تغادر لمنزلك لتنال قسطاً من
الراحة

ظنت أنه لم يسمعها فهو لا زال غارق في نومه
وكررت جملتها مرة أخرى بصوت أعلى فقال
بصوت متهالك وهو يمسك برأسه

فتح عيناه أخيراً وتمركزت أنظاره عليها، يا
إلهي كل تلك البراءة مركزة بقلق عليه هو
وحده كاد يمد إليها بأصابعه ليمحو نظرة
القلق التي ارتسمت على محياها وربما طبع
بأنامله قبله على شفتيها الورديتان المزمومت
بضيق عارم ولكنه كان متعب للغاية

فقال متهكماً:

- وكيف سأنزل الدرج برأيك وأنا لا
أستطيع حتى الوقوف

قالت باندهفاع:

سأساعدك، هيا ضع يدك على كتفي

أقرت إيما أنها تهورت فهو لم يمانع وما هي
إلا لحظات وكان ثقله يرتمي عليها وهو
يسير إلى جوارها حتى وصلت للصالة
الخارجية أجلسته إيما على الكرسي المجاور
لمكتبها الصغير وقالت له بتردد:

- سأطلب سيارة أجرة الآن وأحضر حقيبتني

رد بصوت أنهكه الحراك تلك المسافرة
القصيرة وقال:

- لا داعي سنوقف واحدة في الطريق هيا بنا
فأنا أشعر بالدوار

سار مترنحاً إلى جوارها فقالت وهي
تمسك بذراعه: نعم لا تقلق

عبر الحديقة بخطوات متثاقلة وأخرج
مفتاحه الوحيد من جيبه وأعطاه إياها وقال
لها برجاء صادق:

- لا أستطيع الرؤية جيداً .. أفتحي الباب إيما

فتحت الباب وساعدته بالدخول كان
المكان مظلماً تسللت أشعة الشمس من
النوافذ المتعددة لتعلن عن لونه السماوي
والأبيض وأثائه البسيط.. كل ما يحيطه من
معالم هو في النهاية بسيط.. إلا من لون
البطاقة الصارخ

انصاعت لأمره وساعدته في النزول من أعلى
الدرج وكانت دقائق معدودة حتى استقلت
السيارة إلى جواره إلى عنوان منزله الذي
كان يبعد بشارعين فقط عن مقر الشركة
فيلا بسيطة من دور واحد يحيطها حديقة
واسعة بأشجار بحاجة للتقليم والحي لا زال
هادئ للغاية

ترجل من السيارة بمساعدتها ونقد السائق
أجرته وقال لها:

-ها قد وصلنا هل ستستطيعين العودة مرة

أخرى

كان في حاله يرثى لها

مطبخ رجل عازب بحق

الكثير من العلب الفارغة والأطباق

المتسخة شرعت في تنظيفها على الفور

وأثناء ذلك وضعت البراد على الموقد لتعد

له الشاي الدافئ ثم فتحت الثلاجة لتجدها

فارغة إلا من علب لبن اشتمتها إيما فوجدتها

فاسدة فألققتها في صندوق القمامة في الحال

وبعض الخضروات وثمره ليمون واحدة فقررت

إعداد حساء له

تذكرت كيف كانت الراهبة باتي تسهر

على راحتها حين كانت تصاب بالبرد تعد لها

ساعدته بالجلوس على الأريكة ومن ثم

النوم نظرت له بشفقة

ولكن على الأقل تبد وتلك أكثر راحة

ورحبة وجدت غطاء أسودا يدوى الصنع مزدان

بنقوش ذهبية

لا بد أنه يتخذ منها فراشه في كثير من

الأحيان دثرته بالغطاء وتلمست جبينه مرة

أخرى وسرها أن حرارته قد بدأت بالانخفاض

كما أنه غط في نوم عميق سارت بهدوء

تستطلع المكان واستطاعت العثور على

المطبخ

عقد حاجبيه أنفأ وهو يقول:

- وهل تجيدين الطهي.. أم أنك قررت إجراء
تجاريك على حلقي الملتهب
أحمرت وجنتاها وقالت حانقة:
- هيا لا تتصرف كالأطفال وأشرب
دفعت له بالمعلقة بتصميم فرفع جسده قليل
وتناوله وأذهله طعمه لقد كان شهيا بحق
تناول منها الطبق بعد عدة معالق تناولها من
يدها حتى شعر بالسخافة فهو يتصرف
كالأطفال بالفعل

الحساء تمنعها من شراب الكوكو وتبقى إلى
جوارها تسرد لها الحكايا

وبعد مرور بعض الوقت خرجت حاملت الحساء
الشهي وأيقظته برفق وهي تناديه سيدي..
ليث.. ليث.. هيا قم لتتناول بعض الحساء

فتح عيناه بعد برهة وقال لها متسانلاً داخله
أيتخيل أم أنها لم تغادر بعد:

- الأزلت هنا؟!

ردت بإيماءة من رأسها وهي تقول: نعم وأعددت
لك حساء.. هيا لتتناول القليل منه

تركبتها إلى جوارك وأعددت لك برادا
مملوءا بالشاي.. فالقهوة لن تصيدك
قامت لتذهب إلى المطبخ حاملة الطبق الفارغ
فابتسم لها بامتنان:

- أشعر نفسي أحسن حالا.. أشكرك ملاكي
الحارس

توقدت وجنتها من جديد، تبا له كيف
يفعلها كل مرة يتركها إما في حالة غضب
وحنق شديدة أو كطفلة تكاد ترقص طربا
فقد دعاها بملاكه الحارس

فالحساء شهى ودافئ كما أن الحرج الذي
يغلفها قد أصابها بداء الحمرة فيما يبدو وظن
أنه سيتلذذ بناظريه أن استقام في جلسته
وحصل على رؤية أفضل

تناولت منه إيما الطبق بصمت بعدما انتهى
وقالت بحرفية بعدما استطاعت السيطرة على
خجلها فرغم مرضه إلا أنها استطاعت
رؤية التسلية تلمع في أعماق زرقته عيناه
فنتقيدها بعده أوامر بصوت ثابت:

- عد لنومك لن أزعجك مرة أخرى وعند
الساعة الثالثة تناول حبة الدواء لقد

سارت بخطوات متعثرة نحو المطبخ وغسلت
الطبق المتبقي ووقفت قبالة الباب الرئيسي
لتنصرف إلى منزلها وهي تنادى عليه:

- سأنصرف الآن إلى اللقاء

لم تحصل على إجابة فخمنت أنه قد عاد
لنوم ولم تود إزعاجه مرة أخرى ففتحت
الباب لتغادر مسرعة وكادت أن تصطدم
بزائرة الذي ما أن رآها حتى رفع حاجبيه
تعجباً وقال بصوت طغت عليه الدهشة:

- إيما.. ماذا تفعلين هنا؟!

رفعت أنظارها لتجد سيف وتلك المرأة ممددة
من على وجهه نظرتة الماكرة لتحل بدلا
منها نظرة تشع قلقاً وخوفاً فقالت ببساطة

- مرحبا سيد سيف.. لقد وصلت صباحا

للشركة لأجد سيد ليث وهو يعاني الحمى
فساعدته للوصول إلى منزله وسأنصرف الآن..
بإذنك

فرت من أمامه هاربة فنظراته كانت تصرخ
بالشك وهي لم تستطع الوقوف لتتلقى منها
المزيد

سارت وسارت حتى أنهكت قواها وهي تلعن
نفسها تارة بغبيبة وتارة بحمقاء

لترى بماذا تعثرت لتجد كرة صوفية
 ضخمة بلون رمادي لم تعرف من أين أتت
 ولكنها كانت تشبه وبشدة تلك التي
 كانت تمسكها العجوز بالأمس
 نظرت لها إيما فزعت وقامت تجرى لتتفقد
 أنحاء الشقة لتجد مرة أخرى جميع النوافذ
 مغلقة
 فكيف دخلت.. كيف وصلت كرة الصوف
 هذه إلى هنا؟
 مالذي تريده منها تلك العجوز اللعينة؟

كان عليها التصرف بحكمة لقد رأتها سيف
 والله وحده يعلم كيف يظن بها حتى عادت
 إلى منزلها

استغرقتها رحلة العودة سيرا على الأقدام
 حوالي ثلاث ساعات كاملة كانت تشعر
 بالحر الشديد

صعدت الدرج وفتحت الباب والقفل ودخلت
 وألقت بحقيبتها بإهمال وهي تخلع حذاها
 واتخذت طريقها نحو الحمام مسرعة وكادت
 أن تتعثر وتقع لولا أنها أمسكت بطرف
 الكرسي بقوة وهي تصرخ غظرت للخلف

بخطوات متثاقلة وأغلقت الباب بقوة واستندت
ظهرها إليه ودموعها تتساقط رغما عنها
شاعرة أن لا حول لها ولا قوة

أمسكت إيما بالكرة الصوفية غاضبة
وارتدت حذائها على عجالتها وخرجت وأخذت
بالطرق بقوة على باب العجوز التي فتحت بعد
قليل وهي تطالعها بنظرة وابتسامته خبيثة

ألقت إيما الكرة الصوفية بوجهها وهي
تصرخ بها غاضبة:

- كفى عن اقتحام منزلي ولا أبليت الشرطت

نظرت لها العجوز بغضب شديد وأغلقت الباب
بوجهها

وقفت إيما تحاول السيطرة على أنفاسها
المتسارعة وعادت مرة أخرى إلى شقتها

الفصل الثامن

أما الكبرى فعلى العكس تماما ،تتطلع
لبدايه حياة جديدة بعاصمة التشيك ومن
ثم لبقية بقاع أوروبا

فلم تمض ساعتان على وصلهما لأرض براغ إلا
وكانت تحدثها عن السفر لروما أو باريس
ممتعضة من إختيار والدتها الغريب لتلك
البلاد التي لم تسمع عنها من قبل

لكنها تعمدت إختيار تلك البلاد في آخر
لحظه قبيل سفرهم بساعات قليلة .. فحافظ
قد يتوقع تواجدها في فرنسا او سويسرا
لكن التشيك .. حتما بعيدة عن الحسابان

الحراره في مثل هذا التوقيت من العام قد
تصل لأربع درجات مئوية ولكن اليوم
الطقس كان أشبه بالحلم مما دفع السائحون
والسكان المحليون على حد سواء للخروج
والتمتع بدفئه فالحرارة تخطت العشر درجات
بقليل ووقفت هي تنظر للنهر الممتد أمامها
وبداخل عقلها عمليات حسابية لاتنتهي

كلفتة إيجار المنزل ذو الطابقين بالإضافة
لمصاريف دراسة الفئتان ، كانت تظن نفسها
قوية بمقدورها القيام بأى شيء للحفاظ على
راحة إبنيتها ، لكن الصغرى لاتزال
تتذمر على قرار ترك الوطن المفاجيء ،

سارت سهى الصغيره تتأمل الوجوه الغريبه
حولها تشعر أنه من المحال أن يكون بينهما
يوما ما ألفت من أى نوع

وعادت بذاكرتها للوراء بضعه أيام قليله لقد
غادرت الوطن وبالنظر لإصرار امها فهي تشعر
أن العوده بعيده المنال وأن عليها التكيف
لا سيما أن اختها الكبرى لا تشاركها تخوفها
نحو المستقبل
-كم أفتقد أبى

همست دون أن تدري أن همستها قد وجدت
دريا لأذن أمها التي تقلصت زوايا فمها وصرخت

أخذت نفسا عميقا ونفضته وحلقت غيوم من
بخار الماء حول رأسها الذى كان على الرغم
من شقوته إلا انها بتوترها استطاعت جذب
أنظار أحدهم حتى أنه اقترب منها يحدثها
باللغة المحليه التي لا تقفها

فشعرت بالخوف منه وتسارعت خطواتها نحو
ابنتيها لتأمرهما بالتحرك وداخلها يقر ولأول
مرة انها بحاجة لرجل إلى جوارها، بحاجة
إليه ولكن لم يعد بإمكانها طلب مساعدته
بعد اليوم، فهي من خطت للهرب وهو
لن يسامحها قط.

نظرت لها الصغيره مستنكرة وقالت
:عائلتك .. جدتي

ربتت شاهنده على كتفها وقالت :تلك
العائلة قد تخلت عنى من قبل ،منذ ان
تزوجت اباك وبالتاكيد لن تمد لى يد
العون بعد وفاته وعلى آية حال انا لا حاجة
لى بهم وجدتك ..عزيزتى ..هى مريضة
بالزهايمر هى حتى لا تتذكر اسمك ومن
تكونين ..انظرى لى .انا من تبقى لك انا
وأختك وهذا اختيارنا ولا بد ان نظل سويا
مهما حدث

بها قائله "أنت لا تكفين عن التذمر لدقيقة
واحدة"

عبست الصغيره وتقافزت الدموع فى مقلتيها
وهى تراقب تحول ملامح أمها الجميله لأخرى
أصبحت تلاصقها مؤخرا

أخرى قاسية لاتبالي بها ولا بمشاعرها
فقالت باكية أريد العودة ..أنا ضائعه هنا
•• أخذت شاهنده نضسا عميقا وقالت بصوت
حاولت السيطرة عليه ليبقى هادئا قدر
المستطاع :لمن نعود ؟..أخبرينى .من تبقى لنا

بالديار

ولكنها هذا الصباح وبعد ليلة متعبه لم
تحظى عينها بالنعاس للحظة واحدة وقرار
يتخبط برأسها بالمكوث فى المنزل لمراقبت
العجوز ورأى آخر ينازعها بالتحرك للعمل فهو
مريض وعليها الأعتناء بالاعمال حتى يعود
لسابق عهده

وقفت أمام النافذه تنقر بأصابعها حافت
المنجان الذى استقر به شراب القهوة المرة
كما يفضله وكما هى تحتاجه بالضبط
يوقظ حواسها وينبها بعد ليلة مضنية
وأفكار تصارعها وكل حين وآخر تستدير

قاطعتها الكبرى ضجرة :سهى كفى عن
البكاء الآن .. أرجوك انت تفسدين علينا
التمتع بوقتنا

هزت الصغيرة رأسها وسارت إلى جوارهما
قدمها تقطعان جسر تشارلز وقلبها يتقطع
على فراق الديار، كم تشتاق لغرفتها الدافئة
،لبسمة الخادمة الحنون ،للعلم حافظ الذى
يتصل بها من وقت لآخر للإطمئنان على
أحوالها

.....
فى العادة تغادر المنزل فى السابعة

غائبه وفؤجئت بالباب المفتوح على
مصراعيه

أيعقل أن يكون قد شفى !!

وكما وقعت عليه ناظرها لأول مرة كان
يتشح بالسواد حتى عنقه، كالليلة الماضية
التي قضتها في رعب وفزع حتى من نسمات
الهواء المتسللة من نافذتها المغلقة

اقترب منها بخطوات كالفهد يمعن النظر بها
وداخله يقر بأنها الأنجل جسدا من ضمن
الفتيات ومعالم فتنها بريئة للغاية فقيرة
للغاية

على حين غفله تشعر أنها مراقبتة ولكن
لا تعلم من أي جهة بالتحديد

حتى أخذت نفسا عميقا ووضعت فنجانها الذي
لم ترتشف منه إلا القليل على الطاولة خلفها
وهي تشد خصلات شعرها وتحكم وثاقه في
ربطة تقليدية وقرار سريع بالرحيل فلا
فائدة من المكوث والتخبط بأورقة
الظنون وخبث الشياطين

وبالفعل حملت حقيبتها وغادرت

وبغضون ساعتين كانت قد وصلت منهكة
إلى محل عملها وصعدت الدرجات بحيويه

يستقر أعلى سطح مكتبها

فقربته من أنفها لتشمه وتفاجئت أنه يحمل
نكهة الشكولا إنه شراب الكوكو
المفضل لديها !!

فقال بعدما انصرف بعدة خطوات ودون أن
يلتفت لها وكأنما يعلم تمام العلم بما يجول
في خاطرها:

-توقعت أن يعجبك ، فالقهوة قوية بعض
الشيء

ابتسم لها وقال بصوت يمتلىء حيوية

وابتسامته تحتل زاويه فمه وزرقت عيناه تلتمع
بنشوة حسدته عليها وهو يشير بسبابته أسفل
عينها

-الأسود لا يليق بك

ردت ساخرة بسرعة:

-يبدو أنك أستعدت عافيتك بالكامل

••• طرقت إصبعيه فأجفلها قائلا بزهو:

أنا الليث ، هيا لدينا عمل لنقوم به احملى
فنجانك واتبعينى

طقت للخلف متعجبة فوجدت فنجانا

عبس قليلا وهو يكرر: عيد العشاق
.. الفالنتين

عقدت حاجبيها وهي تكرر ورائه كي
لا يظن أنها غيبية لا تعرف ماهو الفالنتين
وبالضلع هي لا تعرف ماهو ولكنها لم تشاء أن
يكتشف جهلها

فقالت: آآه الفالنتين .. حسنا ولكنى لا أجيد
الرسم

رد بنبرة احترافية: أنا لا أطلب منك نسخة
للموناليزا ولا اتوقع أن أحظى ببيكاسو فقط
ارسمي مايجول بخاطرك .. قد استفيد منك
ببعض الأفكار

حملت الفنجان واتبعته للداخل نحو عرين
الأسد وطالعتها من جديد اللوحة المغطاة
لمح نظرتها نحوها فقال بتسليية واضحة
- أن أتمتت عملك فسادك تسترقين
النظر إليها

احمرت وجنتاها وقالت بارتباك: أنا لا أسترق
الأنظار.

اقترب منها وهو يعطيها قلما أحمر اللون
وهمس لها: أنا أفعل .. الآن ارسمي لى زينة
تصلح لعيد العشاق

رفعت حاجبيها وقالت باندهاش: ماذا ؟

ويداه والقلم يمتزجان سويا فى ملامحها

وخصالاتها الهاربية تلقى إليه بالتحية

وشعر أنه يذوب بتفاصيل خلایا رأسها

المنكبة على الورقة المسكينة تحت وطأ
أناملها المتوترة

وكلما حظت ناظريه بمزيدا من العبوس من

البريئة كلما ازدادت اتساع ابتسامته حتى

تحولت لقهقهة مرتفعة فأجفلتها ورفعت

بناظريها إليه فجأه واصطدمت عيناها بجبل

ثلجى فى المحيط المظلم فقال لها بتسليّة:

-لم أنت غاضبة؟

هزت رأسها وحملت قلمها الأحمر!

وجلست إلى الأريكة بعيدة عنه ببضعة

أمتار قليلة وهى تشخبط بالقلم ولا تدرى من

أين تبدأ .. وداخلها تفكر "العشاق.. قلوب

حمراء .. وروود حمراء .. نقاط حمراء .. ما هذا

العبث ... لم كل شيء بالأحمر"

وجلس هو يراقب انفعالاتها التى تنتقل من

البلاهة إلى العبوس

ومزيدا من العبوس والضجر

وخصالاتها تنسل واحده تلو الأخرى عند

كل هزة حانقة من رأسها الصغير

تنهدت وقالت بقلّة حيلة:

أنا لا دراية لي بتلك الأمور وحقا لا أجيد
الرسم وأجد ما أفعله سخيفا للغاية
تراجع بظهره للخلف بأريحية تامه وهو يهز
رأسه نافيا:

- أنت تبخسين نفسك قدرها

قالت متشككة:

-حقا!!

ثم رفعت إليه بالورقة وهي تقول ساخرة:

ها، تظن أن هذا جيد؟

عبس لدى رؤيته ماخطت أناملها الرفيعة

وقال بصوت جاد ومتهكم في الوقت نفسه
:هذا أسوء ما رآته عيني

انفلتت منها ابتسامته واسعة تكاد ترقى
لضحكته كأنه يمدحها !!!

ولكنها شعرت بالراحة فبعد ما أقرب سوء ما
رسمته لن يطلب منها مزيدا من الزينة لعيد
العشاق هذا

هي لا تعرف ولا تعترف إلا بالأعياد
الدينية فقط

قامت من جلستها وهي تقول بهدوء:

انتهت الأتصال بالعميلة المستاعة

وعادت من جديد ترتشف شرابها الدافىء

وداخلها نشوة تتصاعد لقد علم بشرابها

المفضل وأعدده لها

،كم هو رقيق!

وبعد قليل سمعت صوت لخطوات متصاعدة

على الدرج الأمامى، حتى طالعها سيف بهيئته

المثيرة للإهتمام فابتسمت له بهدوء وهى

تقوم من مجلسها قائلة:

-مرحبا سيد سيف

سأكون بالخارج أرد على الاتصالات كما أن

لديك موعد اليوم فى تمام الثانية مع مدام

جيجى

عبس قليلا وقد أدرك نبره صوتها المبطن

بتهكم لم يخطئه فهمه وقال بصوت قاس

بعض الشيء:

-اعتذرى عنه، لست فى مزاج يسمح بمقابلات

مع العملاء

هزت رأسها وقالت قبل أن تنصرف

-كما تشاء

-الفالنتين

هزت رأسها وهي تكرر ورائه بنبرة هازئة
مرتضعة بعض الشيء:

-نعم بالتأكيد..الفالنتين

اقترب منها سيف وهو يقول بنبرة جادة:

-حتى الذين يعيشون بالخارج يحتفلون بعيد
العشاق ..من أي كوكب أتيت ؟

وضعت الزهرة على المكتب وشبكت أناملها
بحركة دفاعية لا إرادية وهي تجيبه

-من دير للرهبات

ابتسم لها بالمقابل ومد لها بزهرة الجورى
الحمراء وهو يقول:

-هابى فالنتين داي ..إيما

رفعت حاجبها بتعجب وهي تبتسم ابتسامتها
الرقيقة ومدت يدها قائلة:

-شكرا لك ولكنى لا أعرف ماذا على أن
أقول بالمقابل

•••هقد سيف حاجبيه هو يضحك :

هابى فالنتين داي سيف..غدا عيد العشاق

وعندما لم يلمح أي بادرة إنفعال على وجهها

صاف مستنكرا

علت ملامحه الدهشة على الفور.

دير للرهبات

وفتاة جميلة

وليث صديقه ..

تلك أمور ظن انها قد تجتمع فى أرض

المستحيلات

ابتسم لها ولم يدري بماذا يقول وأقر داخله

تلك الفتاة مذهشة بحق كصفحة بيضاء

ومحفوظ هو من يخط قصتها بيديه ويرسم

لها بأى درب تسير

وقال بهدوء:

-ألن تضعيها بمزهريّة أم أنك لا تقدرين

حياة الأزهار؟

••• أمسكت بها من جديد وهى تقربها من أنفها

وقالت نافية:

-على العكس أنها جميلة

المشهد أمامه كان يقترب للوحة التى

أرادها هذا الصباح ليتمم زينته عيد العشاق

بمتجر مداام جيغى للزهور

"عاشق ولهان وفتاة خجول بيدها زهرة حمراء"

اقترب منه ليث وهو يطالعه بنظرة

غاضبة وقال بصوت حائق:

-أنا الآن أحسن حالا ولدى عمل كثير

فهم سيف مايرمى إليه صديقه فهو ليس
صديق الأمس بل ستة عشر أعواما متصلت
فقال له :

-لن أعطك أردتك المرور بي لمراجعت
الدهانات الحديدية قبل بدأ العمل بها حتى
لا تحدث أخطاء كالمرّة السابقة

هز رأسه له وقال :

-لا تقلق سأمر بك فى الخامسة

ولكنه الآن يشعر كقد ريغلى فوق نار
مستعرة كاد أن ينفجر غيرة وهو يتوجه
إليهم بأعين تطلق شذرات من نحاس أزرق إن
جاز التعبير

خطواته التى كادت أن تخترق الأرض من
شدتها أثارت إنتباهه وعيناه التى لاتخطيء
الغزل أمسكت به بالجزم المشهود فهو يتودد
لأحد ممتلكاته وهو يدعى أنه الصديق
ضاق حذقتاه وهو يواجه صديقه الغيور
قائلا :

-مررت بك فى الصباح لم أجدك بالمنزل
لماذا الأطمئنان عليك

رفعت إيما حاجبيها تعجبا وهي تنفي
بإرتباك:

-ك .. احمر ، كلا لقد أتى منذ بضعة دقائق
ظل عابسا وهو يضيف بقسوة:

-هل اتصلتي بمدام جيجي؟
هزت رأسها بخنوع وردت بصوت خافت:

-نعم أخبرتها بأن الميعاد قد ألغى
رد بأمر لا يقبل النقاش قبيل انصرافه
العاصف إلى عرينه مرة أخرى

وضع نظارته السوداء وهو يتجه للخارج قائلا:

-سنتناول الغداء سويا إذن

والتفتت مرة أخرى وهو يشير لها بالوداع

-تشاو ساينت إيما

التفت لها غاضبا وهو يهمهم بنبره تحمل
إتهامات عدة:

ساينت إيما ، لا بد أنكما تجاذبتما أطراف
الحديث لبعض الوقت

-اتصلى بها وأخبريها أن الميعاد التالي
سيكون صباح غد فى تمام التاسعة

جلست أخيرا ، شعرت أن قدماها لا تقوى على
حملها أكثر من ذلك

لم يبدو وكأنها مدمر ، ما الذى اقترفته من
سوء لتحظى بتلك المعاملة؟

نظرت لشرابها الذى أضحى باردا بسخريته
وهى تهمس لنفسها

-رقيقا للغاية .. يالك من حمقاء

لم يخرج من مكتبه كعادته عندما

يكون غاضبا منها حتى عندما حلت

الساعة الخامسة و حان موعد انصرافها

ولكنها شعرت بتوجب الدخول إليه

والاستئذان منه قبيل انصرافها

ف فعلت مكرهته فرغم كل شيء ، قد أعد لها
شراب الكوكو

توجهت نحو غرفته بخطوات مترددة وسمعت

أصوات الموسيقى الصادحة تأتيها من خلف

الباب فتقدمت ونقرته بأصبعها وفتحت الباب

وتقدمت نحو الداخل

وهو منصب بكامل تفكيره وكيانه
على ما تخطه أنامله من رسومات جميلة
ودقيقة

حتى أنه فزع عندما لمح طرف حذائها
المسطح فهب واقفا وهو يواجهها قالت بصوت
حاولت أن يكون مرتفعا قدر المستطاع
ليسمعها:

-إنها الخامسة

أشار لأذنه بأنه لا يستطيع سماعها فاتجهت
نحو المسجل لتطفئه والتفتت نحوه مرة أخرى
ولكنها تعثرت بكرسي كان قد القاه بعيدا
ولم يهتم ، فأمسك بها على الفور ووجدت

لتجد النوافذ جميعها مفتوحة والغرفة في
حالة من الفوضى العارمة
فلا شيء مستقر بمكانه لاشيء على
الأطلاق

الكراسي مرفوعة أعلى سطح المكتب
والأريكة انزوت بركن بعيد في الغرفة
الواسعة وهو يتوسط الأرض وحوله الكثير
والكثير من الرسوم والتي يبدو انها من صنع
يديه رسوما من الأسود والأحمر بعضها
كاريكاتير والآخر رسوما لشخصيات يبدو
أنها معروفة ميزت واحدة لفنان شهير توفي
بعض سنوات بعيدة

ولكنه شعر بأنه واجب عليه ليس أكثر

وكم كره هذا الواجب وما يمليه عليه

ضميره ،الذي لسوء حظه مستيقظ حتى

وان سُكرت نظراتها نحوه

فالبريئة لا تزال صغيرة

وهو الليث

عار عليه أن يدعى لوليمتة ويأكل منها وهو

يشك أنها ليست من حقه

همس لها وهو يبعتها عن مجال صدره

المفتوح

-أنها الخامسة .. لم لم تنصرفي بعد

ذراعته تحيبتها من كل جانب فشعرت بالهلع

والخجل يختلطان داخلها ليشكلا مزيجا

مرعبا ريثما استقرت بين أحضانه وقميصه

الذي أكتشفت أنه مفتوح لمنتصفه بعدما

ألصقتها بصدره الساخن

كل شيء فوضوى

كل ما يحيط به فوضوى

وهى غارقة لأذنيها فى تلك الفوضى الرائعة

ولا تملك حتى حق التحرر والتحرك

ان حررها هو بنبل لم يعرف ممن ورثه

قالت بصوت أبح:

-أردت الأستئذان منك

دفع بأنامله مقتحما فروة راسه وهو يقول
بصوت أجهد من الأثاره التى تبعث بها تلك
الصغيرة وقال بصوت خشن :

-أذهبى

تمنت لو استطاعت إطلاق ساقىها للرياح
فسقوطها فى بحور عيناه هو مخز

تلامسها الغير مقصود بجسده العارى

هو عار عليها

جف حلقها ولم تستطع حتى القاء التحيين
عليه وانصرفت إلى منزلها بهدوء يتصارع مع
الجنون الذى يغلفها

.....

بخطوات شاردة عبرت الشوارع والأحياء عودة
إلى منزلها

لم تحمل حتى عشائها

تمسك بالقلب الأجوف وهى تشعر بالوحدة
"لو علمت الراهبة باتى"

همسه تعدت حدود عقلها الذى لايتونى عن
جلد ذاتها للأطراف لسانها

أغلقت الباب ولم تحكم غلقه لشرودها
وشعرت أن الأغتسال قد يكون أفضل حل

ربما تحررت من دفاء لمساته التي لا زالت
تشعر بها

أنهت اغتسالها وهي لا تزال شاردة وخرجت
وهي تلف جسدها بمنشفة عريضة فهي لم
تنتبه لجلب ملابس معها بالداخل وسارت نحو
النافذة تطمنن أنها مغلق واطمأنت والتفتت
وحملت فنجان القهوة الممتلىء الذي تركته
منذ الصباح لتغسله واتسعت عيناها هلعا
لقد كان فارغا !!!

صعدت الدرجات وهي تراجع الحدث مرة تلو
المائة

لقد كانت فعليا بين أحضانه مستكينته
وكانها المأوى

كيف فعلت هذا !!!

كيف ارتضت أن يكون هو من يدفعها بعيدا
عنه بل كيف تملك الشجاعه لتواجهه
غدا ، كلا لن تذهب غدا ولا حتى بعد غد

هي لا تستطيع رفع ناظريها إليه



الفصل التاسع

شفايط وردية

اتجه للداخل عاقداً الحاجبين ليواجه مشي
نهاية العراك الذي طال لما يقرب العشرون
دقيقة

صفعة مدوية استقرت على وجه سيف
أعقبته صرخة بالطرد منه مهينة، رافقتها
طقطقات كعب عارضة الأزياء الحانقة نحو
الخارج صارخة به وبصديقه
"أوغاد"

وقف ليث ينظر لوجه صديقه المحتقن
بالدماء الذي اتجه بدوره لدورة المياة ليعود

الصوت كان لا يمكن تجاهله يصل للمارة
بالخارج دون عناء
مما جعل سيدة في الخمسين من عمرها
تستنكر بهمهمة متبرمة عما آل إليه الحي
الراقي

"غدا الافتتاح.."

افتتاح متجر صديقه غداً

قلك بالنسبة له مفاجأة

أما الصدمة فتتلخص في تلك العبارة

"عرض حي!!"

- تأخرت طلبية العوارض البلاستيكية
ففكرت باستبدالها بأخرى حيه .

وغمز له مستطرداً بمكر:

-عارضات أزياء

لاحت ابتسامته ساخرة على جوانب فكيه
وهو يقول:

- لهذا غضبت ميان؟!!

هز سيف رأسه نافيا وقال بغرور:

- الجشعة تود أجرا مضاعفا.. أنا من صنعتها

زم ليث شفتيه وقال:

بعد قليل برأس يقطر ماء نجح في صرف
الحنق والاحتقان عنه بعض الشيء

باغته ليث بالسؤال:

- غدا؟!!

قال دون انفعال:

- هو الوقت المناسب.. الفالنتين كما تعلم

أتبعه بسؤال آخر دون اعتراض:

- وما المقصود بعرض حي؟!!

أشعل سيف سيجارة واستند إلى الجدار خلفه:

- كيف هذا؟

ملس سيف رقبته بتعب وهو يدعك
بسيجارته جوانب المرمدة منهيأ حياتها التي
امتدت لدقائق فقط:

- الحدث تم دون تخطيط مسبق ومعظمهن
ارتبطن بمشاريع أخرى.. الإفتتاح يحتاج
لثلاثة أو أربع عارضات، وحتى الآن لم
أتمكن من الاتفاق سوى مع اثنتين فقط
میان.. كانت آخر أمل لي.. إن وافقت على هذا
الأجر الخيالي فستكون تلك الحال في
كل مرة

هز ليث رأسه وقال :

- سيف الأمر برمته خاطئ.. الحي لن يتقبل
عرض أزياء داخلية صارخ.. ستخسر زبائنك
إن كانت تلك البداية
رد متعجرفا:

- زبائني في كل مكان ليس لهذا الحي
أهمية.. سيكون افتتاحاً مدهشاً ليس له
سابقة أو مثيل.. تنقصني فقط العارضات
هز ليث رأسه فهو يعرف صديقه وصلابة رأيه
عندما تتعلق الأمور بالعمل والمال يقدم له
النصيحة وفي النهاية القرار بيده وحده

فقال متسانلا :

- انشغلت

هم سيف بفتح علب الطعام الجاهز وقال
بخبث متذاك:

- على الأقل تجد من يساعدك

تناول ليث الملعقة الخشبية الرفيعة ليضع
قليلا من الطعام الصيني في فمه الذي لا
يستسيغه كثيرا وهو يقول:

- بالفضل

برقت عينا سيف وهو يقول:

- تعلم.. إنها مناسبة للغاية

- أنا متأكد أن ستتدبر حالك جيدا
حتى باشتين فقط.. هيا لنرى ألوان الدهانات
اعترض سيف قائلا :

- لا لناكل أولا.. لقد تأخرت كثيرا..

أخبرتني أنك ستمر بي في الخامسة.. ماذا
حدث؟

جلس سيف إلى الطاولة المستديرة وأخرج
علب الطعام الجاهز من الأكياس

بغموض أجابه مسترجعا احداث الساعة
الماضية وهو يجلس إلى الطاولة أمامه:

عقد ليث حاجبيه غاضبا

وبلغ به الجنون ذروته عند تحدث صديقه

عن جسدها وقال معترضا محاولا التحكم

بأعصابه حتى لايلكم فمه الحالم بابتسامته

ماكرة وهو يضع علبته طعامه بتقزز:

- ما الذي تقوله؟! إيما عارضة أزياء.. عارضه

ملا بس داخلية.. أجننت أم فقدت عقلك؟!!!

ضاقت حدقتا سيف وهو يراقب تصاعد الدم

الحائق في وجه صديق عمره وهو يقول

مستنكرا:

رفع ليث له أنظاره متعجبا وقال بتساؤل:

- من؟

القي سيف بالملاعق داخل العلبته

الكرتونية وقال بحماس:

- إيما.. كيف لم أفكر في هذا الأمر من

قبل؟!!

استطرد بحماس مضاعف عندما رأى الحيرة

••• فحضر بمعالمها على وجه صديقه : تجمع

مابين البراءة والإثارة.... الخجل والقوة..

قداسة الراهبات وجسد الغواني.. إنها عارضة

بالفطرة.. يلزمها فقط التمرين

لم تكف عن البحث للحظة واحدة
عن أي فتحة في الجدار الفاصل بينها وبين
شقة العجوز

جميع النوافذ مغلقة

والباب كان أيضا مغلق

هذا هو التفسير الوحيد الذي تجده إيما
منطقيا

ولكنها حتى الآن وبعد مرور حوالي الساعة
والنصف أنهكها البحث والخيالات قررت
التوقف رافضة شعورا بالخوف سيطر على
أطرافها

لم أفقد عقلي.. أنا صانع معجزات.. وسأجد
لك مساعدة أخرى في زمن قياسي
رفع ليث إصبعه مهدداً سيف وهو يهم بترك
مجلسه:

- إياك أن تفكر.. إيما لن تصبح عارضة
ملابس داخلية.. إنس الأمر

راقب سيف انصراف صديقه العاصف إلى
الخارج حتى أنه لم ينهي طعامه أو ماجاء له
من عمل ليعلم أنها الغيرة
والغيرة وحدها هي من تدفع بعقله وبجسده

كاه

ربما تكون الشقة مسكونة

أو تلك العجوز تلجأ للسحر الأسود

اندفعت مكائد الشياطين برأسها تجمد الدم

المتدفق في خلاياها وهي تهذي

"لا يمكن.. لا يمكن.. مستحيل.. لا أصدق"

لم تكن يوما مؤمنة بالسحر والأشباح

تصدق فقط ماتراه

وما لاتراه فهو إن كان موجودا فهو بالجبن

الذي يجعله يتوارى عن الظهور

وهي لا تخاف كأننا جبانا أيا كان ما يكون

وما يحدث لا بد له من تفسير

منطقي وملموس

فتحه في الجدار أو باب سري

وحتى الآن لم تعثر على شيء

الحائظ قوى مسمط

لا دليل لفتحات فيه

لا شيء يتحرك عليه

لا مكتبة معلقة ولا حتى صورة واحدة

الجدران عارية

جدان العجوز حملت ذكريات ومتاع شقتها

فأمسكت بالقلب الأجوف وأغمضت عيناها
وهي تتلو بضع آيات من القرآن

حتى سمعت طرقا قويا على الباب فالتفتت
مذعوره لتتنهد قائله بصوت مرتفع لتنهر
نفسها الوجلت :

- إنه الباب.. اهدئي.. أحدهم يطرق الباب

سحبت محرمة ورقية وجففت العرق المتصبيب
من جبينها وكفيها وسارت نحو الباب وفتحته
حتى طالعت الزائر بدهشة بالغة وهي تهتف
بارتياح:

- أستاذ حافظ!!

خيط من العرق رفيع امتد يبسط سطوته على
عمودها الضقري مرسلا إليها بالقشعريرة جراء
مرور تيار بارد من أحد النوافذ التي فتحتها
أيما لتدفع بالهواء لثنتيها عليها تهدي
نظرت إلى كفها الذي بالفعل تتساقط منه
قطرات العرق هو الآخر

إنها مبتلئة من رأسها إلى أخمص قدميها

ولن تزيد بللها بدموع تحبسها في مقلتيها

خوفها لا معنى له

هي وحيدة ولكن متى تمتعت بالرفقة

تسببت دون وعي "الراهبة باتي"

هزت إيما برأسها وهي تدفع بخصلات

شعرها الهاربة خلف أذنيها وهي تجيبه:

- نعم.. نعم أنا بأفضل حال.. ماذا تشرب؟

تأمل حافظ وجهها المتورد وشعرها المتشعث

وشبابها التي هي بحالة فوضوية وقال:

- لاشيء.. أتيت فقط للاطمئنان على

أحوالك

قالت إيما بتعب:

- سأحضر لك كوبا من الماء البارد إذا

رفع حافظ إليها برأسه المنكسرة وتعلو وجهه

نظرة لم تظنهما ولم تهتم

وقال لها:

- كيف حالك بنيتي؟

نظرت إيما لباب العجوز المغلق ودفعت بكفها

لتجذب ذراع المحامي العجوز للدخول وهي

تقول:

• بخير.. تفضل..

أغلقت الباب بسرعة فنظر لها المحامي

بدهشة وقال: هل أنت بخير إيما؟

جلست إيما إلى جواره وهي تراقب إرتعاشه
كفيه وجفونه حدثته إيما وهي تقصد
بالحديث نفسها
- مم أنت خانف؟! -

أطلت نظرة الدهشة خارج مقلتيه لتحضر
الألم على معالم وجهه الحزين وقد بدا
كأنه كبر عشرة أعواما دفعة واحدة منذ
رحيل شاهنده المفاجئ
وقال بانكسار:
- أن أكون ضيعتك

تسارعت خطواتها نحو المطبخ وفتحت
الثلاجة لتكتشف أنها لا تحتفظ بشيء
داخلها ففتحت الصنبور وملئت الكوب
وشربت الماء دفعة واحدة وعادت بعد قليل
لتقول للمحامي:

- آسفة لا يوجد لدي حتى ماء بارد

كان المحامي قد جلس إلى الأريكة
في منتصف الحجرة وقال لها بلطف:

- لا بأس اجلسي، صدقاً لست بحاجة لشيء

سددت إيما أنظارها تجاه الكوب الفارغ
وهي تقول بهدوء:

-أشعر أنها هي من ستبحث عني.. للأقدار
طريقاً لا تخطئه سيدي

نظر لها حافظ وقد أدهشته الصغيرة بحق

ظن أنه بظهوره اليوم سيرمي لها بعبء أثقل
كاهليه

فوجدها تحرره من هذا العبء دون عناء ودون
أن يتخلص فعليا منه

نظر حوله وقال بتعجب:

رفعت إيما حاجبيها بدهشة بالغة وقالت
بإبتسامة وهي تربت بيدها على كتف
الرجل الطيب:

- ماذا؟! .. لا ، لا .. أنت لم تفعل.. نفذت فقط
وصية موكلك.. هو المسئول ولست أنت

عقدت حاجبيها واستطردت قائلة:

لا تشعر بالذنب.. لست المخطئ وأنا
نوعا ما فقدت اهتمامي بالأمر برمته

نظر لها حافظ بتردد وهو يقول:

- لن تبحثي عن إجابات بعد اليوم؟

لأجدها قعيدة الفراش تركت معي خطاياها
 بوصيتها لأسلمه لمراد.. كانت برفقتها
 جارة متطلتة.. لم أرتج لها ولكنها كانت
 تراعاها باستمرار فأثرت الصمت
 فى النهاية لم يبق لها أحدا
 - هل كانت سببا فى زواج أبى من أمى ؟
 سؤال كانت تعلم إجابته من العجوز ولكن
 ذكريات عائلتها قد تمنحها الدفاء الذى
 تفتقده الآن
 رد حافظ بجمود:

- تغير المكان كثيرا.. كانت جدتك
 تحتفظ بصور ولوحات تملأ بها الحوائط...
 حتى الأثاث.. أظن أنها باعت الكثير بعد
 مرضها

سألته إيما بفضول:

- هل كنت تعرف بمرضها؟

أوما لها برأسه وقال مستدعياً لذكريات
 بعيدة:

- نعم كانت تزور جدتك الأخرى كل
 مطلع شهر، حتى توقفت، أذكر أنني زرتها مرة

- جدتك كانت ممرضة تعمل في القصر
 لرعايتك جدك كانت تصطحب معها
 والدتك في كثير من الأحيان.. وقع مراد
 في هواها في الحال.. لقد كانت شابة رقيقة
 بعكسه.. أظنه هذا ما جذبته إليها.. كان
 مندفعاً ثائراً طوال الوقت ولكنها كانت
 تحتوي انفعاله في كثير من الأحيان

قالت إيما وهي ترسم بعقلها صورة
 طعراك هائل أنهى زواج والديها ليلقي بها في
 مدرسة داخلية دون سؤال عليها
 - حتى فقدت القدرة على احتوائه
 كمن حافظ برأسه وهو يقول

- بموتها فقد مراد الكثير
 تساءلت إيما :

- هل كانا سعيدان للنهاية؟

نظر حافظ في عيناها وهو يشد بكفها
 مؤكداً:

- حتى آخر لحظة..

قالت إيما بشك يقاتن نفسها الهشة:

- هل كنت سببا في وفاتها؟

ارتفع حاجبي حافظ دهشة وقال نافيا
 بسرعة:

عيناك تغرقان في بحور الإرهاق.. أشعر بك.. سأنصرف الآن ولا بد لنا من لقاء قريب

قامت إيما وهي تمد يدها لتصافحه:

قد يكون قريب جداً

انصرف حافظ وراقبته إيما من النافذة وهو يختفي بساقيه البطيئة وسط الزحام وحملت الكوب الفارغ ووضعتة في الحوض وغسلته مرارا وتكرارا وحملت نفسها بعزيمة نحو شقة العجوز التي فتحت لها الباب وطالعتها بإبتسامته باردة سرعان ما تحولت لجحيم يطلق اللعنات في وجه إيما عندما قالت لها الأخيرة

- ماذا؟! لا.. لا.. أبدا لم تكوني السبب

أخذت إيما نفساً عميقاً وقررت أنها

تكتفي بتلك الحقائق على الأقل لهذا

اليوم فليس بمقدورها تحمل صدمات أخرى

فهي متعبة للغاية ترنو للنوم ولقليل من

الطعام

فقالت بشبه ابتسامته:

- أنظر.. أخبرتك أن الإجابات ستبحث عني..

آخر ما كنت أتوقعه اليوم أن تأتي لزيارتي

استشعر حافظ الحرج من قناعة الصغيرة

ولطفها وقام وهو يقول:

بتهديد صارخ وقسمات العزم باديتة على
معالم جسدها بأكملها:

- قهوتي لم تحمل سكر.. ولكن احذري
ربما تحمل المرة القادمة، سماً

صباحا قررت عدم استخدام القفل فقد تبين
له أنه دون قيمه، لا معنى له

••••• وقررت أيضا عدم الغوص في احتمالات
وتخيلات

هي ستمضي فقط إلى عملها

تفقيها الساعات الطويلة التي قضتها بذعر

رد فعل العجوز يؤكد لها أنها هي المسئولة
عن كوبها الفارغ

وهذا يبعث لسخرية القدر على الإطمئنان
لا أشباح ولا سحر أسود

وهذا جيد،

وصلت إلى مقر عملها مبكرة بدقائق معدودة

لتجد إحدى مفاجآت الليث بانتظارها

ورقه معلقة تحمل عنوان متجر مدام

جيجي وتحتة عبارة شعرت بغضبه يجتاح

خلاياها وهو يسطرها بحروف تكاد تكون

حضرت بنزف حبر قلمه

"التاسعة.. لا تتأخري"

دقائق عديدة مرت عليها وهي تخطو بسؤال
تارة لمار وتارة لبائع تسأله عن الطريق للعنوان
كلفها تأخيراً

وعندما وصلت للمتجر رآته يحادث أحدهم
على الهاتف

رمقها بنظرة ناريت وأولاها ظهره ليمسك
بالقلم ويدون بضعة ملاحظات

بالأمس القريب كانت فعليا بين أحضانه

أنستها زيارة حافظ ومواجهة العجوز تلك
السنطة الغير مقصودة

ولكنها اليوم وتحديدا في ذلك الوقت
وبعد ما أولاها ظهره تشعر بحاجتها لاحتوائه
الداقي

غاصت في خيالاتها وهي تشكو له بالليلت
العصيبة التي مرت بها.. تشكو إليه بالعجوز
الماكرة جارتها وما تكيده لها من
مكاند تجعل الأبدان لها تقشعر

ولكنها وقفت صامتة وبعينها دمعة
احتبست

وبقلبها حرقة أصابت

وبعقلها غضبا أشتعل نحوه

هو الآخر

لا يرحم

فقاتت بعند:

- صباح الخير

التفت لها حانقاً:

- أوشكنا على الظهيرة

نظرت في الساعة المتشبهة بساعدها

بسوارها الرقيق وقاتت حانقة عليه وعلى

غضبه الغير مبرر وغير المحتمل:

لا زالت التاسعة والنصف

صك فكه وهو يقول:

- أخبرتك التاسعة

اقتربت منه دون خوف حتى واجهته

وقالت ببرود ساخرة:

- أحضر للعمل في التاسعة ومن كرم أخلاقي

أبكر ما استطعت والطريق استغرق مني نصف

ساعة هل توقعت أن أطيّر إليك مثلاً؟؟؟!!!

ألقي بالقلم ولم يهتم لسقوطه أرضاً بدلاً من

أن يستقر على سطح المكتب الزجاجي قائلاً

بتحدي سافر:

- كرم أخلاقك؟؟؟!!!

يتحداها لتؤكد أم لخوفها فتنفي؟!؟

عقدت إيما حاجبيها وقالت بهدوء بصوت
خفيض رغماً عنها:

- تشور لتأخري رغماً عني وها أنت تضيع
الوقت بالثرثرة التي لا طائل لها

احتقن وجهه وبدلاً من أن يجيب دفع لها

بورقة الملاحظات وقال لها:

- أحضري تلك المشتروات ولا تتأخري

دفع لها بأوراق نقدية وتابع عمله على إحدى
اللوحات التي لمحتها إيما بطرف عينيها

انصرفت حائقة وغابت طويلاً حتى عثرت

على ما طلبه من إحتياجات وعادت مرة أخرى

ولكن تلك المرة استقبلتها مدام جيبي

صاحبة متجر الزهور التي قابلتها بإبتسامه

ودودة وهي تصيح لاجتذاب إنتباه ليث الذي

تعلق بسلم خشبي ليزين السقف

- ليث..عزيزي، حضرت مساعدتك

نظر ليث للأسفل وتناسى غضبه من حماقة

لسانها وقال ببرود:

هل أحضرتي كل شيء؟

أشارت له إيما بتعب بالحقيبة المعلقة
بذراعها:

- كلها هنا

عاد ليركز بعمله وقال دون اهتمام:

- ضعيتها أرضاً وارتاحي

اقتربت منها مدام جيغي وقالت بفضول:

- هل تناولتي فطورك عزيزتي؟

ارتفع حاجب إيما بتهكم فمدام جيغي

الجميع لديها أعزاء، فقالت بصدق:

- لا تناولت فقط الماء

ترجل ليث درجات السلم بسرعة وقالت له
مدام جيغي:

- اجلس لتناول الفطور برفقتنا العمل يمكن
تأجيله وعلى أية حال يجب علي القيام
بمهاذفة الحمقاء التي تكاسلت اليوم بالذات
عن الحضور

جذبت مدام جيغي ذراعها فجأة وأجلستها إلى
طاولة خشبية مستطيلة استقرت عليها
أصاصي للزرع وأكوام من زهور الجوري
بألوانه المتنوعة وقالت لها:

- دقائق وأعد لكما الفطور

غابت مدام جيغي عن أنظارهم في حجرة
ملحقة بالمتجر خمنت إيما أنها مطبخ صغير
أو مكان للإستراحة تقضى فيه مدام جيغي
بعض الوقت أثناء نهار عملها

وتحاشت النظر إلى ليث الذي جلس رغماً عنه
هو الآخر بعدما جذبته جيغي ودفعته دفعا
للجلوس والراحة

شعرت بدقات القلم فوق الطاولة الخشبية
فتركت مشهد الشارع الهاديء المظل عليها
من خلف الحوائط الزجاجية للمتجر مرغمة

لتلتفت له فوجدته يرسم زهرة الجوري
وتحتها كلمه واحده كتبها بحروف مقطعة
" ا ع ت ذ ر "

رفعت إيما أنظارها واصطدمت عيناها بعينه
المحدقة بها فأخفضتها بحياء وابتسمت رغماً
عنها

وتسللت رائحة فطائر القرفة الشهية المحلاة
بالسكر الخشن إلى أنفها ففتحت شهيتها
وضعت مدام جيغي الأطباق وبفخر قالت:

أما هو فكان يشعر بالحنق لذلة لسانه
 أمام جيبي عندما سألته باكراً عما تفضله
 مساعدته من شراب وطعام فهي تود إعداد
 الفطور لهم، كان ينبغي عليه انكاره
 لمعرفة ما تفضله مساعدته ولكنه شعر
 بالذنب أن تتحمل إيما الظماً وهي تقوم بعملها
 ترى ماذا سيكون شكلها إذا شعرت بالظماً
 والحر؟!

هل ستخلع عنها ملابسها البسيطة التي
 لا تصف ولا تشف

ترى ما سيكون شكل جسدها

- صنع يدى.. وتلك قهوتك المرة ليثي
 العزيز.. أما إيما فقد أخبرني رئيس العمل
 بحبك لشراب الشوكولا

ارتفع حاجبي إيما تعجباً.. لم تتوقع إطلاقاً
 أن يتبادل الحديث عنها مع أي شخص، تناولت
 إيما الشراب وهي تتمتع بعبارات الشكر لمدام
 جيبي شاعرة رغماً عنها بالغيرة تمتلكها ..
 يبدو أن مدام جيبي تملك لدى ليث العزيز
 مكانة خاصة تجعله يبوح لها بالكثير
 ورغم ذلك شربت القليل بإمتنان وأكلت
 الكثير بشهية.. فهو أصبح يعلم بما تحب
 حتى كلم عنها في غيابها

تبد ونحيلت

مثيرة

"قداسة الراهبات وجسد الغواني"

استغرق بخيالات لا تجوز

والخوض فيها غير مباح

غير مباح له أن يتخيلها بملابسها الداخلية

قد تكون حمراء

أم أنها تفضل الأسود

أم الأبيض لونه المفضل

بها

بريئة، مثيرة

لعوب، وقور

كل الأضداد تجتمع

ووحده يهوى في قاع الاحتمالات

عما تكون صغيرته

تحت تلك الملابس بلونيهما الأبيض والأسود

هل هناك من لون آخر!!

ومرة أخرى اصطدمت عيناها بعينه فدفعت

الدم الحار ليحتل أعالي وجنتيها

شفايط وردية

عبارات الشكر للمرأة التي كانت تحدث
أحدهم على الهاتف عابسة

استشفت إيما من الحديث أنها مساعدتها
الغائبة وما هي إلا ثوان حتى أنهت مدام
جي جي المحادثة قائلة:

- إن لم تحضري اليوم.. اعتبري نفسك
مفصولت

يبدو أن الأجابه كانت وقحة بحيث امتنع
وجه المرأه اللطيفه بشدة ووضعت سماعة
الهاتف وهي تغلي وتزبد فقالت إيما محاولت
تلطيف الأمور على المرأه بعض الشيء

ليطرد خيالاته المثيرة للشفقة بعيداً قائلاً
لها بخشونة مركزاً أنظاره عليها دون إرادة
منه وكأنما ينهر نفسه :

- هل أنتهيت؟

ردت إيما بتردد وهي تلمح اشارات الغضب
تلتمع بعيناه مصيبتاً إياها بالحيرة:

- نعم.. نعم انتهيت

•• قام ليث وهو يقول:

- هيا للعمل إذن

قامت إيما وجمعت الأطباق واتجهت بهم
إلى الحبل حيث اختفت مدام جي جي لتحمل

- فطائرک شهية بالفعل

التفتت لها جيغي وهي في عالم آخر وقالت لها:

- لقد كانت ابنة زوجي الراحل ، إنها

عنيذة .. ترفض الوقوف والعمل معي،

تركنتي في هذا اليوم الهام، أرياح هذا

اليوم تعادل نصف ما أحصل عليه من مال

طوال العام.. ترين عزيزتي الزهور أعمارها

قصيرة والعشاق صبرهم أشد قصراً

إن لم يجدوا زهوري في انتظارهم تركوني

لمتجر أكثر استعداداً

اندفعت إيما بطيبة قلبها قائلة:

- أنا سأساعدك.. لا تقلقى على أيتة حال لم

نتتهي بعد من العمل

••• وبين طلبات وأمر ليث المتعجلة والزاجرة بها

معظم الوقت وكان حروف كلمته التي

حملت اعتذاراً ضرباً من الخيال وبين إشفاقها

على المرأة اللطيفة تراجحت إيما لبعده

منتصف الظهيرة

أنهى ليث عمله الساعة الباقيّة دون مساعدته

التي انشغلت بحركة البيع والشراء فقال

لمدام جيغي:

نظرت له جيبي بإبتسامته واسعته وقبلت
وجنته وقالت:

- سأراك في الإفتتاح أليس كذلك؟

ضاقت حدقتاه وهو يقول:

- بالتأكيد

غادر بخطوات واثقة واعتلى دراجته

البخارية القابعة أمام المتجر منذ ساعات

الصباح الأولى ليترك أنظارها المعلقة

بموطيء أقدامه في شرود

توالى الأحباء لشراء زهور مدام جيبي في

هذا اليوم الربيعي ومع أنغام أغنية معروفة

- يبدو أنك بحاجة إليها لبقية النهار

ابتسمت مدام جيبي بإمتنان قائلته:

- إن لم تمنع عزيزي

نظر ليث إلى إيما التي كانت تستمتع بالفعل

ببيع الزهور وقال لها:

- إن لم تمنع، لقد انتهيت على أية حال

التفت لإيما التي كانت تنسق بعض الزهور

الباقية وقالت بعند فهو مخطيء إن ظن أنها

ستتعلق بأكامه كطفلة تائهة بعد تلك

المعاملة الجافة والمزعجة منه طوال النهار:

لا تمنع إطلاقاً

إلا أنت

فيها إيه الدنيا ديتة ،إلا أنت

كل غالى يهون عليا ،إلا أنت

وابتساماتى وأهاتى منك أنت

واللى حبيته فى حياتى هو أنت

فيها إيه الدنيا إلا أنت

تعالت ضحكات إيما لأول مرة منذ زمن

طويل، فالمرأة مجنوننة بحق وجنوننها مثير

للضحكات والأمال وكلماتها تعبت بدقات

قلبها الأعزل ورائحة الزهور تطوف بالأجواء

تحمل سحراً يكاد يرفعها من على الأرض

لمطربة دافنة أخبرتها مدام جيبي أنها

تعشق صوتها الشجي الحزين تهادت بخطوات

راقصة واعتلت ملامحها السعادة والرضا

فالزينة مبهجة وبذل ليث جهداً خرافياً

ليكون متجرها بهذا الجمال ولولا مساعدة

إيما لها لما كانت لتحصد أرباحاً فالفتاة

خبيرة بأنواع الزهور ولديها ذوق رفيع

وابتسامته رائعة تجذب الزبائن

فمسكت مدام جيبي بكف إيما وجذبتها

للمرقص هي الأخرى وهي تدندن بصوت عذب

مع ألحان الأغنية الصادحة

هل سيصارحها يوماً؟!

أم أنه ضرباً من خيال عشق يدق أوتار قلبها
بقوة كل حين

الساعة أضحت الثامنة مساءً ومر الوقت ولم
تشعر إيما بشمس المغيب
وانصرف زيون آخر

زيون من نوع نادر كما أخبرتها مدام جي جي،
رجل تخطى السبعون من عمره يحمل أزهاراً
لزوجته المريضة بالزهايمر

بضعة إنشآت ويذهب بخيالها لأرض غير
الأرض وسما غير السماء وعينا ليث وبريقها
الأزرق يخطف بأنفاسها

وابتساماتي وأهاتي منك أنت

تنهدت بعمق

تنهدت بقوة

تنهدت واستبقت لنفسها آخر لحظة مجنونتها
هاشتها بين ذراعيه
وغضبه اليوم مبارك

على الأقل أحدهم يفتقدها حتى وإن كان
الذي العمل وشيناً آخر تتوق للذوبان فيه

قص عليهما كيف تقدم لها بالزواج بعد
تعارف دام أسابيع قليلة، لم يكن بجيبه
سوى بضعة جنيهات

لم يكن يملك مالا ليقدم لها حتى خاتم
خطبة

صارحها برغبته في الزواج منها أمام
متجر زهور ولكنه لا يملك مالا ليشتري لها
شبكة

فابتسمت له بحب ونظرت للزهور خلفه
وقالت:

هي حتى لا تتذكره ولكنه لم ينس لحظته
عاشها برفقة تلك المرأة الرائعة على حد
وصفه

اليوم لا يعد شيئا مميّزاً بالنسبة له كعاشق
العصر الحديث والسريع الخطوات

فهو كل يوم يحمل لها أزهاراً في الصباح
الباكر ولكنه تأخر اليوم لأنها كانت
متوعدة بعض الشيء واستبقته لجوارها

كما أن لزهور الليل طعم مختلف كما
أخبرها العجوز العاشق

- يكفينى منك زهرة كل يوم حتى آخر
العمر

وحتى آخر العمر سيبقى على عهده معها لم
يخلف يوماً قط إلا واشترى لها زهرة

غادر العاشق المتجر بخطوات ضعيفت
ككاهله وتساقطت عبرة من عينا مدام
جيبي البنية الدافئة وهي تقول:

- رجل رائع، كم هي محظوظت

فقالتم إيما بالمر:

- ولكنها لا تتذكره

مسحت مدام جيبي عبراتها الساخنة وقالت
لها:

- هو يذكرها

وأمسكت فجأة بكف إيما الدافئ
وقالت لها:

- إياك والوحدة عزيزتي.. الوحدة مرض
يقتل ويمتص الروح.. مات زوجي منذ سنوات
اكتفيت فيها برعاية ابنته وتناستت حالي
ويوما ما ستتركني هي كما فعلت اليوم
تراخت جفون إيما بضعف المرأة الطيبته
تحذرها من الوحدة

مسكينة هي لا تعلم

أيامها وحدة

سنوات عمرها الماضية وحدة

والآتية، من يعلم؟!

تعالت صيحة مدام جيبي وهي تنهر نفسيهما

المعذبتان بألم الوحدة الدامية وهي تقول

بصخب:

- هيا إلى الإحتفال

ارتفع حاجبي إيما بتعجب وهي تقول:

أي إحتفال!!

جذبتها مدام جيبي وهي تضع حقيبتها

في يدها وهي ترد:

- افتتاح متجر سيف عزيزي

أطفأت الأنوار ولم تمهل إيما فرصة للرد أو

الإعتراض محذرة لها بإصبعها :

- لا للوحدة

حاولت إيما الأعتراض بأنها ليست مدعوة ولا

تستطيع اقتحام حفل دون دعوى ولكن مدام

جيبي المتشبهة بذراعها قتلت شكواها

بأنها ليست حفلة بالمعنى المتعارف عليها هي

دعوة عامة لإفتتاح متجر سيف وقالت لها
بعدها منحتها نظرة مأكرة:

- حدسي يخبرني إنها ليلت كبيرة

بانتظارك، ومقطوعات سيف الفنية قد
تحتاجينها في القريب العاجل

اتخذنا طريقهما سيراً على الأقدام وتبين
لأيما أن متجر مدام جيغي وسيف وشركت
ليث للتصميمات جميعها تقع في نطاق حي
واحد تقريبا

فتسائلت داخلها عن نوع العلاقة التي
تجمعهم هل هم أقرباء مثلا أم فقط الصداقة
تجمعهم

وكانما شعرت مدام جيغي بأسئلتها التي
تدور في رأسها

فقالت لها مسترجعة ذكريات قريبة:

- لقد كنا جيران ذات يوم، سيف وليث
أصدقاء أخي الأصغر الراحل، وجودي إلى
جوارهم يشعروني كأنني احتفظ بقطعة منه،
كان شاباً يافعاً محباً للحياة ولكنها لفظته
إثر حادث طريق، أرى في شبابهم أيام عمر
أخي وكانت لتكون أفضل، كان سيجد
لنفسه فتاة طيبة مثلك ويعيشان بسعادة
وينجبان من الأطفال خمسة أو ستة على
الأكثر

علت نظره بائسة وجه مدام جيغي وهي

تسألها بتردد:

- ووالديك؟

أجابتها إيما ببساطة:

- رحلا عن الحياة

تمتت مدام جيغي بالفرنسية باستسلام

هازيء:

Ce est la vie

الأنوار المضاءة جعلت من الليل الدامس غروباً

صيفياً لامعاً والموسيقى الصادحة بعثت في

ضحكت إيما وسألتها:

- هل تحبين الأطفال؟

ابتسمت مدام جيغي بمرارة وهي تقول:

- كحال كل محروم.

واستطردت طارده أشباح ذكريات مؤلمة:

- أخبريني هل لديك أخوة وأخوات؟

سرحت بأنظارها في السماء فوقها ولمعت في

دكنة الليل نظرات شاهنده وابنتيها ترمقانه

كغريبة عنهم فقالت نافية بحدة:

لا . أنا فتاة وحيدة

- اشربي هذا،، سيشعرك بالانتعاش

تناولت إيما الكأس وأخذت تدور في حلقات
مفرغته فجميع المشاهد حولها، صادمة جسد
عارضة عار تقريبا يقترب منها زبون للتحقق
من ملمس ما ترتديه

وهذا يختلس قبله لصديقه التي تحاول أن
تستنزف جيبه لشراء المزيد

وهذا يقترب منها محاولا التحرش بها وسؤالها
عما ترتديه تحت تلك الملابس

أليس للعرض؟؟؟!

نسمات الهواء حيوية شواطئ البهامز في
الليل

تراقصت خطوات مدام جيبي وهي تدفع
بإيما الوجلة إلى الداخل

أجساد عارية تتمايل بدلال بأزياء سيف
التي تعطي للأنوثة مفهوماً آخر

ونظرات الرجال الجائعة بصحبة النساء
جعلتها تنكمش إلى جوار مدام جيبي التي
اجتذبت من أحدهم مشروباً مثلجاً له نكهة
النعناع والليمون اللاذع دفعته لإيما وهو

تقول:

ترددت شفاها بشبه اجابة ولم تنطق حرفا
فقد كانت تحملق فيه بذعر، لقد كان
محقا لم يكن يتوجب عليها المجيء
شق صوت سيف الغوغاء حولهم قائلا بترحاب
مسرحي:

- ايما.. أنا سعيد حقا بحضورك

مجتذبا يد مدام جيغي موجه لها الحديث
تلك المرة:

- لا بد أنك السبب.. وكهدية مني اختاري
ما تشائين على حساب صاحب المحل

وعندها احمرت وجنتاها بشده وحاولت الدفع
بقدميها للهرب فمدام جيغي اختفت وسط
الزحام تبحت عن سيف لتهنئته وهي وحيدة
بين براثن هذا الفج الذي بدا مصمما على
إلقاء فقط نظرة كما كان يرجو

لكمة عنيفة استقرت فوق فكه المتشقق
بإبتسامته وقحة أعقبها تحكم نفس ذات
اليد بذراعها ليقودها بعيدا عنه وعن الأنظار
والأجساد المتلاصمة

والتفت لها وعيناه تلمع بغضب:

- ما الذي جاء بك إلى هنا.. لم لم تنصرفي
من الألك بعد؟

ماعادت تستنشق الهواء الساخن حولها ولا
تشعر بالزحام

وكان المكان فجأة أصبح خاوياً

ما عادت ترى الأضواء البراقة بالألوان
المتنوعة

وكان الشمس سطعت وأنارت الكون وليس
فقط متجر سيف

ماعادت تستطيع سماع الموسيقى الصاخبة
والأصوات المتناحرة

الذي يتناهى إلى أذنيها هو صوت دقات
قلبها، والتي فقدت الإيقاع السليم

لكزته جيغى في كتفه بعثت وهي
تقول:

- أيها الوقح.. أكنت سادعك حقاً تعرف ما
اشتريت

ربما كانت ضحكات مدا م جيغى تصل إليها
بسهولة

ربما كانت الموسيقى الصادحة تصم أذنيها
ربما كان تدافع الجميع من حولها لا يمكن

تجاهله

لكن الأكيد أنها كانت فعلياً

تسقط بكل هذا ولا تشعر

لا تسمع ولا ترى ولا تشعر إلا به وبما
يحركه داخلها من مشاعر وأحاسيس
وخيالات

وكانها محلقة فوق الغيوم

خائفة

مترددة

ولكنها سعيدة

لا تفهم لما هي سعيدة

فهو بالمقابل

غاضب، حائق

ماعدت تستطيع الشعور بشيء ولا حتى

أطرافها

وحده،

لمس يده القابضة على ذراعها

وماعدت تستطيع رؤية أي شيء ولا حتى

سيف الذي لا زال يتابع حديثه ويقترب منها

أملًا في أن يصل إليها

••• مقلتا عيناه التي استحالتا للون داكن للغاية

كالبحر الغاضب في سواد الليل هو المشهد

الذي استأثر بعيناها البنية

ومشتعل

- ما بك ليث؟

وكان صوت سيف الخشن المتبرم هو من
أسقطها من فوق تلك الغيوم وبدأت تستشعر
الأصوات والجموع من جديد وأيضا قبضته
المحكمت على ذراعها بدأت تلين ولكنه لم
يتركها قط

لم يجبه ليث ولم يلتفت له وأمرها بقسوة:

- هيا سأوصلك إلى المنزل

اعترض سيف وهو يقول لإيما:

- لا إيما لا تذهبي، أود محادثتك في أمر

هام، دعي عنك هذا الشراب اللاذع

لم يكن بحاجة لتخمين ما يود صديق عمره
في التحدث بشأنه للصغيرة البلهاء

وعاد للقبض من جديد على ذراعها ودفعا
للخارج قائلاً بتهديد صارخ ينبعث من مقلتيه
الداكنة:

- ليس الآن.. أصبح الوقت متأخراً.. هيا سيري
أمامي

لانت قبضته بعض الشيء وكذلك بدأ
الأزرق يشع من عينيه من جديد ليمنحها
بعض الطمانينة وهو يقول:

- لا تشغلي بالك بأحد

وكانه يقول لها "لا تشغلي بالك بسواي"

فأطاعته دون نقاش

لضح الهواء البارد وجهها وأعاد فيها قدراً من
الحياة المسلوبة لم تحتاج لإعطاء توجيهات
عن عنوان منزلها فهو يسير في طريقه ولا
يخطيء

كان ممسكا بها بخشونة وفي الوقت نفسه
يدفعها برفق حريصا على عدم أذيتها أو أن
يصطدم بها أحد هؤلاء المجانين

كانت تلتفت حولها للبحث عن مدام جيبي
لتوديعها قبل أن تذهب ولاحظ هو أنظارها
المشعته فقال بضيق:

- عمن تبحثين؟

قالت بخضوت وهي لا تزال تشعر برهبة منه

- أود إلقاء التحية على مدام جيبي قبل أن
انصرف

- أسفت

التفت إليها فجأة ولانت ملامح وجهه
المقتضبة وشعر بتأنيب ضمير جارح وهمس
لها بحنان:

- ليس خطوك .. إنها المجنوننة جيبي -

سار بضعه طوات واستطرد بلطف مازح
وكانه هو الآخر يعتذر لها :

- لم يكن بالمكان الملائم لك ساينت إيما
إبتسامته خجولة اعتلت وجهها فورا، لقد غضر
لها وما فعلت شيئا بالأساس يستحق الغضبان
ومن يكون هو ليغضرها

وصلا إلى الحي وأوقف الدراجة البخارية إلى
جانب الطريق، وقال لها دون أن يلتفت:

- هيا .. سأسير معك حتى نصل للبناية

خمنت أنه لا يود أن يراها أحد الجيران وهي
متعلقه بجذعه فوق الدراجة فقالت له وهي
تشكره:

لاداعي، حقا .. سأذ..

••• لم يدعها تكمل حديثها وسار، كان لا زال
غاضبا وبدأت هي تفقد قدرتها على احتواء
غضبه ولكنها مع ذلك قالت هامسة بصدق
دفع الدموع رغما عنها إلى مقلتيها:

إلا عندما التفتت هي الأخرى لتجد سيارتها
إطفاء واسعاف أمام البناية والطابق الرابع به
حريقا وتحديدا من نافذتها الوسطى تنطلق
شرارات اللهب والحريق يلتهم ما بالداخل
فصرخت بصوت مرتفع:

- شقتي تحترق

الفصل العاشر

كعادتها تمضى كل صباح أمام المغسلة
تجلي صحن الإفطار قبل التوجه لمتجر

ولكنها كانت لاتزال سعيدة

ولم عليها أن تهتم بتصحيح الأوضاع وإرساء
مفهوم آخر للعند بينهم كيف ينبغي أن
يكون

الإستسلام له ولما يظن يبدو أكثر إغراء

يبدو وكأنه القرار الصحيح

سارت إلى جواره بأنفاس متقطعة حتى وصلا
• للشارع الذي تقطنه فقالت له لاهتة :

- هذا يكفي أقطن في تلك البناية

أشارت له بإصبعها ولم تكن ترى فعليا
سلبية فبهت وجهه بشدة ولم تدر ما السبب

الزهور، صحن وراء الآخر على أنغام أغان
ومقطوعات موسيقية تبثها محطة الراديو
المحلية..

واليوم صبيحة عيد العشاق ولم يتخاذل
مسئولو المحطة والقائمين عليها لحظة في
اختيار وبت الأغاني العاطفية واحدة تلو
الأخرى

رفعت أنظارها نحو حديقة منزلها الفقيرة
التي تطل عليها من نافذة مطبخها الصغير
وقد حمل نسيم الصباح الهادي برائحة
الأعشاب عطريه تسمح لها جيبي ببيعها في
سوقها وتراءى لناظريها ثمار الخضروات وقد

أينعت توفر بها قسماً لا بأس به من ميزانيس
المتواضعة

أمسكت بأخر صحن وهي تزفر بارتياح، لقد
أوشكت على الانتهاء لتبدأ مطربتها
المفضلة بالصدح بإحدى قصائد نزار التي
كانت يوماً من الأيام محببة إليها أما اليوم،
فهي مبعث للسخرية المريرة ليس أكثر

ورغم ذلك، دندنت مع كلمات الأغنية
بصوت مرتفع نسبياً تفر منه الضحكات وربما
دمعة أو اثنتان
ذوبني آه ذوبني -

ذوب في الفئجان قطعتين

وفي دمي ذوب وردتين

وعندما انتهت من عملها المضني أغلقت

المذياع وهي تتمم:

- حمقاء كأي أنثى

كانت لا تزال مرتدية ملابسها بعدما

أوصلت صغيرها لتقله الحافلة المدرسية

وعادت إلى المنزل سيراً على الأقدام..

جينز باللون الأزرق الداكن وقميص من

الكتان الأبيض تعلوه سترة خفيفة بلون

الرمادي تستغني عنها في فصل الصيف وقد

يتبدلها بتنورة سوداء وبلوزة خفيفة بلون

الكريم مع نفس الحذاء والحقيبة

خرجت من المطبخ وفي طريقها تعثرت

عينها بزوجها الذي يحتل الأريكة وهو

يغط في نوم عميق وأثار احتساؤه

للكحوليات ظاهرة للعيان بدءاً من رائحة

أنفاسه الكريهة إلى شخير المرثع

نظرت له باشمئزاز وأولته ظهرها واتجهت إلى

غرفة صغيرها لترتب الشراشف وتحمل

ملابسه المتسخة لتغسلها فيما بعد

ثم اتجهت بعد ذلك إلى غرفتها وحملت

حقيبتها وخرجت بهدوء دون أن تلقي نظرة

بل أصبحت تأنف من مشاركته نفس الفراش
فإن عاد يوماً مبكراً وأخلد إلى النوم في
حجرتهما، تركتها لتنام إلى جوار صغيرهما
على الأقل أنفاسه مطعمة برائحة معجون
أسنانه النظيفة

سارت في طريقها إلى المتجر وككل عام
كل شيء مطعم بالأحمر في مثل هذا
التوقيت

سارت وهي تسترجع أحداث سنون وملت
اليوم عيد العشاق وغدا ذكرى زواجهما

أخرى عليه قد تصيبها بمزيد من الضيق
والاشمئزاز منه

في السابق عندما كان يعود إلى المنزل
مترنحاً كانت تساعد للوصول إلى الفراش
وتخلع عنه ملابسه وتجلس إلى جواره تبكي

والآن وبعد مرور ست سنوات على زواجهما
واثنتان على تدهور أحواله المادية وعودته
إلى منزلها مترنحاً كل ليلة أو قد لا يعود

لم تعد هي تبالي

ولا حتى بنزع حذاءه وحثه على الاستلقاء

في فراشهما

والحزن على وجه حافظ ولكنه لم يكن
يملك إلا أن يستجيب لرغبتها
واليوم تدرك لما كان حافظ حزينا لهذا
القرار
كان محق

فكل وعوده ذهبت أدراج الرياح
وكل ما أقسم عليه حنث به

بل والقى باللوم عليها
فبعد ميلاد ابنهما سيف الصغير بسنتين
تقريبا نشب عراك هائل بينهما قذفها
باتهامات باطلت

فبعد أن أتى الحريق على شقتها بالكامل لم
يسمح لها بالمبيت إلا في منزله واحتل
الأريكة تاركا لها غرفتهما الحالية وبنبل
الفرسان عرض عليها الزواج في اليوم التالي
أقسم لها بالحب والولاء

أقسم لها أنها صنعت منه إنسانا آخر
وأنها بزواجها منه ستجعله إنسانا أفضل

ووافقت وصرخت من الفرحة وتزوجا في اليوم
نفسه توجهت معه لمكتب الأستاذ حافظ
ليمنحها شهادة ميلادها كي يستطيعا إتمام
مراسم زواجهما يومها ارتسمت علامات الأسف

وعاد بعدها ليعتذر ولو لكنها كانت تشعر
 داخلها بألم عميق وجرح نافذ سببته
 كلماته المهينة بحقها
 فهي لا تتعمد قتل روحه الفنية كما يدعي،
 هي تود منه فقط الارتقاء
 ولا تود الاستنثار به عن كل النساء، هي
 تريده فقط بعيدا عن الشبهات
 ومع ذلك غضرت له ذلته لسانه كما كان
 يدعي أو بالأحرى تناست مرغمة
 ولكن لم تمض بضعة أشهر على عراكهما
 حتى عاد مرة أخرى يكرر على مسامعها

بأنها سبب سوء حظه وأنها وراء دمار مستقبله
 وعمله
 أصبح ينتقى الزبائن اتقاء لغيرتها وهذا
 كلفه الكثير
 وقتها لم تدرك أي عمل يتوجب على صحابه
 مرافقة الفتيات لأجله
 ويصبح تبادل القبلات البريئة على حد
 تعبيره بينهم أمرا اعتيادياً وأنها هي الرجعية
 بأفكارها المتخلفة والتي تعود للقرن
 الماضي!

تمضي فترة الصباح في المتجر وتعود إلى
منزلها في الظهيرة مصطحبة معها ابنتها
الصغير من موقف الحافلات الذي يبعد عن
المتجر بأمطار قليلة وتعمل جيغي بالمناوبة
المسائية للمتجر وأحياناً لا تستطيع فيغلق
أبوابه لليوم التالي
واليوم يوم حافل

بالأسبوع الماضي فشلت جيغي بإقناعه
تزيين متجرها، كما كان يفعل في السابق
فكيف يأخذ منها أجراً وهي تعطى زوجته
أجراً

تلك الإتهامات حتى صارت كاسطوانة
مشروخة إلى أن فقد عمله تماماً وأضحى
عاطلاً

والسبب هي

اضطرت للعمل لتوفير نفقاتها ونفقات
صغيرهما وإلى اليوم هي قائمة بكافة
النفقات

وقفت إلى جوارها جيغي كثيراً واتخذت
منها رفيقة طيبة لها بعدما غادرتها ابنته
زوجها الراحل لبلد آخر بعد زواجها هي
الأخرى

تعجبت داخلها من منطقة المنحرف

ولكنها لا تملك شيئاً

لقد فقدت القدرة على التحدث معه بهدوء

بشكل سوي

دوما ينتهي حديثهما بصراخ منه في وجهها،

أما هي فتكتفي بالصمت كي لا ترهب

الصغير

• فيما مضى كانت تجتهد لتمنحه أعذاراً

لخاطر الصغير قد تضطر لإلقاء بعضها على

مسامعه وادراكه لا يتعدى كون الماما تقول

الصدق دوماً

ولكن صغيرها قد كبر وتفهم أن أعذارها

واهية وكف عن المطالبة بتفسير

لماذا يزعق البابا؟

لم يعد يهم

فالبابا إما يصرخ أو يغط في النوم أو في

الخارج ولن يعود إلا بعد منتصف الليل

بكثير

وصلت إلى المتجر ودلفت من الباب الزجاجي

وهي ترسم ابتسامة زائفة على وجهها مرحبة

ب جيغي التي ظهرت اليوم مبكرة كعادتها

كل عام

ضحكت جيبي وجلست إلى جوار إيما على الطاولة الخشبية المستطيلة وهي تضع في طبقها الفطائر قائلته لها :

- هيا كلي سريعا لنزين سويا المتجر

هزت إيما رأسها وشرعت في الأكل ووقعت أنظارها على رسمته المطموسة وحروف اعتذاره قد محيت بفعل الزمن وأشياء أخرى مما أفقدها قسماً هائلاً من شهيتها ومع ذلك أرغمت نفسها على تناول المزيد كي لا تغضب جيبي

كفت عن تسميتها بمدام جيبي منذ زمن بعيد... الألقاب والرسميات مهينة لعلاقتهما

وكعادتها أيضا كل عام أعدت لها فطائر القرفة بالسكر الخشن وشراب "الكوكو" فقد علمت بكنيته

وأشارت لها بأصبعها محذرة:

- لن اسمح اليوم بأعدار أعلم انك تتناولين فطورك كل يوم مع الصغير ولكن،

قاطعتها إيما قائلته:

••• كلا لم أفعل لم أكن لأضيع على معدتي تلك الفرصة الشهية

لتحظى بالوداع دون أن تدري وهي تجيبها
بسؤال لم تسأله

"القلب لم يعد أجوف ايما"

وأيضاً كسبت الكثير أعظمها صغيرها
الحبيب والصدّاقة التي تجمعها ب جيحي

ومضى اليوم يجري حثيثاً حتى أولى ساعات
الظهيرة عندها حملت نفسها لموقف
الحافلات لتستقبل ابنها بأذرع مفتوحة

والصغير يعد اليوم نزهة رائعة

فهى لن تستطيع ترك جيحي في هذا اليوم
الهام، لهذا سيبقى صغيرها إلى جوارهما في

ربما خسرت الكثير بحياتها..

أعظمها خسارة الراهبة باتي منذ سنتان
فالمرأة الطيبة كانت مريضة بمرض عضال
وأخفت سر مرضها عن الجميع حتى رحلت في
سلام

تعد نفسها محظوظة إذ كانت في زيارتها
قبل وفاتها بأسبوع تقريبا لتعرفها إلى سيف
الصغير الذى يعد قطعة مصغرة من أبيه
ولكنه ورث عيناها البنيتان عندما رآته
الراهبة الراحلة ابتسمت لها في حبور وهي
تقول:

"لعل بعينه روحك الطيبة"

هي فيه ولم تقتل داخله شيئاً كما يتهمها
والده

أما جيبي تشاكسه أنها لن تبيعه متجرها
حتى لو كانت لا تملك فلساً واحداً

فهو لن يكون سوى مهندس أو طبيب ناجح

مضى اليوم وأغلق المتجر أبوابه وجلست

جيبي تحتسي مشروباً دافئاً ونام الصغير في

الغرفة الخلفية وجلست هي لتقوم

بالحسابات التي لا تجيدها جيبي فالمرأة

على الرغم من انها مالكة المتجر منذ

سنوات بعيدة إلا أنها غير ضليعة بالمرّة في

الأمر الحسابية مما جعلها مدينة لمصلحة

المتجر ليتناول الغداء سوياً ثم يساعدها

الصغير في بيع الزهور كما يعشق

وبين الحين وللآخر يخبرها كم يود أن

يصبح بائعاً للزهور عندما يكبر

سيشتري متجر مدام جيبي وسيصبح ملكه

ليبيع الزهور وحده

بل إنه سيصبح مزارع ليزرع الزهور وحدها ولا

شيء آخر

ليدفع بالبسملة لتقتحم زوايا فم أمه رغماً

عنها على الأقل لديه آمال وطموحات زرعتها

الضرائب بمبالغ جمّة مما يفقد إيما صوابها
فالأرياح التي يجنيها متجرها لا تتناسب مع
كم الضرائب المفروضة عليها، فعمدت
لمراجعة دفاتر الحسابات منذ زمن لعلها تعثر
على ثغرة قد تمكنها من مراجعة مسئول
الضرائب

ريتت جيغي على كتفها مشفقة:

- يكفي إيما، لقد غرق سيف بالنعاس عودي
به إلى المنزل

لم ترفع لها إيما بأنظارها فقد كانت بكامل
تركيزها في الأرقام التي تطالعها وقالت دون
تفكير:

- الغد عطلة، وأنا لست متعبة أذهبي أنت إلى
منزلك ولا تقلقي سأغلق أنا الأبواب
تنهدت جيغي متعبة وقالت:

- إنك عنيدة.. حسنا سأذهب، إلى اللقاء

أشارت لها إيما مودعة وبعد قليل شعرت
بتصلب عضلات رقبتها فقامت لتطمئن على
صغيرها وشعرت بالذنب، ففراشه بالمنزل
أكثر راحة ودفناً نظرت إلى الساعة
بساعدتها فوجدتها تخطت الحادية عشر
فحملته وحملت حقيبته وأغلقت الأبواب
جيداً وسارت في الشوارع الهادئة حتى وصلت
إلى منزلها

أتخرج إليه وتطرده هو وأصدقائه أم تلتزم
الصمت رفقا بالصغير

وبعد مرور الوقت آثرت الصمت ودموعها
تستبق الواحدة الأخرى في مضمار محفور
على وجنتيها

غيرت ملابسها لماليس نوم فضفاضة واتجهت
إلى غرفة الصغير لتنام إلى جواره بعدما
أوصدت الباب جيداً

.....

وعلى غير العادة وجدته يجلس على الطاولة
بغرفة الطعام ومعه ثلاثة من الرجال يلعبون
النرد مما أشعرها بالغضب والضيق العارم
أيصطحب رفقاء السوء إلى المنزل الآن!!

زجرته بنظرة ناريت لم يعبأ بها واتجهت إلى
غرفة صغيرها ووضعته بفراشه وخلعت عنه
حذاءه وخرجت وأغلقت الباب واتجهت إلى
الحمام لتغسل وجهها بالماء البارد عليها تهدي

واتجهت إلى غرفتهما وجلست على طرف
الفراش وهي بين ناريتين

ووقف هو يراقب هذا المشهد الذي لا يراه
كثيراً بسبب غيابه عن البيت أو الوعي
لوقت طويل

وما أن وقعت أنظارها عليه بسروره الأسود
الفضفاض وعضلات صدره البارزه وقدماه
الحافيتان حتى انتابتها قشعريرة مثيرة
للغثيان داخلها

لا زال يمتلك تأثيراً لا تستطيع هي مقاومته
على الرغم من أفعاله المشينته
كانت تمني لو تستطيع كرهه أو هجرانه
لا استطاعت هذا ولا ذاك

استيقظت صباح اليوم التالي منهكة القوى
على لكزات رقيقة في كتفها وصغيرها
يخبرها بصوت ضعيف:

- ماما، أنا جائع

ابتسمت له وقبلت جبينه وقامت لتعد لهما
طعام الإفطار

كوب من اللبن الدافئ والحبوب الجافة في
طبق منفصل كما يحبان

داعبت أنفه المستدق ببعض الحبوب مما دفع
بالضحكات إلى فمه ليلتهم منها الحبوب وهو
يقطنصها من بين أصابعها النحيلته

هي غاضبة منه وحانقة من نفسها الضعيفة
أمامه وعذرها تعلم أنه وإد

إن كانت تربت هي وحيدة دون أب أو أم

فأبنها سيكبر إلى جوارها، هي لن تفارقه
لحظة

وما حاجة صغيرها لأب لم يعد فقط عاطل
بل أضحى سكيراً

•• ومزيداً من الخصال السيئة الأخرى

لم تغب عن نظره البسمة التي رحلت عن
شفتيها ريثما وقعت أنظارها عليه

•• ما يشعر بالسعادة هو الآخر

يعلم أنه مقصر

يعلم أنه خذلها بل وخذل نفسه وصغيره

يعلم أنه لم يعد الليث

يعلم كل هذا

ولا يستطيع منع أي من هذا

فقط هو عاجز

وعجزه يصيبه بالغضب

ولا يملك سوى الهروب

تلاقت عيناها لبرهة وهي ترمقه بصرايح
 كان يشعر أنه تلميذ خائب تلقى لتوه تأنيباً
 داعب الصغير وقال له:

- اذهب لتغير ملابسك إذن سأصطحبك إلى
 الحديقة

قفز الصغير من على الكرسي وهو يصرخ
 فرحاً ثم جرى بخطوات مسرعه نحو غرفته
 كما أمره والده

وبقى هو ينظر إليها وهي تجمع الأطباق
 لتتشاغل عنه بأي شيء

كأس من الخمر وصحبة رجال هاربون مثله
 لا يملكون حق نصب المحاكم وتنفيذ
 أحكاماً بصرياً أو أياً ما كانت
 اقترب من الطاولة وقبل صغيره وداعب شعره
 الغزير وقال له:

- لم أنت لست في المدرسة أيها المتكاسل
 رفع الصغير حاجبيه تعجباً هو لا يدرك إن
 كان أبيه يمزح أم ماذا:

أما هي فقد ارتسمت على ثغرها بسمة ساخرة
 وهي تجيبه بنقد لاذع :

اليوم الجمعة

تهرب هي الأخرى ببركان من الغضب، إن
انفجر فسيدمر كل شيء

واتخذت من غضبها طاقة لتنظف الأطباق
المتسخة والأكواب القذرة حصيلة سهرة
الأمس مع أصدقائه

اقترب منها بحذر ووضع بهدوء إلى جوار
المغسلة حفنة من المال ثقيلت

طالعتها بغضب بالغ وغسلت يديها وجففتها
وهمت لتركه وأمواله دون أن تثبت بشفتها

حتى جذبها من ذراعها فجأة ليمنعها من

التحرك

نفضت ذراعها وحررتة من قبضته يسر تلم
وهي تنظر إليه باشمئزاز قاتل

قائله بصوت يقطر احتقارا:

- احتفظ بأموالك لنفسك فهي محرمة علي
وعلى طفلي

زعق بها:

- لقد كسبتها

زجرت مستنكرة:

- بماذا؟ بكذك وعرقك!!

لا أريد أموال القمار ولن أسمح لك بإقامته
مزيداً من تلك السهرات بمنزلي، ابتعد
بتلك القذارة عني وعن طفلي

أمسكها من كلا ذراعيها يضمهما بغضب وهو
يصيح لها حانقا:

- طفلنا

نفضت يديه بعيداً تلك المرة بقوة وهي
تقول له محذرة:

- لا تلمسني

سخر منها:

كفنت أفعل أكثر من هذا ساينت إيما

بسمته هازئة عبثت بزاوية فمها اليسرى وهي
تؤكد له قبل أن تنصرف وتتركه وحيداً:

- نعم، كنت

وقف يحدق بالفراغ الذي تركته متألماً لا
يملك حق التأوه

وأخذ الأموال ووضعها بجيبه وأشعل سيجاراً
وأخذ ينفض دخانه بغضب ودخل صغيره وهو
يصرخ به:

- بابا، لقد انتهيت، لم.. لم ترتدي

ملابسك؟!

حضر مأمور الضرائب وسلمها وثيقة قضائية
بفلق المتجر واما الدفع أو الحبس

كادت إيما أن تصرخ من فرط بؤسها وبأسها

من أين ستأتي بالمال وكم سيلزمها من وقت
حتى تعثر على وظيفة أخرى وماذا ستفعل
جي جي فسألته بقنوط:

- وكم هو المبلغ؟

مسحت جي جي دموعها المصبوغة بالماسكرا
الزرقاء التي تهواها جي جي وهي تقول بصوت
خفيض:

ابتسم له رغما عنه ابتسامته كسيرة وسحق
سيجارتته سريعا وقام وهو يقول:

- انتظرنى في الحديقة ثلاث دقائق فقط
ونطلق

مرت أيام على تلك المواجهة بينهم وعاد
كلاهما مرة أخرى للصمت المطبق

••••• فخذ خلالها رغبتها وأبقى سهراته المشينته
خارج جدران المنزل

وذات يوم ذهبت هي إلى المتجر لتجده مغلقا
فوجدت جي جي تقف أمام أبوابه وهي تبكي، لقد

- مائة ألف على الأقل.. لا أعلم كيف أنا
أبيع الزهور فقط، فكم يدفع تاجر
المجوهرات إذن؟

تهدل كتفا إيما بتعب وهي لا تلك ردا
مناسبا فقالت بعد برهة:

- علينا بالتحدث إلى أحدهم ، ربما محامي أو
..

ثم لمع في ذهنها اسمه الذي لا يغيب كثيرا
عن بالها وقالت براحة:

- الأستاذ حافظ

نظرت لها جيبي ببلاهة وهي تقول:

- من؟

ريبت إيما على كتفها وقالت لها:

- لا تقلقي، عودي أنت إلى المنزل، سأذهب
لأزور أحدهم وسأعود

قبلتها إيما من وجنتها وكانت تلك إحدى
المرات القليلة التي فعلها وهي تؤكد لها
مرة أخرى قبل أن تنصرف بخطوات مسرعة

- عودي إلى المنزل، ولا تقلقي

.....

تغير الحي كثيرا وبقيت البناية التي يقع
بها مكتبه كما هي

الصوت كانت تشتاق له مسامعه

لقد بحث عنها طويلا

كان يريد فقط الاطمئنان عليها

التفت لها والدموع تتقاذف من مقلتيه وهو

يقول بدهشة

- ايما، يا صغيرتي، كيف حالك؟

اقتربت منه وأهدته قبلة خجولة على وجنته

فهو بمثابة أب لها

وقالت له مداعبة:

- كيف حالك أنت أيها العجوز

وصعدت الأدراج الرخامية وسرها أن المكتب

لا زال بابه مفتوحاً، كانت تخشى أن يكون

قد أغلق أبوابه فالرجل قارب على السبعون

عاما

دلفت إلى المكتب بهدوء فالسجاد الوثير

امتص وقع خطواتها المتعجلة حتى ارتطم

بصرها به نفسه وهو يمسك بإحدى المراجع

القضائيه وهويهم بالدخول إلى غرفته

فتنحنت إيما بخجل وهي تقول:

- صباح الخير

الصوت لم يكن غريبا عن مسامعه

نظر لها مليا وقال لها:

- يا إلهي لقد كبرت وصرت شابة يافعة

ابتسمت له إيما وقالت بلطف:

- لست وحدي

دفعها حافظ برفق إلى غرفته وهو يقول:

- تفضلي، تفضلي إيما المكان لم يتغير

كثيرا، رحلت مساعدتي منذ زمن طويل

وأستعين بشاب في الفترة المسائية، الأعمال

ليست كما كانت من قبل لقد كبرت

كثيرا ولم أعد أستطيع الوقوف كثيرا في

حالات المحاكم

نظرت له إيما وابتسمت له بامتنان، يسقيها

بشرثرته نضجات من ماضي ظنت لجهلها أنه

سيء ولم تعلم بأن الأسوء هو القادم

هو الحاضر، في الوقت نفسه

جلست إلى المقعد الوثير وهي تقص على

مسامعه تلك الضائقة التي وقعت بها مدام

جيحي بسبب عدم دفعها المتأخرات المالية

لمصلحة الضرائب منذ سنوات

زم حافظ شفتيه أسفا وهو يقول:

- للأسف إيما.. المتأخرات مبالغ طائلة بسبب

التأخير، فكل عام يضاف غرامة مهولت

عبست إيما:

- هذا لا يساعد أحد.. من تعثر بالدفع في أول مرة بالتأكد لن يستطيع رد الأموال مضاعفة بعدها بسنوات

عندما لمح اليأس يرتسم على ملامحها قال لها:

لم لا تأتين إلي بكافة الأوراق والمستندات وسأرى ماذا يمكننا فعله، أرى أن أمر تلك المرأة يهكم بشدة

زمت إيما شفيتها وقالت بانزعاج:

- هي صديقتي لي بالإضافة أنها ربة عملي الخسارة مشتركة

قامت وحملت حقيبتها وهي تشكره قائلة:

- على آيتي حال أشكرك كثيرا، وسأعود لك غدا بالأوراق بإذن الله

قام العجوز ليصافحها وهو يقول:

- أنا في انتظارك ولا تقلقي بشأن الأتعاب إيما

ابتسمت له بعرفان جميل وغادرت سيرا على الأقدام توفيراً لنفقات غير ضرورية لتجلس بعدها على مقعد في موقف الحافلات بانتظار

تنهدت إيما بضعف وهي تقول:

-أعدك ولكن إن استمر بمضايقتك فلن
ألزم الهدوء

.....

صباح اليوم التالي استيقظت وقامت بروتينها
المعتاد

وكالمعتاد من الحين للأخر يظل الفراش
لا يحمل سواها والأريكة لا تحمله بالمرّة

وكالمعتاد

عودة صغيرها التي اصطحبتة إلى المنزل
وهي تستمع إلى ثرثرته عن أصحابه وهذا
الولد الضخم البنية الذي يتعمد مضايقته و
يتوعده أنه سيضربه غداً

عبست إيما بقلق وهي تقول له:

- لا تحتك به سيف، ولا تحدثه وغدا
سأذهب لملاقة مدرستك لنرى ماذا يمكننا
فعله

عندها قال الصغير بانزعاج:

-لا أمي، لا أرجوك لا تفعلي، سيلقبونني
بصغير أمه، عديني ألا تفعلي

حتى استطاعت هي أن تستشف من علامات
وجهه المخيبة للآمال

أنه لا جدوى

رفع أنظاره وهو يقول بأسف:

- لقد تأخرت كثيرا

قالت بهدوء:

- ماذا سيحدث الآن، هي لا تملك هذا المبلغ

رد بنفس النبرة :

- سيعرض المتجر للبيع بمزاد لتسديد ديون

الضرائب وإن تبقت أموال فستعود إليها

لم تعط للأمر اهتماما فقط سكين بارد ينغز
يقلبها وتتجاهل هي الألم لتستطيع القيام بما
عليها من واجبات

فالأهتمام بالأمر يستدعي منها طاقة هائلة

اكتشفت على مر الأيام

أنها مهدرة

وبعد ساعتين من رحيل الصغير إلى مدرسته

بالحافلة المدرسية

كانت هي تستقر على مقعدها أمام أستاذ

حافظ وهو يراجع الأوراق واحدة تلو الأخرى

ارتسمت على وجهها ابتسامة بائسة:

- هذا يعنى أنها خاسرة، بل إننا خاسرتان

حملق بها حافظ لبرهته وهم أن يصارحها

بحقيقتها والدها ، لم عليها أن تعاني

لا يعلم مكان شاهنده حتى اليوم

فمنذ خمسة أعوام تقريبا تلقى مخابرة

هاتفية فى سويغات الصباح الأولى ليأتيه

صوت سهى المرتجف وهي تقول:

- العم حافظ ، خشيت ألا ترد

رد عليها بصوت يقطر دهشة وسرورا وهو يقول

- سهى اشتقت لك يا صغيرتي، أين انت؟

ولم يأتيه ردا لقد انقطع الخط وبقى للساعات

يحدق فى الهاتف فى انتظار مكالمته أخرى

ولكنه منى بخيبة أمل حارقة

وبعد أن مرت السنون فقد الأمل تماما

فلم عساه أن يحييه مرة أخرى فى نفس إيما

المسكينة

صرخ ضميره بإجابة موجعة

"لأنه حقها"

اتسعت عيناها دهشة، فالبطاقة البيضاء
المتهرئة لا تزال تسكن جيب الحقيبة
الداخلي، فأخرجتها بأصابع مرتعشة
وقالت بتمهل وهي متفاجئة في الوقت نفسه:
- لا تزال هنا، بعد كل هذا الوقت.
قام حافظ وأمسك بكفيها وقال لها :
سيمدك بالعون أنا متأكد وعودي في وقت
لاحق،، أن للإجابات أن تعرف طريق مسامعك
لمعت بعينها دمعة وهي تقول:
- ومن يهتم، لدي صغير الآن

كاد يهب هو الآخر ليقف كما فعلت هي
وهي تقول:

- سأذهب الآن.. وأشكرك كثيراً

نظر لها وهو يتألم وقال لها:

- ماذا ستفعلين بعد ذلك؟

قالت بحبور يتناقض مع وضعها المزري:

- سأجد عملاً آخر لا تقلق

ودون ان يفكر قال لها:

-عليك بالبحث عن البطاقة الأخرى إذن

اتسعت عيناه دهشة فهو لم يعلم أن لها ابنا
فاكدت له وهي توميء برأسها :

سيف، حبة قلبي

الفصل الحادي عشر

كان قد قرر المبيت ليلية أخرى في شركته
المظلمة ولكنه نوعا ما يشاق لرائحة
المنزل المطعم بأنفاس الصغير على الرغم
من انه لا يمكث كثيراً من الوقت برفقته
خوفاً من أن يبدو أمامه بهيئته المزريّة
والمتخاذلة كأب لا نفع له
في لحظات الصدق القليلة التي تعترى
يقر أنه نموذج سيء ولا يصلح كأب نفسه
لهذا الصغير الرائع وعندما يعقد مقارنه
سريّة بينه وبينها يجدها الفائزة وبجدارة
وهذا يشعره بالدونية وعدم الأهمية في

حياة ابنتهما

يتعمد الغياب عن البيت ليال عديدة وساعات
طويلة ويعود على أمل أن تفتقده، أن تسأل
عنه، أن تشعر بضراغ ربما
أو أنها تشعر أنها بحاجة إليه
أن تغادرها أنفاسها اشتياقا إليه كما يشاق
هو لهذا الإحساس
إحساسه بالأهمية
إحساسه بقيمة زانفتة أو حقيقية أو أيا ما
كانت
وقف يراقب ملامح وجهها الدقيقة أثناء نومها
إلى جوار الصغير
افتتن يوما بتلك الملامح البريئة

افتتن يوما بتلك الخصلات الهاربة لصاحبة
 العيون الواسعة البنية الجميلة
 رسمها في لوحة يحتفظ بها لليوم في
 مكتبه مغطاة على الرغم من فضولها
 بالماضي إلا انه أبقاها بعيدة عن الأنظار
 واليوم يصارع رغبة بتمزيقها ولكنها تبقى
 شاهدا على أنه كان يمتلك يوما شغفا لا
 يضاهيه شغف
 أصابع فنان أضحت اليوم أصابع مقامر سكير

.....

وبعد مرور سنوات على زواجهم اتضح له أن
 خطته أنامله لمعشوقته هو محض خيال
 ،معشوقته البريئة التي لا تدري عن العالم
 المجنون شيئا، هي امرأة منغلقة بالفضرة
 ضيقة الأفق، باردة المعنى

في احتياج دائم لأن يشعرها بالأمن والأمان
 هو نفسه يفتقر لهما رحلا والديه بحادث سير
 عندما كان طفلا في السادسة من عمره
 وتولى جده الراحل تربيته ودلله كثيرا
 كان رجلا محبا للفن والجمال واكتسب هو
 منه تلك الصفات واكتسى بها حتى رحل
 عن الحياة تاركاً لليت مسئولية تحمل نفسه

وتعرف من خلال عائلة سيف على جارتها
الفاطنة جيبي وأخيها الأصغر الذي كان
بدوافع يقاربهما عمراً وبالنهاية انقاد لزواج
عديدة أعظمها فضوله الأحمق ونظرتها
الضائعة الخاوية ليلتها كانت دافعا لا يقل
أهميه لم يدري أنه بذلك النبل الفطري
الذي أكتسبه من الجميع قد أخسره
الكثير،

حريته في المقام الأول وهويته التي ضلت
عنه منذ أن ارتبط بصاحبة الخصلات الهاربة
تلك التي ترفض تبادل القبلات مع زوجها
تحت أنظار الصغير والتي تعد ممارسة الحب

واخذ على عاتقه أشياء لم يجد ربفتي مراهق
تحملها.

ساعده أصدقاؤه كثيرا بحياته الماضية،
والداي سيف كانوا منفتحين للحياة وللناس
ورحبا بشده بالمراهق اليتيم في حياتهما
وحياة ابنهما الوحيد المدلل ليكونا صحبة
ليس في المدرسة فقط بل بالبيت أيضا وتولى
والد سيف تأجير منزل الجد ليضمن لليت
مبلغاً من المال يؤمن به حياته القادمة ولم
يطالبه بفلس واحد لقاء معيشته معهم،
كان دوما يخبره أن الله قد رزقه بابن آخر
على مشارف الخمسين من عمره

ودفعته دفعا للاقتران بها

كان يتخيل نفسه عائداً كل ليلة

حاملاً بيده زهرة منتقاة من متجر جيبي

وقطعه حلوى يخبئها في معطفه من أجل

صغيره،

لا يوماً حمل الحلوى ولا عاد يوماً بزهرة..

بل يعود كل ليلة بخيبتة.. انحنى وقبّل

الصغير سريعاً وهرب من حجرته إلى الأريكة

فعلينا لا يشعر بضرورة أن يتشارك معها

فراش هجرته هي منذ سنتين حتى الآن، ولم

يكن يتصور يوماً أن تهجر

على أضواء الشموع أو المصابيح جريمتة لا

تغتفر فكيف بالاستحمام سوياً، أمراً يندى

له

وقف بقرب فراش صغيره يصارع ذكريات

بكل ما مر به ورغبتة بضم الصغير إلى قلبه،،

في السابق لم يتخيل نفسه زوج قط ظن أنه

سيعيش وحيداً يتنقل من امرأة لأخرى حسبما

يهوى ولكن من الحين للآخر كان يتخيل

طفلاً صغيراً.

يشبه من أحبها

وسيطرت على عواطفه

فراشه امرأة،

امراته..

أنهت اتصالاً هاتفياً وتلقت الآخر لتجيب
ببضعة كلمات ديناميكية ويدها لا تهدئ
هذا يحتاج لتوقيع مدير الحسابات وهناك
موعداً تأجل للشهر التالي عليها بإعادة
جدولته وهناك حجزاً لعشاء في مطعم
الليلة عليها تأكيده ووقف هو يراقبها
بجدية يقيم أدائها الذي تشكو منه سارة
مساعدته الأقدم ولا يجد ما يسوءه اقترب

منها وحمل ملفاً آخرأ يحتاج لمراجعة
قانونية قائلأ لها بثبات:

- سأذهب لتناول طعام الغداء برفقة الوفد
الصيني إيما عندما أعود احضري لي ملف
الصفحة الأخيرة لنراجع معا بعض الأمور..
على الرغم من أنه يظهر فجأة بسترقه
القائمة اللون دوما إلا أنه لم يثير الذعر
داخلها أبدا بل ويال العجب تشعر دوماً
بالاطمئنان إلى جواره لم يكن من نوعيته
هؤلاء الرجال الذين يسعون للتودد إلى
السكرتيرة باعتبارها أحد الممتلكات
الخاصة..

فريد خيرت

أحد أشهر رجال الأعمال وأكثرهم نفوذا
وأعلاهم صيتاً

وقضت على أعتاب شركته منذ ثلاثة
أشهر في التاسعة صباحاً وهي تحمل بطاقة
بيضاء متهرئة لتجد نفسها بعد مرور دقائق
معدودة في خلية نحل وهذا أقل وصف الرجل
يبدأ صباحه في الخامسة فجراً كل يوم
ويظهر في مكتبه في تمام السادسة، قابلتها
مديرة مكتبه بترفع شديد وأخبرتها أن تعود
بعد شهر فجدول مواعيده مزدحم للغاية
لأنها بإصرار مقاتل صممت على مقابلته

وكل ما بحوزتها بطاقة متهرئة مضت
الساعات حتى خرج فجأة من مكتبه ليتناول
طعام الغداء في تمام الثانية عشر ظهراً
كعادته التي لم يخلفها يوماً
ليفاجئ بتلك الشابة تجلس تحت أنظار
العنقاء سارة مساعدته المخلصت وبيدها
بطاقة قديمة تعود لسنوات مضت فاليوم هو
لا يطبع بطاقات تعريفية له ولشركته لقد
أصبح كما يقولون أشهر من النار على العلم
ومن ذا الذي يجهل شخصه

وخالف روتينه المعتاد وتناولها معها في مكتبه وفي اليوم التالي أصبحت مساعدة ثانية له ولكنها تظل تحت قيادة العنقاء مباشرة ،مرت الساعات سريعا ودقت الخامسة لتعلن انتهاء يوم العمل ولكن ليس بالنسبة ليها تغادر العنقاء وتبقى هي ولا تغادر حتى يأمرها بالانصراف وقد تبقى أحيانا حتى السابعة مساءا ولكنها اليوم تشعر بالإرهاق والاشتياق لصغيرها الذي أصبحت تقضى معه أوقات متقطعة وفي الغالب عندما تعود لتصطحبه من منزل جيبي يكون قد غط في نوم عميق طرقت مكتبه بطرقات قليلة ودلقت لتجده مازال يعمل دون كلل أو ملل

اقترب منها ولم ينطق فقط مد يده ليأمرها بترفع أن تعطيه البطاقة أمعن فيها النظر وفي بطاقته

حتى قال بابتسامته مقتضبة :احتفظت بها زمنا

لم تعرف من أين واثتها الجرأة فمدت يدها بثقة بالغه لتصافحه وتعرفه على نفسها "إيمان مراد عسران"

لم تكن تدري أن اسم أبيها له وقع السحر إلا عندما اعتلى وجه العنقاء نظرة حملت دهشة وحقدا لا أكثر مد يده بالمقابل وصافحها وهو لأول مرة تخلى عن وجبه غذائه

من عمره ربما كان وسيما يوم من الايام
ولكنه اليوم رجلا فارع الطول نحيف بعض
الشيء وجهه يحمل تجاعيد الزمن بفخر شعره
كث أشيب نظراته عميقة وقورة خلف
عوينات رقيقه للقراءة أحيانا صوته جاف
حازم لا يحمل عبث ولا تلميحات ببواطن
كلمات لا معنى لها

تنحنحت فرفع لها أنظاره ليجدها تقف أمامه
وامارات التعب جلية على ملامحها فعبس قليلا
وقال لها عليك بالانصراف أنت دون نفع وأنت
متعبة ابتسامته مرهقه علت زوايا فمها مما
أكد له صواب رأيه شكرته وانصرفت بهدوء
في السابق كانت تشعر بالضيق البالغ من
طريقته الجافة ولكنها اليوم باتت تشعر له
بالامتنان لتلك المعاملة هو رجل واضح لا
يحب المراوغة يحترم مرؤوسيه وبالمقابل
يطالبهم باحترام قواعد العمل لم يظهر يوما
ببسمته عابثة وبيده شراب الكوكو للبنيات
لم يقبل عميلة ولا يوزع الابتسامات الساحرة
ليكن رجلا وسيما فهو على مشارف الستون

الفصل الثاني عشر

استقبلتها همهمات متصاعدة عندما دلفت إلى
بوابة الشركة متأخرة بقليل من الوقت

بات من السهل عليها ملاحظة الغمزات
والهمزات وربما الضحكات التي تتناولها في
كثير من الأحيان كوجبة صباحية

تمت لها إحداهن بشيء من الغيرة:

●●● محظوظة أنت فالعناء في أجازة مرضية

وعندما وصلت إلى مكتبها بالطابق

الأخير وجدته قد خلع سترته وشمر عن

بطنه وأخذ في البحث عن أوراق وملفات

تاركا مكتب العناء في حالة فوضى يراها
لها

رفعت حاجبها بتعجب جم ، لم تره يوما
متوترا قط

باغتها دون مقدمات بعد التفاتة سريعة منه
صوبها:

- لقد اختارت سارة وقتا مثاليا لتكسر

قدميها وترقد في الفراش دون حراك:

أحضري لي ملفات الصفقة الصينية، سنوقع
العقود في غضون أيام ولا وقت لدى للمرضى

ثم انصرف

وتغادر منزلها مسرعة دون حتى أن تقبل
صغيرها أو تتناول معه فطوره تاركة ليلث
مهمة إطعامه دون حتى أن تحدثه
وتعود مساء متأخرة كل ليلة لتجد صغيرها
نائما ولا تقوى هي حتى على تبادل بضعة
كلمات مع جيغى فتحمله وتغادرها مودعة
إياها ببضعة كلمات جوفاء

حتى حلت نهاية الأسبوع وكانت تغط في
نوم عميق بفراشها الذي تحتله وحدها
استيقظت على صوت صرخات الصغير
المنتابعة منزعجة فهبت من فراشها تتبع
صوته الذي يخفت ويعلو حتى وجدته يلهو

خلعت حقيبتها من على كتفيها وشرعت
بترتيب الأوراق مرة أخرى وعثرت عن الملفات
التي طلبها في غضون دقائق معدودة وتوجهت
نحو مكتبه وهي تسحب نفسا عميقا لتنعش
رئتيها فقد كانت تشعر أنها على أعتاب مهمة
مستحيلة في غياب العنقاء
وكانت تلك البداية

بداية أسبوع حافل بالعمل الشاق قضته
أيما حتى أنهكها التعب

تستيقظ فجرا كرئيسها وربما تتلقى منه
مخابرة هاتفية قبل حتى أن تنهي غسل
يديها ليملئها بعض الأوامر والطلبات الطارئة

حدجها بنظرة ناريتة فهو لم يكن ليؤذيه
أبدا

فتقدمت منه قائلة بتوتر لائم:

- خشيت أن تفلته

زجرها بخشونة:

- إنه أبني

وقف الصغير بين والديه يتبادل النظر إليهما
هو الآخر ولا يضحهم لماذا يعتريهما الغضب
الشديد

تركته واتجهت للداخل مرة أخرى

بالماء مع والده في حديقة المنزل الخلفية
والذي يبدو أنه كان يقوم بأعمال الزراعة
مؤخرا ولم تكن هي تلاحظ أو تعير للأمر
اهتماما

ازدهرت النباتات مرة أخرى ونبتت

الحشائش والزهور اليانعة على جوانبها

حمل ليث سيف الصغير وقذفه عاليا في
الهواء مداعبا، فجأة

فانطلقت منها صرخة أفزعته وهي تنهره
ليكف عما يقوم به

حائقة،

مرتعشة،

وخائفة.

لوهلة ظنت أنه سيقوم بصفعها لأنها
وبخته بشدة

سمعته بعد قليل يأمر الصغير بالتقاط حذاؤه
ليغادرا سويا

وبعد ثوان دلف إلى المطبخ كعاصفة هوجاء
ليغسل يديه من آثار الطين المعلق بهما دون
أن ينظر لها

سأته بخضوت؛

- إلى أين ستذهب به؟

رفع رأسه فجأة وركز أنظاره عليها لوقت ليس
بالقليل ود أن يقول شيئا

• ود لو يستجمع كلماته ويوبخها على قلقها
الزائد عن حده، عن اتهامها المبطن له بأنه
قد يؤذى صغيره وأنه لا يصلح لرعايته وهي
المتخاذلة عن رعايتهما معا ربما منذ أشهر
ولكنه بترفع رد عليها قائلا :

- سأصطحبه إلى حديقة الحيوان

.....

- أخبرتك أنى سأصطحبه إلى الحديقة
وضعت الصغير برفق وخرجت من الغرفة
بخطوات هادئة ظاهريا وهى تلتفت له
لتتساءل في اتهام واضح
- الحديقة تغلق أبوابها في تمام الخامسة،
مرت ساعتان حتى الآن
نظر لها مطولا ولم يجيبها واتجه إلى الحمام
ليغتسل من عناء اليوم
تاركا إياها تتأكلها الظنون والتخيلات
دون رحمة

مرت ساعات النهار ببطء كانت أعدت
طعام الغداء وأعدت تسخينه مرتين حتى
حلت ساعات الشفق معلنة عن غروب الشمس
الذى بات اضطراريا
حتى غربت تماما وبعدها بساعة زمنية أو
أكثر عاد بالصغير يحمله على ذراعه وهو
يغط بنوم عميق
هبت من على الأريكة تحمله منه وهى تنظر
له غاضبه وتصك بأسنانها قائلة:
- أين كنتم طوال النهار؟
أحبابها ببرود وهو يناولها سيف الصغير:

التفت لها ساخرا وهو يحمل فنجاناه وهو
يقول:

- تناولنا الغداء برفقة جيبي

عقدت حاجبيها وتلك المرة لم تتصنع
الغضب وهي تصرخ فعليا به:

- لم، لم فعلت ذلك؟، لقد بقيت هنا
بانتظاركما

اقترب منها وقال بصوت أبح غاضب وهو
يصر على حروف كلماته بوضوح:

- لأننا أعتدنا ذلك

خرج بعد مضي دقائق عدة وقد اغتسل وبدل
ملابسه لأخرى رسمية ليستعد للخروج
لمكان تجهله

فقاتت بلطف مصطنع محاولة تبادل حوار
هادئ معه وهي تتابعه بأعين ملؤها الفضول
وهو يعد القهوة لنفسه

أعددت الغداء

لم يلتفت لها ولم يرد

فقاتت بغضب مصطنع:

- وقمت بتسخينه مرتين في انتظاركما

صفقة جديدة لفريد خيرت الذي بدأ
 بالتوسع في أعمال عقارية خارج البلاد
 فندق هنا ومنتجع سياحي هناك وكانت
 تلك البداية
 كما أخبرها
 عادت في هذا المساء إلى منزل جيبي
 وهي تشعر أنها باتت تحمل هما
 تشتاق للسفر
 لرؤية العالم
 للتغيير

خرج ولم يعد تلك الليلة ولا الليلة التي
 تلتها
 ولم تهتم هي
 كعادتها مؤخراً
 وبنهاية الأسبوع كان ينتظرها فريد
 بمضاجأة لكثيرات قد تكون سارة، ولكن
 بالنسبة إليها قد تحمل السرور والتعاسة على
 حد سواء
 سفر إلى الخارج لمدته أسبوعين ليتنقلا بين
 ربوع الريف الفرنسي ومعالم روما الأثرية في

وفريد بعدها بالكثير

يدغدغ طموحها بكلمات ترن في ذهنها
طوال الوقت

النجاح، المال، الأمن، القوة، السيطرة،
الاستقلال.

معان افتقدتها لوقت طويل

معان لم تعرف بعضها أبدا طيلة حياتها

معان بعيدة كل البعد عن أحلام الحمقوات
وقصائد الحب

دخلت المنزل تلك المرة ولم تهتم بكون
تصغير نانما لقد احتاجت للتحدث ل جيحي

هي لن تعود في المساء

ولن ترى صغيرها لأربعة عشرة يوما
متتالية

وحدها جيحي من تستطيع رعايته
وحدها من تثق بها

عرضت عليها المال لقاء تلك الرعاية
بوضوح برزمت من الأوراق النقدية التي
وضعتها على الطاولة أمامها بحركة سريعة
وتغرغرت الدموع بعيون المرأة الوحيده
وشعرت بطعنة تخترق صدرها
أجابتها بلوم حزين:

- تعرضين على المال إيما؟ هل فقدت عقلك؟

ردت إيما مدافعة عن نفسها :

كلا، لم أفعل، جيغي سأغيب لوقت طويل -وأنت..

أمسكت جيغي بقبضتيها وضغطت عليها بكل ما أوتيت من قوة وقالت مؤكدة لها :

•• أنت الفعل غائبة لوقت طويل إيما

رفعت إيما أنظارها ولأول مرة منذ وقت طويل حدقت بمقلتي جيغي العسلية وأردفت
بالحكمة:

- ننتقدك للغاية، صغيرك وأنا، لئلا أكون
ليس كل شيء إيما

سحبت إيما قبضتها وقالت ببرود:

-بل هو كل شيء، النجاح والمال والقوة، هذا
ما يوفره العمل لي.. وقريبا سينعم صغيري
بكل هذا

ردت جيغي مستنكرة:

صغيرك يحتاج لأحضانك ليس أكثر،
-دعي العمل لرب الأسرة
انطلقت منها ضحكة هازئة:

دفعت جيبي يدها المحملة بالنقود وهي
تقول بأسف:

- لا يوجد بين الأصدقاء تعاملات مادية
كتلك، وليس معروفا إيما فأنا أسعد
بصحبتك حقا

وضعت النقود بحقيبتها بأسف وقامت وحملت
صغيرها النائم وقالت لها :

- ستقلع طائرتي غدا في المساء

هزت جيبي رأسها وهي تقول:

- سندهب برفقتك للمطار لا تقلقي

التفتت لها وقالت بسرعة:

- من؟، ليش!.. العمل بالنسبة له لا يعد وكونه
مغازلة للحسنات

هزت جيبي رأسها نافية وهي تقول:

- كلا، إنه يجتهد، أمهليه فقط بعض الوقت

زمت إيما شفتيها وهي تقول ببرود:

- أمهله الكثير من الوقت

وأردفت راجية:

- أنت بحاجة للمال جيبي وأنت تسديني

معروفا.. خذي المال

-لا، لا، لا. أرجوك لا تفعلي. لا أريد أن يراني
 سيف وأنا أرحل سيتعلق بي ويبكي كثيرا
 مطت جيغي شفتيها وتنهدت قائلة:
 -كما تشائين

مرت الأيام الأولى بسفرها الطويل سريعا
 وغادرا باريس وقد تمتعت بكل دقيقة بها
 على أرضها
 الأجواء ساحرة
 وهذا أقل وصف

بل أكثرهم إجحافا وبخلا
 وفريد رجل فريد بحق
 فاجأها بهوايته للأوبرا والموسيقى ورقص
 الباليه
 واصطحبها لكثير من الحفلات
 وقضت وقت رائع تحت قوس النصر
 وتحت سماء برج إيفل كانت الأجواء
 حماسية
 حتى ذهبها للريف الفرنسي وتذوقت عيناها
 مرثي حقول الكروم والخزامى ،

لأول مرة

والتهمته إلتهاما

موقع الفندق كان مثالي

كأى شىء يتعلق بفريد خيرت

القلعة التى اشتراها بتسهيلات مقابل تبرع

ضخم للبلدية ترجع لأواسط القرن التاسع

عش، غرفها تتعدى المائه غرفة

استقرت بغرفة فى الطابق الثالث منها والتى

تطل على حدائقها الشاسعة

فى صباح اليومين المتتالين التى عاشتهما فى

الريف كانت تشرق الشمس وتحتل

أشعتها أركان غرفتها القديمة لتوقظها دون

الإستعانة بمنبه

تتناول فطورها سريعا فى فراشها وهى تتصفح

الصحف المحلية. لم تكن الأخبار تهمةا

كثيرا

هى فقط كانت تتخيل نفسها بلا ماض

تعيش حياتها لنفسها فقط

دون تعقيدات

وبعد أن تنتهي من فطورها ترتدي ملابسها

على عجالة فهى باقت تعرف روتينه جيدا

يستيقظ مع أشعة الشروق الأولى ويذهب

- سأتناول القهوة برفقتك، علينا مراجعتي
بعض الأمور سريعا قبل أن نستقل الطائرة
أشار للنادل ليحمل الأطباق الفارغة وطلب
منه إحضار القهوة وظلا يعملان لمدة ساعة
متواصلت، حتى قال بإستياء:

- رياه. إنك أكثر جدية مني كانت سارة
لتقتنص الفرصة للتنزه أو قضاء الصباح تحت
أشعة الشمس دون فعل شيء
وضعت القلم جانبا وقالت وهي تبتسم:

- حسنا، لناخذ قسطا من الراحة
قام بالفعل وأمرها:

للركض ويعود بعد ساعة ليغتسل
ويتناول فطوره في غرفة الطعام الرئيسة
شاركته القهوة أمس، واليوم هو الأخير لهما
بالأراض الفرنسية وفي المساء يتجهان إلى
روما

ابتسمت له عندما هتف مرحبا بها بالفرنسية
وقال لها وهو يلتهم الخبز المطعم بالجبن
الفرنسية اللذيذة:
- هيا انضمي إلي

شكرته بالفرنسية ومنحته إبتسامته
مقتضية وقالت وهي تجلس إلى جواره :

- لا لم أحظ بالفرصة

وبسؤال لم تعرف إيما من أين انبثق في ذهنه:

- ماذا كان رد فعل زوجك عندما أخبرته
بأمر السفر؟

نظرت له محتاره فهي لم تعهده متداخلا
مع أحد في أمور حياته الشخصية حتى
مساعدته التي كسرت ساقها لم يكلف
نفسه طيلة الأيام الماضية بالسؤال عنها
والاطمئنان

قالت بهدوء وهي تتذكر رد فعله البارد
الغامض:

- هيا قومي لتنزّهه سويا، عار على قدميك
أن تخطو تلك الأراض ولا تعرف سوى محيط
القلعة الصماء

سارت إلى جواره على مقربة من حقول
الكروم الشاسعة وهي لا تفعل شيئا سوى
استنشاق الروائح الزكية المعلقة بالأجواء
وكانت صامتة إلى أن كسر هو حاجز
الصمت قائلا:

- لم يسبق لك السفر من قبل.. أليس
كذلك؟

ردت باقتضاب:

نظرت له وهي عاقدة حاجبها متعجبة،
فأردف بصوت مهزوز وهو يبتسم لها ساخرا:

- ولكني لست متزوجا

أرادت سؤاله عن سبب عزوفه عن الزواج
ولكن شيئا ما منعها فقال كأنما استشف ما
يدور برأسها من أسئلة:

-أردت الزواج في السابق ولكنى كنت
طموحا للغاية لدرجة علمت معها أننى سوف
أظلمها حتى مر الوقت وأعتدت حياتى دونها
تجرات إيما وسألته :

- هل كنت تحبها؟

- لم يمانع

قال مستنكرا:

-ألا يغار؟

ضحكت إيما وقالت ببساطة :

- لا ، لا يفعل

رد متأففا وهو يهز رأسه باشمئزاز:

لو كنت مكانه ل فعلت ، زوجتي بصحبة رجل
غريب فى أراض بعيدة أمر يبعث على الضيق
بالتأكيد

- لم أشأ أن أتعس إحداهن فبقيت وحيدا

والتفت وحدث بها لبرهة ثم قال:

- علينا أن نعود أدرأنا ستقلع الطائرة في
غضون ساعات

وصلت إلى أرض روما القديمة ولم ينقص
عليها وقتها طيلة الرحلة سوى أمر واحد

أنها نست كليا وفعليا الاتصال ب جيجي
والاطمننان على صغيرها

لقد نست أمرهم كليا

تآكلها الذنب حتى العظام

نظر لها متعجبا وسألها مستنكرا :

- من؟

ردت بسرعة:

- تلك التي أردت تزوجها

هز رأسه نافيا وهو يقول:

-لا.. لا، لم يسبق لي الوقوع بالحب. أنا

أتحدث بشكل عام،، لو أحببت امرأة وأردت

الزواج منها لكأنت تعيسة،، صمت لقليل من

الوقت،

وأردف بشيء من الحزن:

وبكت

كانت حزينت بحق

كيف لها أن تنساه

أى أم تنسى صغيرها

همست لنفسها مؤنبتة بقسوة وهى تفرع

الهاتف القديم بأرقام هاتف جيغى واحدا

وراء الآخر:

- نسيته كما نسينى أبى... كيف فعلت

ذلك؟

وكعقاب لها كما يبدو

لم يأتىها رد

ربما لعشر مرات متتالية فى أوقات متفرقة

حتى تعالت صوت طرقات فريد على باب

جناحها وهو يحثها للرحيل للقاء البائع

الإيطالى الجنسية

خرجت وهى تحمل حقيبتها الثمينت بجلد

الغنم الطبيعى فوق رداء أبيض قصير وقد

قصت أطراف شعرها الطويل ليصل لأطراف

ذقنها

وهى تمتم له بلطف:

كان ينقصهما إلا بعض الإجراءات القانونية
التي تكفل بها محامي فريد التي غادر
مسرعا مع البائع ليلحق بالطائرة العائدة
لأرض الوطن

وضعت إيما الشوكية في طبق الإسباجتى
الذى بالكاد تناولت بعضه وهي تقول :

لقد انتهينا بأسرع مما تخيلت، هل سنغادر
-اليوم

تناول فريد كأس الشراب وقال:

-لم العجلة إيمان؟!!

-أسف، كنت أقوم بإجراء بضعة مكالمات
هاتفية

لاحظت على الفور نظرتة الراضية عن طلبتها
والتي أهدتها غزلا صريحا مع كلماته
المتأنية:

- لأجل قصة شعرك تلك سأسامحك..

ضحكت برقة ومشت بخيلاء وقد تناست
شعورها بالذنب

.....

الصفقة كانت سريعة ربما أسرع من

الوقت ذاته كان الرجل قد جهز العقود وما

لاحظ على الفور عبوس وجهها وصححت له
بجفاف :

- إيما، فقط كنت..

لم يدعها تكمل جملتها وسألها بنظرة ثاقبة
:

- لم دوما يكون هذا هو رد فعلك؟

نظرت لها وقالت بتردد:

- رد فعلى؟!!

وضع الكأس وقال بتصميم:

- لاحظته من قبل، ضابط الجوازات، مضيعة
الطيران عندما طالعت جواز سفر ك هي
الأخرى، عامل الاستقبال....

وأخذ يحرك إصبعه وهو يسرد أفراد تعاملت
معهم للمرة الأولى وكان هذا هو رد فعلها في
كل مرة

قائلا:

- في كل مرة تندفعين لتصحيح ما تظني أنه
خطئا بحقك، إيما وليس إيما

واقترب منها على حين غرة حتى لفحت
أنفاسه الدافئة عنقها وهي يمعن النظر

- لقد كنت أعرف مراد، معرفة شخصية
ثلاثتنا، حافظ ومراد وأنا، كنا نقضي وقتنا
طيبا من الحين للآخر

أرهفت السمع له ولم تقو على رفع أبصارها
إليه مرة أخرى، وتركته يستمع بمشهد
الغروب المعلق بالسماء الرومانية التي تظلل
المباني الأثرية في ساحة "كامبو دي فيوري
"أو" ساحة الزهور" كما يقول البعض

ثم قال أخيرا وكأنما يستنقذ بحور صبرها
قطرة قطرة بتلذذ :

- لم يذكرك بالمرة، كنت أعلم أن لديه
ابنتان رأيتهما ذات مرة يشبهان زوجته الشقراء

بالنبض الذي تعلق بالعرق الذي يقع أسفل
أذنها بالضبط وهو يهمس بتمهل :

- لم يا، إيما ؟

رفعت أنظارها له لتتفاجيء بقرب شفتيهما
فابتعدت فجأة وتناولت كأس الماء وارتشفت
منه الكثير دفعة واحدة وقالت بصوت
مرتعش:

- فقط، لم أعتده

أشعل سيجارا ولم يرفع بصره عنها قيد
أنمله وهو يتابع :

للغايتة، علمت أن له زوجة أخرى توفيت قبل سنوات ولكنه كان متكما للغايتة بسبب مرضه

ردت بصوت بلهفة :

- أي مرض؟!

ترك مشهد السماء والتفت لها قائلا بتعجب :

كان مريضا بالوسواس القهري، كذلك

••••• جدك، ألم تعلمي هذا من قبل؟

ترقرت دمعته بعينا إيما وهي تقول هامسة :

- كلا، لم يخبرني أحد بهذا من قبل

تعلقت عيناه بدموعها المحتبسة وقال برهفي متناهية:

ولا تعلمين شيئا بشأن والدتك أيضا، أليس كذلك؟

تساقطت العبرات ولم تستطع حبسها أكثر من ذلك وهي تقول متهدجة:

- أكنت تعرفها؟

أخرج منديلا يدوي الصنع مزدان بأطرافه حرف اسمه الأولى بخيوط ذهبية ومسح دموعها برقته وهو يبتسم لها:

عقد حاجبيه وقال لها :

-دعي الماضي للماضي إيما

رفعت له أنظارها وهي ترجوه :

- لا أرجوك، أريد أن أعرف كل شيء

وانصاع لرغبتها واسترسل بالحديث وعادت

بعدها إلى غرفتها صامتة

يعتمل بداخل صدرها الكثير من المشاعر

المتضاربة

بين حنق على والداها الجاحد

وبين الشفقة عليه وعلى مرضه

- لا تشبيهينها كثيرا رغم أني أشعر أن

لكما نفس الطلّة، تلك الروح الرقيقة

ولكنك أكثر قوة.. رأيت صورة زفافهما ذات

مرة، لم تكن تغادر محفظته أبدا

صمت وتبدلت نبرته بأخرى أكثر جفافا

وكانما يلقي من على عاتقه أمرا ثقيلا:

- رحلت في حادث مأساوي وتناولت الصحف

شائعات كثيرة عن موتها للأسف

ابتعدت بوجهها عنه بخجل وناولته منديله

المصنوع خصيصا له وهي تسأله:

شائعات؟!!!

أحداث ماضٍ ألفت بظلالها على حياتها
ومستقبلها بأكمله

عثر على جسد أمها في سيارة شاب يقاربها
عمر، كان جارها قبل أن تتزوج وتنتقل
للعيش في قصر العائلة العريقة

وتناولت الألسنة قصة عشق جمعت الإثنان
وتخلت عنها الفتاة رغبة في الثراء الفاحش
والسريع الذي يؤمنه لها زوجها من حفيد آل
بدران لبعض الوقت،

ولكن ما لبثت وعادت العاشقة الصغيرة
لأحضان عشيقها وكانت تلك الحادثة

بين أسف على أمها التي رحلت في ريعان
شبابها

وبين شكوك تلتها هي الأخرى كما
التهمت والدها حيا

جلست على طرف الفراش الوثير ولم تشعر
بالراحة فمدت ساقها الطويلة العارية
للأرض واستقبلتها بترحاب

مددت جسدها بأكمله وأغلقت عيناها بظهر
كفها الأيسر محاولت ترتيب الأحداث في
خيالها

الستار الذي أسدل على آخر لقاء لهما قبل
الموت

رفض والدها في بداية الأمر تصديق تلك
الشائعات

ولكن لم يكن هناك تفسير للأمر برمته
ما الذي جمعها بجارها القديم؟!؟

ولم استقلت سيارته وبإشارة من إصبعها سيارة
وسائق في أي وقت تشاء؟!؟

أسئلت أجهدت ذهن والدها المريض ومالبت أن
استسلم لمرضه وللأسنة تصننت بإطلاق

تخيلات

السنة لم تنكر في الوقت رفقة الفتاة
وعذوبتها وطيبته قلبها

السنة لم تنكر ضعفها وخوفها الدائم على
زوجها المريض وعلى صغيرتها التي كانت
عمرها أعواما وأشهر قلائل

وكان هو يدور في حجرته في دوائر مغلقة
مكررة

وهو يمسك بهاتفه يخاطبه غاضبا :

- كان يتوجب عليك أنت القيام بهذا الأمر،
أنت لم تركيف كانت حالتها، لم حملتني

لم يستطيع الصمود أكثر من هذا فبكى
وقال:

- كفاك، فريد، كفاك، أنا متعب للغاية،
أنت لا تعلم شيئا

زم شفتيه حانقا وهو يستمع لبكاء
العجوز وقال بخشونة بإتهام جلي:

- كان عليك الاعتناء بها، أقل ما كان
يجب أن تدفعها للعمل معي في وقت أبكر من
هذا

أغلق الهاتف بحركه سريعة وألقاه بعيدا
وهو يتمتم:

تلك المسئولية حافظ، لقد كان موكلك
أنت، أنت من كتبت له تلك الوصية الخرقاء

أتاه صوت حافظ ضعيفا وهو يقول:

- لم أستطع فريد، فقط لم أستطع

ولأول مرة منذ زمن طويل يفقد أعصابه وهو
يصرخ به :

- كنت تعلم طوال الوقت الحقيقة ولم
تخبرها بها ولم تطلب مساعدتي إلا الآن، لم
الآن؟ بل ولم لم تحضرها للعمل معي منذ
سنوات؟ أين كنت طوال هذا الوقت؟

- لما كانت تزوجت هذا الأرعن

الفصل الثالث عشر

للحقيقة وجوه مختلفة

للحقيقة وجوه متشابهة

للحقيقة معاني

وللكذب معان عدة

.....

عادت إلى منزلها في المساء محملة

بحقائب وهدايا تكفيرا عن إثم لا يغتفر

لقد نستهم

والأسوء

أنها تمتعت كثيرا في غيابهم

بل وأحيانا يدغدغ قلبها أمنيته محالته

أمنية حقيرة

لو كانت أختارت البطاقة البيضاء

ليتها كانت البيضاء

دلفت للداخل وهي تلعنه وتزجره بداخلها

خانقة وخصلات متعرقته

خلعت المعطف وعلقتة باهتمام في
خزانتها ورتبت خصلات شعرها وذهبت إلى
غرفة الصغير الذي قد يكون نائما في تلك
الساعة المتأخرة أو يبيت ليلته عند جيبي
ضوء المصباح الأزرق إلى جوار فراشه المتسلل
من باب غرفته أنبأها أن صغيرها ينام في
فراشه
فدلفت بهدوء كي لا توقظه وعلى وجهها
إبتسامة حنونه،
لقد اشتقاته رغم كل شيء

إما أن يكون غائبا أو لاهيا

أيعقل أنه لم يسمع الضوضاء بالخارج
لقد وقعت منها الحقايب محدثة صوتا لا يمر
حتى على نائم ولم يظهر ليمد لها يد
المساعدة
اجتاحت الحرارة جسدها نتيجة إرتداها
معطف من المينك الطبيعي الذي أصر فريد
على شراؤه لها
كانت متنعمته بدفنه ونعومته في روما
الباردة ولكن هنا على أرض الوطن
الدهليء أضحى سخونة حارقة،

رغم الأمنيات

فزعت عندما رآته إلى جوار فراش الصغير
وهو يعد له كمادات باردة

اقتربت منه ودون أن تلقى عليه السلام قالت
بقلق:

- ماذا به ؟

ابتسم لها متهكماً ولم يرد فقط رفع
••• لمنشفة المبللة بالمطهر عن جبهة الصغير
ليظهر من تحتها جرحاً بشعاً

وضعت يدها على فمها ل تمنع شهقة
وتنمعة واقتربت منه تمسك كتفه وتنهمر

عليه بقبلات متفرقة صغيرة ورفعت وجهها
لائماً ونبرة متهمّة خرجت من بين شفثيها:

- كيف حدث هذا ؟

عقد حاجبيه وهو يرد بجفاء:

- تشاجر مع أحد الصبية في المدرسة

زمت شفثيها غضباً وقالت:

- وماذا فعلت ؟

نظر لها متعجباً وقال مستنكراً:

وماذا لأفعله. هل أذهب لأتشاجر مع صبي في
عمره؟!

قامت وهي تقول بصرامة لكانما تملي عليه
أمراً:

- كان يتوجب عليك تقديم شكوى
لمديرة المدرسة وتطالب بتحقيق

أنهى تطهير الجرح بأصابع محترفة سريعة
ودثر صغيره جيداً ولعلم المنشقة وأدوات
التعقيم وخرج متحاشياً الرد عليها
والصراخ بها

تغيب لأربعة عشر يوماً دون سؤال وتعود
لتمليه ماذا يتوجب عليه صنعه، وكأنه هو
المقصر

دوما هو المقصر

دوما الخطأ خطئه

تمتم وهو يدلف إلى المطبخ:

- لا فائدة

اتبعته وهي ترجو منه إجابة على أسئلة لم
تطرحها

قالت بصوت يرتعش غضباً:

- كيف سمحت له؟

التفت لها غاضباً وصرخ بها فصراخه لن يصل
إلى غرفة صغيره بالإضافة لمفعول المسكن

القوى الذى يسري في عروقتة جعله يخلد
للنوم في غضون دقائق:

- من ؟

أفزعته صرخته وقالت بصوت مرتجف:

- هذا الصبي الذي ضربته؟

ألقى بالمنشفة التي كان يغسلها بغضب في
المغسلة والتفت لها قائلاً في تهكم رغبة
•• منه في إنهاء هذا الحوار السخيف:

- لقد كنت بانتظار عودتك، لتقومي أنت
بالتصرف المثالي، فأنا لا أصلح إلا لمغازلة

الحيوانات

احمر وجهها غضبا لكونه يهزأ منها وقالت
بصوت مرتعش:

- حقاً؟

صوب إبهامه لها بإتهام عنيف وهو يقترب منها ••
بجسد مرتعش قائلاً:

- أنت، أنت لم تتصلي، لم ترفعي سماعة
الهاتف مرة واحدة

ردت سريعاً:

- بلى لقد فعلت

أردف بصراخ ليعلو فوق صوتها مانعاً إياها من
الحديث:

- ولا مرة واحدة، وتعودين في المساء لتلقي
بالإتهامات لكانما تهتمين حقاً!!

صرخت به مصرة وهي تبتعد عنه خطوة
للخلف دون إرادة منها:

- أنا أهتم

هز رأسه وصوت تنفسه يعلو أكثر وأكثر
حتى كاد ليمسك كوبا فيهشمه في الحال
ولكنه منع نفسه بصعوبة وخرج

خرج للحديقة ليستنشق هواءها البارد لعله
يهدىء

أخيراً تستنزف طاقته

تحرق أعصابه ببرودها

تحرقه هو

ببطيء

ببطيء بالغ

راقبته من نافذه المطبخ وعيناها مغروقتان
بالدموع

تشعر أنها باتت تكرهه ولا تعلم السبب

هي فقط لاتطيقه

تتمنى لو

لو

ساعتين تذهب فيهما لمدسة الصغير لتتفقد
هي بالتصرف الصحيح
ستنقل صغيرها لمدسة رهبان
هناك لن يصيبه أذى
هناك سيحظى برعاية فائقة كالتى تلقته
في صغرها
ولأول مرة في حياتها تشعر بالعرفان لوالدها
لم يكن جاحداً.. فقط كان صائباً!
لقد منع عنها أذى قد يصيبها كصغيرها
وعهد بها لرعاية الراهبات المتفانيات في

ينمحي فقط من حياتها
وداخلها أمنية تردد
أمنية حقيرة
ليتها كانت البيضاء

في الصباح بعثت له برسالة نصية تعتذر فيها
عن الحضور باكراً
"سأتاخر لساعتين"
مقتضية للغاية وواضحة

ستتحدث معه فى المساء وربما استعانت
 بجيجي فهي لا تود خوض عراكاً آخر معه
 يكفيها عراك الأمس
 استقبلها فريد باهتمام:

- لو كنت تشعرين بالتعب يمكنك
 الإنصراف

ابتسمت له وقالت:

- لا، فقط كنت أهتم بأمرنا طارئاً، سأتي
 لك بالمراسلات المتأخرة
 رد عليها بدفاء:

- لا عليك لقد قامت سارة بالأمر

عملهم بصحبة فتيات مثلها من عائلات
 عريقة تخشى على أطفالها الخدوش والجروح
 وخرجت بعد الساعتين "بخفى حنين" كما
 يقولون

يلزم موافقة الأب أولاً وأن يقوم هو بإجراءات
 النقل بنفسه أو بتوكيل منه

اتجهت لعملها عابسة حانقة تشعر بالعجز

•• من أين له الحق بالوصاية التعليمية على
 صغيرها الذى لم يدفع مصاريفه الدراسية ولا
 مرة واحدة!!؟

التفتت له متعجبة وسألته:

- هل عادت؟

أتاها الجواب من بين شفتي العنقاء وهي
تجيبها بتأكيد:

- نعم، منذ أيام

نظرت لها إيما متعجبة لقد كانت تسير على
عكاز وتتنقل بخضرة حاملة بإبطها ملفات
ثقيلة

فنظرت لها سارة بانتصار وهي تخاطب فريد:

- لقد قمت بكل شيء، الوفد الصيني
يكون بالمطار في الخامسة مساءً وكلفت

سائقاً ومرافقاً لإصطحبهم للفندق وسأكون
بصحبتك في العشاء في تمام السابعة في
الفندق

عقد فريد حاجبيه وهو يقول:

- ألن تشعرين بالتعب؟

قفزت بعكازها للخارج وهي تقول:

- بالتأكيد لا، أنا بخير ألا ترى

والبرهان أصبح واضحاً للعيان فهي تتنقل من
مكتب للآخر وتحمل الملفات الثقيلة وأحياناً
القهوة ولن تستطيع إحداهن أخذ مكانها
الذي سعت له منذ سنوات،

هي فقط تأخذ ما هو لها وما يُعرض عليها أن
كان يناسبها

تحتزم الآخرين وتحتزم مساحتهم
الشخصية

ولهذا تركت لسارة المجال مفتوحاً على
مصراعيه

لقد كانت منهكة بتفاصيل عائلية

ستمر على جيبي في المساء لتشكرها على
صنعها كما أنها تحمل لها الهدايا القيمة

زجاجة من العطر الباريسي الفاخر ومعطف
من الكشمير الغني بلون أصفر زاه

أن تكون إلى جوار فريد خيرت في كل
خطوة، كمساعدته الشخصية وربما زوجته
له في يوم من الأيام.

وبالتأكيد لن تقف في وجهها عقبته كساق
مكسورة أو شابة يافعة سليمة إحدى
العائلات العريقة.

حتى تمتت إحداهن متهمته بعدما
صرخت بها سارة لتستحثها للقيام بعملها:

- لقد عادت العنقاء

.....

ألم أفستة أمراً لا تحبذه كثيراً

وهي تتمم لها :

- افتقدتك للغاية إيما ، حمد لله على
سلامتك

لم تلومها ولا حتى بنظرة عن تقصيرها
بالإتصال بها لقد كانت حقا سعيدة بعودتها

وصغيرها قد استيقظ ولكنه بقي في
مكانه ينظر لها والدموع تملء مقلتيه
الواسعة

اقتربت منه إيما واحتضنته وقالت له:

- لقد عدت بالأمس، كنت نائماً ولم أشاء أن
أوقظك في الصباح الباكر

غادرت في تمام الخامسة إلى منزلها تود صنع
عشاء خفيفاً لأسرتها والاتصال بجيجي
لتدعوها للحضور

وما أن خطت للداخل تيقنت أن أمر دعوتها لا
داعي له،

فضحككتها المرتفعة كانت دليلاً واضحاً
على أنها موجودة ومنذ زمن.

فالطاولة العامرة بأصناف الطعام الشهي
الساخن لا بد أنها استغرقت ثلاث ساعات على
الأقل في صنعها

احتضنتها جيجي بقوة

اعتصر قلبها الشعور بالذنب وقبلت صغيرها
وقالت له:

- أعدك أن هذا الأمر لن يتكرر

أمسك بها الصغير وقال:

- بل عديني ألا تسافري وتتركيني أبدا

نظرت في العيون الواسعة المحملة بحزن
يضوق عمرها وقالت وهي تعلم أنها كاذبة
وربما حنثت بعهداها في القريب:

- أعدك

قامت ودخلت غرفتها وبكت لبعض الوقت
ومسحت دموعها وحملت الهدايا وخرجت

هز سيف رأسه وكان لا يزال حزينا وقال لها:

- ولم كنت تتصلين دوما أثناء نومي، لقد
كنت أرغب في التحدث إليك،

تكتفين بمحادثة العمّة دوني

رفعت إيما بصرها خجلة نحو جيبي التي
ابتسمت لها بتوتر واقتربت من سيف الصغير
وهي تربت على كتفيه وهي تقول له بهدوء:

••• لقد أخبرتك عزيزي أن هذا بسبب فرق
التوقيت بين البلاد، ألم يشرح لك البابا هذا
الأمر؟!

اخفيارات.. يسرا مسعد

- ماما ، لم تحضري لبابا هديّة ؟

انحرفت زاوية فمه بابتسامته ساخرة وأجاب
هو صغيره بعناق دافئ:

- أحضرت لي أجمل هديّة

دقت جيّجى فوق كأس الماء بالشوكة
المعدنية لتعلن لهم :

- وقت الطعام، هيا ليث اغسل يدك وأنت
إيما بدلي ملابسك

.....

الخلوة في غرفتها كانت تحتاجها

فرح الصغير بهداياها فرحة عارمة أنسته

لبعض الوقت حزنه لغياب الماما

أما جيّجى فشكرت إيما للغاية على هداياها
القيمة وتساءل الصغير

- أين هدايا البابا ؟!

وفتح الباب ودخل وهو يحمل بيده بقالته
ومواد غذائية طلبتها منه جيّجى

قامت جيّجى لتمد له يد العون وتحمل منه
الأكياس الثقيلة

وكرر سيف سؤاله مرة أخرى بصوت مرتفع
بسهولة لأذان ليث

دفعتها للجلوس إلى جوار ليث وقالت لها
ضاحكة:

- واحذري ماذا؟، أعددت لك البط بالطريقة
الفرنسية!!

تناولا طعام جيبي الشهي للغاية على نغمات
الموسيقى الهادئة وجيبي تحاول اجتذاب
أطراف الحديث مع الإثنان اللذان أصيبا
بالخرس الزوجي كما يبدو

وكلما اتجهت إيما بأنظارها نحو صغيرها
ورأت ذلك الجرح القبيح يحتل مقدمة
جبينه شعرت بالغضب والشفقة عليه

بدلت ملابسها ببطء ورشت عطر هادي،
هدية أخرى من فريد وتزينت كعادتها
مؤخرا بكحل وأحمر شفاة وردى منح وجهها
طلقة أنثوية دافئة بالإضافة لقصة
شعرها القصيرة الفجرية

وخرجت من غرفتها واستقبلها عطر جيبي
الصارخ الذي أهدته لها
اقتربت منها جيبي واحتضنتها فجأة وهي
تضحك:

- أوه إيما، ما أجمل العطور الباريسية وما
أجملك

حتى وضعت الملعقة ونحت الطبق جانبا
قائلة بتصميم لتواجهه ليث بنفسها:
- لقد قدمت طلباً بنقله من المدرسة
ولكن هناك إجراءات يتوجب عليك القيام
بها بنفسك

اندفع الصغير ليقول:

- لا، أمي لا أريد ترك مدرستي وأصدقائي

• قد خلت جيحي في الحوار بنبرة هادئة:

- عزيزتي، لم كل تلك الجلبة. الشجار بين
الصغار أمر شائع

لمثلت لها إيما قائلة بتصميم:

- لا ليس أمرا شائعا، لم يحدث لي من قبل
أريده أن يتكرر لو لدي

ظل ليث صامتا يتابع مضغ طعامه دون أن
يشترك في الحوار فقال سيف:

- لا أريد ترك معلمتي وأصدقائي

ربتت إيما على كتفه وقالت بلطف:

- سيكون لك أصدقاء آخرون ومعلمة رائعة،
أعدك

رفع سيف أنظاره العبوسة نحو والده ليستنجد
به فنطق ليث أخيراً:

- هيا يا بطل، اغسل أسنانك لقد حان وقت نومك

وضع الصغير معلقته غاضباً واتجه لوالده وقبله والعمّة جيّجي أيضاً وهم بالإنصراف حتى نادته إيما قائلةً بإستنكار:

- وأين قبّلتني؟

عاد الصغير أدراجه وهو يعض على شفتيه وقبلها ومضى إلى الحمام

راقبته إيما حتى اختفى بالداخل واسترسلت في حديثها رغبتة منها في الطرق على الحديد وهو ساخن:

- توجد مدرسة تبعد عن المنزل ثلاثة أميال فقط

عقدت جيّجي حاجبيها وهي تحاول تكهن مكانها قائلةً:

- لا أذكر أن هناك مدرسة سوى مدرسة ساينت جوزيف، هل بنوا مدرسة أخرى؟

هزت إيما رأسها نافيةً:

- بلى، إنها هي

ألقي ليث بمحرمته وقال هازناً:

- مدرسة رهبان!!

الأطباق الفارغة واتجهت إلى المطبخ لتغيب
بداخله حتى ينتهيا من حوارهما

ظل ليث صامتا

عاقدا الحاجبين

وزرقة عيناه استحالت لسواد أعظم

وأنفاسه المرتفعة دليلا على غضبه

المحتقن الدفين

فقالت بنبرة عملية باردة:

- لا تقلق بشأن المصاريف، مرتفعة قليلاً
ولكنه

التفتت له إيما وقد عقدت حاجبيها وقالت
بتصميم رصين:

- نعم، تحدثت مع الأب الروحي هناك وقد
رحب تماماً بصغيرنا

فقط، يتوجب عليك القيام بإجراءات النقل
وأردفت بنبرة يشوبها الضيق الواضح:

- يشترطون قيام الأب بتلك المعاملات

شعرت جيحي أن لا مكان لها في تلك

المحادثة التي تخص ليث وزوجته فالإثنان
يقومان بمناقشة أمرا يخص صغيرهما فحملت

قام وتركها دون رد فقامت هي الأخرى
واعترضت طريقه وكررت سؤالها مرة أخرى
بصوت أكثر حدة :

- أخبرني لم؟

أحاطت قبضته بكلتا ذراعيها وهو يقول
بقسوة :

- لن أحوله لمسخ بارد مثلك

.....

قاطعها بضربة قوية على الطاولة الخشبية،
نبرتها مهينة،

حديثها عن الأموال مهين

واختصر كل ما اعتمل بصدده بأمر واضح
ولا يقبل النقاش:

- لن يدرس بمد رست رهبان. انسي الأمر

رفعت أنظارها نحوه وواجهته بكثير من العند
والتحدي:

- ولم؟

هذا ما هي عليه

هذه طبيعتها

وان حاولت التغير لصارت بالفعل كما وصفها

مسخ

وذات صباح دلفت إلى مكتبه لتجده متشحاً

بالسواد

كانت تلك عادته

ولكن شيئاً ما يلمع في عيناه أخبرها أن

هناك أمراً

مر أسبوع على تلك المناقشة الساخنة

بينهما أو بالأحرى عراقاً دامياً

مسخ بارد

اخترقتها الكلمات كسهام نافذة الطعن

ليس لأنها صادرة منه

بل لأنها تعلم أنه محق

قد تكون سامحته على وصفها بالبرود

ولكنها على قدر من الكبر الذي يمنعها من

الإقرار بالأمر

ومحاولة التغيير قد لا تكون في صالحها

أتبكيه

أم تبكي حالها

ومن يكون حافظ

أحد أذيال الماضي

ماضي تعبث وتحاول نبشه وفي كل مرة

تكف يدها وتنشغل بالحاضر

لا تعلم جبراً أم اختياراً

قدم لها محرمة الخاصة والتي لا تخلو من

حرف اسمه الأول بخيوط ذهبية على أطرافها

ولكن تلك بلون أسود

أمراً يخشى أن يواجهه بها ولكنه محتم،

تماماً كالراهبة باتي عندما تحمل لها خيراً

سيناً ولكن يلزم عليها البوح به

اقترب منها وقال بنبرة جافة:

- توفي حافظ والجنائز ظهراً

الخبر كان صادماً

الخبر زلزل الأرض من تحتها

ورد فعلها هو الآخر صدمت

لقد بكت بغزارة

لا تعلم لم تبكي

- سأنتظرك بالأسفل

عدلت هندامها وصلحت زينتها بسرعة

وتوجهت نحو الأسفل حيث كان بانتظارها

بداخل سيارته الفارهة يطالع ملفات خاصة

بالعمل ويتولى سائقه الخاص القيادة

صعدت إلى جواره وظلت صامتة طوال الطريق

وحتى إنتهاء الجنازة

كانت تقريبا المراه الوحيدة التي تقف بين

جموع المعزين

حتى ظننا الجمع زوجة فريد خيرت

قالت ساخرة بعد برهة محاولة التماسك في

حضوره:

- لديك منها الكثير

تجاهل سخريتها عن عمد فهو يعلم أنها في

حالة نفسية سيئة وقال بنبرة باردة:

- هل تودين حضور الجنازة؟

مسحت عيناها وكفت عن البكاء وقالت

بصوت استجمعت معه قواها قائلة:

- فقط أمهاني دقيقتين.

هز رأسه ووضع عويناته الشمسية واتجه خارج

الرفة وهو يقول:

شعرت أن أحدهم يراقبها والتفتت مراراً
وتكراراً ولكنه ظل ها جس يرافقها حتى
وصلت للشركة مرة أخرى
كان فريد قد عرض عليها أخذ بقية اليوم
راحة ولكنها رفضت وطلبت منه فقط
الإنصراف في الخامسة
وظلت بقية اليوم شاردة
مات حافظ
مات منذ ثلاثة أيام
ولم يشعر به أحد
يكن برفقته أحد

حافظ كان وحيداً
لم يكن له زوجة ولا ولد
كان لديه ماض
ماض يعرف تفاصيله
ولم يشفع له هذا الماضي بشيء
فالحاضر جعله يموت وحيداً
وهي أصبحت تخاف الوحدة
لقد ألقت زوجها وصغيرها
رغم كل شيء
تعلم أنه بات يكرهها

هى أيضا لم تشعر يوما بأنها تحبه

افتتنت به لا أكثر

وأقدمت على إختياراً قائماً على أشد الخيارات
حماقة

بطاقة إرجوانية

وليتها كانت البيضاء

ولكنه يعد إختياراً

إختياراً هو المنقذ لها من وحدة

من موت لا يعلم بشأنه أحدا

من جثة هامة تعثرت بها عاملة النظافة
صباح

من جنازة جمعها لا يتخطى أصابع اليدين

انصرفت شاردة في تمام الخامسة وحملتها
ساقياها نحو شقتها المحترقة

عليها أن تودع ماضياً لم يجلب لها إلا الألم

وترضى بحاضرا جلب لها زوجاً وولداً

سيشعرون حتما بها عندما تغادرها أنفاسها

تأمل أن يفعلو

صعدت الدرجات وفتحت باب الشقة المحترق
بمفتاحها

دخلت وأنارت مصباحاً صغيراً يقبع بحقيبتها
إستعداد للطوارئ

فتحت النوافذ وتسللت أشعة الغروب كما أول
يوم دخلت فيه تلك الشقة منذ سنوات مضت
والتفتت حولها

كانت خاوية

لا شيء

المتاع المحترق تطوع أحدهم وتخلص منه
بعض عليها تجديد الشقة وتأجيرها

ولكنها كانت بلهاء غارقة في بحور السعادة
المنتظرة مع فارسها المغوار

ومرت السنوات ونست

وعادت اليوم تشتاق لتلك اللحظة

للحظة عرض فيها ليث عليها الزواج

لكانت رفضت

رغم الوحدة

التي تخشها اليوم

لكانت رفضت

لما أضحت تعيسة وأتعسته هو الآخر

هذا هو الإختيار

ولمع مقبض ذهبي صغير في أحد الأركان
المنزوية جراء إصطدامه بأشعة الشمس
الغاربية أثار إنتباهها بشدة

اقتربت منه وجثت على ركبتها وحاولت
جذبه فلم يفتح

حاولت مرة أخرى بقبضة أكثر قوة وعنفاً
فاستجاب لها عندما دفعته بالخطأ للداخل

لم يكن ليفتح للخارج

للدخل نحو شقتها

نحو شقة العجوز المريبة

كلاهما جلبا التعاسة لنفسيهما

ولم يكتفيا بفعل منكر كهذا بل أشركا
صغيراً لا ذنب له،

تعاستهما

أخذت تتجول في الغرف مسحت بإصبعها
رماد استقر لسنوات على الجدران

وهناك خياراً لا بد لها من القيام به

إما الانفصال والإستقلال عنه هنا في شقتها
هي وصغيرها

أو أن تتابع حياتها وتحى داخلهما سعادة

لكننا من العيش سوياً

دفعت بجسدها للخارج وقامت ونفضت ملامحها
من آثار الغبار وخرجت واتجهت للباب الملاصق
لها

حان وقت المواجهة

دقت الباب بقوة وفتحت لها بعد قليل امرأة في
أواخر الأربعينيات بشوشة الوجه

نظرت لها إيما بدهشة بالغة وظلت المرأة
تنظر لها بتعجب وقالت:

- من ترينين ؟

ترددت إيما قليلا حتى قالت:

ليظهر شقاً في الحائط بات واضحاً للعيان
جراء تساقط الطلاء حوله إثر الحريق
ليشكل خندقاً صغيراً يكاد يكفي لعبور
طفل

أو قطرة

أو امرأة عجوز نحيلة

قامت بسرعة وجذبت المصباح الصغير
وأضاءته فوجدت الجانب الآخر مصمط وبدلاً
من فتحة خشبية مماثلة وجدت حائطاً
أسمنتياً حديثاً

قامت دفعه ولكنه كان قوياً للغاية

- كانت هناك امرأة عجوز تسكن هنا،
أليس كذلك؟

ظهرت علامات الأسف على وجه المرأة وقالت:
- هل أنت أحد أقاربها؟

هزت إيما رأسها نافية وقالت:

- لا، لا لقد كنا جيراناً بالسابق

وأشارت إلى شقتها الملاصقة لها

فغرت المرأة فاها وهي تقول بسعادة بالغة:

- إنه أنت. يا إلهي، لقد كبرت، تشبهينها

كثيراً، تفضلي أرجوك

تقدمت إيما بخطوات بطيئة نحو الداخل
والمرأة تهتف بسعادة:

- كنت أعب معها ونحن صغار كنا لا نكف
عن اللعب

التفتت إيما حولها فالشقة تغيرت كثيرا

الجدان أضحت بيضاء وتحمل بضعة لوحات
زيتية والأثاث منمق وحديث بلون عاجي
هاديء

جلست إيما إلى إحدى المقاعد بمواجهة
المرأة البشوشة التي استطردت مسترجعة
ذكريات الماضي:

ارتسمت علامات الأسف على وجه المرأة
وقالت:

- لقد كنت بالخارج برفقة زوجي وأولادي
وعدت منذ أربع سنوات هنا لبيت والداتي

تسكن الطابق الثاني

علمت أن نفيستة قد ماتت وعرضت على
صاحب العقار مبلغاً لتأجير الشقة وقمت
بتجديدها كما ترين، أخبرتني أمي أن شقة
وداد قد احترقت وتفاجنت يوم الحريق
بأنك كنت تسكنيها، لقد ظلت مغلقة
لسنوات عدة

- كنا نذهب للمدرسة سوياً ونعود
للإستذكار سوياً حتى أننا كنا نتناول
الغذاء سوياً أثناء استغراق جدتك بالعمل
عقدت إيما حاجبيها وهي تقول:

- من تقصدين؟

عقدت المرأة حاجبيها وقالت بتعجب:

- والدتك، ألسنت حفيذة وداد؟!!

هزت إيما رأسها وقالت مؤكدة:

- نعم، نعم أنا كذلك

تسائلت إيما:

- العجوز اسمها نفيستة؟!

تمتت المرأة:

- أو خبيثة كما كنا ندعوها ونحن صغار

وضعت يدها على فمها وقالت بحرج:

- آسفة، لم يكن هذا لائقاً

ابتسمت لها إيما وقالت:

- لا عليك، الاسم مناسب للغاية

أمسكت المرآة بكفها وهي تقول بأسف:

- لا بد أنها ضايقتك كثيراً، لقد كانت

امرأة شريرة وحقود وتكره أمك للغاية،

تحملها موت نجلها المعتوه وهي من ماتت

بسببه أنا متأكدة من هذا

رفعت إيما رأسها وهي تقول بلهفة:

- كيف ماتت أمي؟ أخبريني أرجوك يبدو

أنك تعلمين الكثير مما أجعله

.....

عادت أدراجها بعد مضي ساعتين استمعت

فيهم لحكاية "مدام أمنية" هذا كان اسمها

عن طفولتها والدتها وحياتها جدتها

حتى كبرت الفتاة وتزوجت من والدها سليمان
العائلة العريضة وعادت ذات يوم لتزور الحي
وجيرانها

وتعلق بها المعتوه ورفض أن يدعها ترحل دون
أن يطلعها على سر دفين عليها أن تعلمه
فصرفت السائق وذهبت معه لترى ما هو السر
الخطير الذي بحوزته

عارضت أمنية قرارها الطائش بالذهاب معه
وعرضت عليها الذهاب برفقتها ولكنها
كانت تشفق للغاية عليه كما أن المعتوه
رفض اصطحاب أمنية صديقتها معهم

المرضة الأرملة التي رحل عنها زوجها وهي
شابة صغيرة فأعرضت عن الزواج واكتفت
بتربية ابنتها الوحيدة

لتنشأ فتاة رقيقة هشة أحبها جارها المعتوه
والدته تكون نفيست

أو "خبيشة" كما يدعوها البعض

أو "شمطاء العقار" كما يلقبها البعض الآخر

كانت أمها الوحيدة من بين الفتيات والصبيات
التي كانت تشفق عليه وتدعوه للعب معهم

ولكن ما يلبث الصبيات بهجره واللعب دونه
فكان فتى منطو، عنيف، بذهن متخبط

ولكن بحكم المصاب تقربت نفيستة
 الخبيشة من وداد المكلمة حتى رحلت يوماً
 عن الحياة إثر جرعة دواء للقلب زائدة
 تناولتها وداد بالخطأ

كان الجميع يشك بنفيستة انها وراء
 مقتل وداد

ولكن لم يكن بحوزتهم دليلاً
 حتى ماتت نفيستة ذات يوم وعثروا على
 جسدها وقد تأكل

وبعد مرور ساعات جاءها الخبر المشؤم
 لقد انقلبت السيارة التي تحملهم وماتت
 والداتها على الفور ومات المعتوه بعدها
 بساعات

واستغل صحفي ضئيل الشأن الخبر وأشاعه في
 إحدى المجلات الصفراء لينال شهرة على
 حساب سمعة والدتها وعائلة بدران التي كان
 يكن لها الإحتقار كحالها مع كل العائلات
 العريقتة

لم تكن نفيستة ووداد يوماً أصدقاء

ونفيسة الخبيثة

هي الأخرى ماتت وحيدة

.....

كان يسهر كعادته مؤخرا في مكتبه
في الشركة يضرب بالفرشاة لعلها تنجيه

ولكنها في كل مرة تخذله

أو يخذلها هو

وكانت تسير هائمة في الطريق وحيدة
كعادتها في المساء، تسير حتى ينال التعب
من ساقبها مقدراً عظيماً فتعود لمنزلها

خمن الطبيب الشرعي أنها رحلت منذ أشهر
والهرة الجائعة تغذت على أطرافها حتى ماتت
إلى جوارها

نهاية بشعة

لإمرأة بحق خبيثة

هذا ما اختتمت به حديثها أمنية

وسارت إيما في طريقها وهي تظكر في أمر

كل من مر بحياتها

ماتت جدتها وحيدة

حافظ هو الآخر مات وحيداً

- دعاه والد الفتى الذي ضربه لقضاء
الليلة معه، فرحبت بالأمر

هزت جيبي رأسها وخلعت عنها معطفها الوثير
وعلقته على مقعد وهي تقول :

- حسناً فعلت، لا يزالو صغاراً لا يفقهون شيئاً
أذكر كيف كنت أنت وسيف الكبير
ومصطفى

ابتسم ليث إبتسامته واسعة وهو يبتسم
لذكري ومضى يرسم بفرشاته:

- نعم كنا نتشاجر كثيراً وما تمضي
الساعات حتى نضحك مليء فمنا ثم نعود

الخواوي منهكت القوى لتخلد لنوم لا يخلو من
منغصات الكوابيس والأرق

فبعد عودة إيما من السفر، تحمل ليث أمور
سيف الصغير دونها وأصبحت لا تلتاقهم
بانتظام كما إعتادت

رأت أثناء سيرها الأضواء الساطعة من
مكتبه فتعجبت وصعدت الدرجات وفتحت
الباب ودخلت وهي تناديه، أشار لها مرحباً
فتقدمت نحوه وهي تسأله:

- أين سيف؟

أجابها ببساطة:

للتشاجر مرة أخرى وهكذا إلى أن تعرضي
علينا الصلح بطريقتك

ضحكت وهي تعتلي سطح مكتبه كما
تفضل دوماً وهي تستدعي الذاكرة:

- نعم أيها الشقي، كنت أعرض عليكم
ترضية أي ما تشاؤن حتى ينتهي شجاركما
التافه، فكنت تطلب مني قبلة وتنسى في
المقابل ما فعله مصطفى بحقك

نظر لها ليث في خبث وقال بمكر:

- كنت أفتعل الشجار معه لأنال قبيلتي

في كل مرة

قفزت فجأة ووكزته في كتفه وهي تقول:

- يا لك من خبيث، حتى بدأ سيف في طلب

القبيلات هو الآخر فكف مصطفى عن اللعب

معكم حتى لا تتشاجروا مرة أخرى

اقترب منها وقال بتسليية:

- فاشتركت في السباحة لأجله عندما هجر

كرة القدم، لأفتعل شجاراً كما يحلو لي

وجذبها فجأة وبدأ في الرقص معها على أنغام

الموسيقى الصادحة وقال:

- كنت جميلة بحق،

فتنت بطلتك أول مرة حتى صادقت مصطفى
رغبة منى في التودد إليك

ضحكت جيبي وهي تتمايل في رقصتها
وقالت:

- أيها الوقح، لقد كنت أخت صديقك
هز ليث رأسه وقال:

- لم يكن هذا ليمنعني، كنت لي حلم
جميل، تذكرين تلك الليلة التي فاجئتينا
بها بطلتك الحمراء
فغرت فاها وقالت:

- لا أكاد أصدق، ألا زلت تذكر. زجرني
مصطفى كثيراً لتغيير لون شعري

ضافت عيناه وهو يقول:

- على العكس، لقد أعجبني للغاية، حتى
أنني رسمت لوحة وأطلقت عليها اسم أفروديت
تمايلت جيبي بغنج وهي تمتم:

هممم، أفروديت نعم أذكر تلك اللوحة
كنت تحتفظ بها أعلى فراشك لم أعلم
بأنني أنا

ملهتمك

اقترب منها وقال:

- تعلم، كنت أعشق حبك لي، اهتمامك
بتفاصيل حياتي، حتى غيرتك، كنت أنهر
نفسي فأنا أكبرك أعواماً

أخذ ليث نفساً عميقاً وتمتم بحميمية وأنامله
تتلمس بشرة جيدها الدافئة التص لم تجفل
للمسته المقتحمة:

- الأعوام مجرد أرقام جيغي، نحن من نصنعها
ونجعلها فارق

هزت جيغي رأسها:

- نعم أنت محق، ولكنها التقاليد

- بقيتي ملهمتي لوقت طويل حتى عندما
أخترت لون البطاقة الأراجواني تخيلت أنه
سيعجبك للغاية

هزت رأسها وقالت:

- نعم لوني المفضل وعلمت أنك اخترته
لتنال رضائي

حدق بها وقال بمكر:

••• من منا الخبيث الآن؟

فاقتربت منه أكثر وهي تبتسم خجلة وقالت
بهمس:

- كنت أسترق النظر لك أثناء إستحمامك
في حوض السباحة بمنزل سيف

فاجأها بهذا التصريح وحتى أنه فاجأ نفسه

ردت بشقاوة وهي تسترجع تلك اللحظات

التي كانت تشعر فيها بأنها أنثى مرغوبة

لفتى يصغرها بسبعة أعوام كاملة تلاحقه

الفتيات الأصغر سناً وكان لايبالي بهن:

- كنت أعلم أنك تسترق النظر وكنت

أطيل مدة إستحمامي، كنت أرتدى في كثير

من الأحيان بزة السباحة الحمراء لأجلك

دقات قلبها يستطيع الشعور بها

واحد،

إثنان،

أربعة،

عشرة.

وحرارة أناملها وصلت للأربعون،

يشعر بها ولكن حرارة أنامله كانت أعلى

قبض على أناملها واعتصرها بين أصابعه وهو

يهمس بأنفاس متهدجة:

- أخطأت. كنت أفضل الأسود، ذو القطعتين

تجرات ورفعت أنظارها له،

نظراته ترقص كفانية لعوب

وعيناها تستجيب للراقصة كذكر وقع

في العشق وهوى

هيستريا،

جنون،

شroud،

وقبلت واحدة.

أضحت قبيلات ساخنة نهمة

وكلاهما

غرقا

في عناق حميم

محرم

.....

سارت حتى أتعبها السير

وأنهكتها الخواطر

النهايات

واحدة

الوحدة واحدة

والألم ذاته واحدا

وهي لا ترغب في تلك نهاية

هي تكره تلك النهاية

رأت الأضواء المنبعثة من مكتبه

وهاجس الوحدة لا زال يسيطر عليها فصعدت

ستبكي

ستسقط بين ذراعيه

ستطلب منه السماح والغفران

ستكون أكثر تلقائية في جواره

لن تكون هذا المسخ البارد مرة أخرى

ستتغير

ستترك العمل إن شاء

فقط ليبقى

ألا يتركها

فريسة للوحدة دونه

ستكف عن الظن السيء به

ستتخلى عن غيرتها العمياء

دخلت وهي تتخيل رد فعله

هل سيرفض أم يقبل؟

هل سيسامح أم ينهر؟

دخلت وتخيلت أي شيء

سوى أن تراه بأحضان امرأة أخرى يقبلها

بكل شغف

دخلت وتخيلت أن تراه بصحبة أي امرأة أخرى

إلا أن يكون بصحبتها

هتفت بصوت مقهور وعيناها تستوعب المشهد

الذي يطالعاها

اتخذتا كلاهما من غطاء لوحته الأثيرة

غطاء لعريهما

لوحته التي خباها بعيدا عن أعيناها لئلا

طويل

بالنهاية لوحته لها لم تمنعه عن معاشرته

غيرها في حضورها:

- جي جي !!!

تقاقرت الدموع في مقلتيها وانسابت

كشلال وصرخت بقهر وخرجت بخطوات

مسرعة تسمع صوته يناديها يأمرها بالبقاء

صوته بدا وكأنه آتيا من عالم آخر

عالم لا تود الرجوع له ولا حتى باللتفاته

نحوه

فأشاحت ببصرها ودموعها لا تزال تهطل
بغزارة وصرخت بما اعتمل في صدرها من
أمنية،

صنفتها يوما بالحقيرة:

- ليتها كانت البيضاء

.....

تلك الحمقاء

أخبرها ألا تعبت بأشياءه أكثر من مرة

كان الخطأ خطؤه

هو من اعتمد عليها

أخذت تجرى وتجرى

وصوته يخفت ويخفت حتى اختفى

وبقيت تجرى حتى أنهكها التعب

فجلست في منتصف الطريق تنتحر بكياً

وخلعت عنها القلب الأجوف بحركة عنيفة

وألقته بعيداً

وكانما تجمدت مكانها

فبقيت تنظر إليه ملقى على الأرض الباردة

مثلها ولمعانه يأمرها أن تعيده لمكانه حول

عنقها كما كان لأعوام مضت

ترك سيارته بحوزتها لتقوم بالتبضع قبل
الرحيل

كان لا وقت لديه والآن هو تائه

وميعاد الطائرة على بعد ساعتين من الآن

أخذ بحث محرك البحث الذاتي عن طريق
المطار مرة بعد الأخرى

ولكن الحمقاء بدلت لغته لتصير باليابانية

هو لا يفقه حرفا فيها

سيتجه إلى أرضها في غضون ساعتين إن لحق
بالتائرة

صممت خطيبته المجنونة على أن يتعلم
اللغة قبل السفر لليابان

وحصيلة عزمها الآن أنه تائه على متن سيارة

حديثا اعتمد على محرك البحث القائم

على الأقمار الصناعية ولكنه الآن معد

لإستقبال وإرسال المعلومات باليابانية

الجوار هاديء للغاية

لا شارات ولا لوحات معلقة

هو معلق في حي سكني هاديء

يدور في شوارعها بانتظام

جل ما استطاعه إدارة عجلة السيارة للجهة
الأخرى ومع ذلك

اصطدم بها

خرج من سيارته مسرعاً وجرى نحو جسد
المرأة الملقاة على الأرض غارقة في دمانها

دقات قلبها المنتظمة الضعيفة طمأنته أنها

لا تزال على قيد الحياة

فقط يحتاج لسيارة إسعاف

فصرخ عاليا :

- النجدة

زاد من سرعة السيارة فالشوارع تشبه بعضها
البعض

أخيرا تمكن من تغيير اللغة لتصير

بالإنجليزية

قال مخاطبا جهاز البحث :

-Airport

رفع بصره مرة أخرى ليتفاجأ بامرأة تتوسد

الطريق حاول الإقلال من سرعته

ولكن باءت المحاولة بالفشل لسوء حظه

وحظها

الفصل الرابع عشر

مسحت حبات البخار المتكاتفه من على
سطح مرانها الذهبية الاطار بحركته
طفولية عبثيه وطالعت بشرة وجهها الصافية
بعين ناقدة

تبحث عن اى شاردة تعبت بسلام عضلات
وجهها ورقبتها المشدودة

اصبحت مهوسه بفزاعته اسمها التجاعيد

وهي لم تتخطى الرابعة والعشرين من عمرها

لفت حول قدها الرشيق الذي لم يزد
حمل الصغير سوى انوثه وجمالا ،منشفت
عريضه سوداء

مزدانته بخيوط ذهبية بحروف اسميهما الاولى
هي وزوجها على اطرافها

ولا بد ان خادمتها المخلصه من شغلت المذيع
ليتناهي الى سامعيها صوت مطربتها المفضلته
وهي تشدو

"ذوينى آآه ذوينى"

ابتسمت ساخره وهي تبارك شفيتها بلون
احمر قان

مهممة في الوقت نفسه: بل أمرنى
نهرنى،

ذوبنى ليست فى قاموس فريد

فهو لا يملك إلا الا وامر.. افعلنى أولا تفعلنى

ثم وضعت الماسكرا الثقيلة ومنحت عيونها

ظلالا داكنه باللونين الرمادى والأسود

وخرجت إلى غرفتها الواسعة ذات الأثاث

الفرنسى بلونيه الأبيض والذهبى

لتجد خادماتها قد أعدت لها ملابس رسمية

كلاسيكية وانحنت لها باحترام جلل وهى

قول:

- كل شىء جاهز سيدتى

هزت رأسها متهكمت وهى تطالع البزة

السوداء التى جهزتها لها الخادمة فقالت:

- اذهبى الآن وأطفئى هذا المذياع فهو بمثابة

إزعاج صباحى مبكر

انحنت لها الخادمة وخرجت كما أمرتها

حاملة معها مذياعها الصغير فى جيب تنورتها

الواسع

طالعت هيئتها المثيرة فى المرآه أمامها

ومشطت أطراف شعرها القصير بهيئة عجزية

حتى أنها تخلت عن حمالة صدرها

نزلت الدرجات نحو بهو القصر الواسع ودست
نظارتها الشمسية الأنيقة بين خصلات شعرها
الثائر وهي تسأل السائق بترفع الذي ينتظرها
منذ عشرون دقيقة كاملة :

-هل استقل سيف الحافلة في ميعاده ؟

أوما لها السائق باحترام وهو يجيبها :

-نعم سيدتى

أمرته بترفع :

-جهاز لى سيارتى الرياضيه ريشما أتناول

قهوتى

وارتدت أقصر تنورة عاجيه مرت على خزانيتها
يوما،

تصل بصعوبه الى منتصف فخذها وبلوزه من
الحرير اليدوى الصنع سوداء بأكمام شفاهه
وحذاء أحمر من جلد الأفعى بكعب رفيع
يضيف إلى قامتها الممشوقه بضعة
سنتيمترات إضافية لتتهادى مختالته فى
مشيتها حاملة حقيبة مستطيلة رفيعة من
اللون نفسه

ببساطه هى لم تعد تتحمل أى قيد بعد

بلوغها الرابعة والعشرين من عمرها

فقطها للأوامر والقيود قد بلغ ذروته مؤخرا

هز السائق رأسه وهو يقول باحترام :

-أمرك سيدتى

مضت بخطوات واثقة نحو الطاولة المستديرة
فى الشرفة الواسعة التى تطل على حديقة
القصر الخلفية لتراقب زوجها المستغرق فى
لعبة إسكواش فردية فى ملعب بناه خصيصا
للعبة المفضلة

تناولت قهوتها المرة التى أدمنتها مؤخرا وهى
تتصفح الصحف المالية العالمية بملل

لمحها زوجها فقال لها ضاحكا وهو يسدد
ضربة للكرة، قوية بمعصمه:

-أخبرتك من قبل، ستصل الأسهم لحدود
السماء

إبتسامته باردة لاحت على شفتيها وهى تتمتم :

• صباح الخير يا زوجتى الحبيبة، يا إلهى ما
أروع جمالك، وطبعا هذا فى خيالك
المريض إيما

ترك المضرب بعدما سجل رقم قياسى آخر
ضد نفسه !!

وصعد الرجات الرخامية نحوها وهو يمسح
بالمناشفة البيضاء التى تحمل حرف اسمه
الأول بنفس الخيوط الذهبية، حبات

العرق المتعلقة بجبينه وقال بحماس وهو
يجلس امامها :

-ستغير البورصة لصالحنا قريبا

أومات له برأسها وهي ترتشف القليل من
قهوتها وعبثت بحقيبتها لتخرج منه سيجارا
رفيعا دسته بين حمرة شفيتها لم يلبث أن
انتزعه بحركة سريعة من بين شفيتها وهو
ينهرها عابسا :

-إيما، قهوة وسيجارا فى الصباح الباكر على
معدة خاوية، هذا مضر بالصحة

نظرت له كطفلة تتلقى تقريرا وتوبيخا من
والدها فقامت وقالت :

-سأذهب الآن كي لا أتأخر

تشاغل عنها بالصحف وقال لها بنبرة ضجرة :
-دعى مساعدتك تتصل بمساعدتى ربما
ندبر لليوم غداء متأخرا
التفتت له متعجبة :

-سنتناول الغداء وحدنا ؟!
رد بجفاف :

ستة أعوام مرت على زواجها من هذا العجوز
 ظهرت بمكتبه ذات صباح ببطاقة بيضاء
 كانت لها خيارا مثاليا بعدما صممت على
 البدء برحلتها نحو المجهول ببطاقة إرجوانيه
 ولكن صاحبها لم يكن يظهر في التاسعة
 صباحا

فتوفيرا للوقت ظنت وقتها أن تقوم بزيارة
 خاطفة للعنوان المدون بالبطاقة البيضاء
 وتوالت بعدها الأحداث المرعبة على
 حياتها حتى خسرت مكان إقامتها بعد حريق
 غامض ولم تجد سواه ليقف إلى جوارها

-بالطبع لا ، لا تكوني سخيصة ، سنكون
 برفقة الوفد الصيني
 رفعت حاجبيها وهزت رأسها وابتعدت عنه
 بخطوات واسعة وهي تمتع:
 -ومن أكون لأتناول مع فريد خيرت غداء
 بمفردنا ، زوجته لا سمح الله
 قادت سيارتها الرياضية نحو مقر شركتها
 بسرعة جنونية وهي تستعيد شريط
 ذكرياتها ككل صباح مؤخرا ، ردا على
 سؤال لم تطرحه

"لماذا؟"

وهاهى اليوم زوجته

فريد خيرت

أحد أشهر رجال الأعمال بالبلد وأقواهم
سيطا ،

وأوسعهم نفوذا

ليس لأنها أجمل امرأة رأتها عيناه

فلم تكن قد بلغت التاسعة عشر من عمرها،

فتاة نحيلة بمعاله تبغى أنوثته.

وليس لأنها الأذكى

لم تكن سوى مساعدة متعثرة بخطوات
البداية .

وبالتأكيد لم يكن سهم كيوبيد من أصاب
قلبيهما

فكيوبيد قد يهرب من فريد إن رآه وكان
ليشفق عليها من الوقوع بغرام عجوز مادي
مثله

لقد كانت مناسبة

ومناسبة إختصارا لصفات كثيرة تتحلى بها
إيما

يقطع دابر الخونة والطامعين

المعادلة كانت بسيطة

لا حب لا عشق ولا قصائد هوى

ثروة طائلة

مقابل وريث

حياة منعمة

مقابل حامل للأسم واللقب

وقبلت بتلك المعادلة البسيطة السهلة

قبلت ومضت على زيبتها ست سنوات وأكثر

قليلا

لقد كانت حفيدة آل بدران على الرغم من
وصية أبيها الجاحدة، إلا إنها ذات حسب ونسب

كما أنها ربيبة أحد أعرق مدارس الراهبات
الداخلية مما يعنى أنها على قدر عال من
الإنضباط والالتزام

وفوق كل ذلك

هى أنثى برحه خصب

يستطيع حمل وريث لفريد خيرت أسماء سيف
من قبل حتى أن تحمله أحشائها

فهما كان ليورث اسمه إلا ل سيف

باردة برودة مياة المحيط؟

منذ دقائق جلست امامه بلباس أشبه بلباس
عاهرة

ولم يلاحظ

لم يرفع نظره ليرى

ليته يرى

إن يرى فربما يتغير

أبطأت سرعة سيارتها الفارهه ريثما تتوجه
بها نحو مساحتها الخاصة بها

ولكنه اللعين

آفة البشر

الملل

عدو يقاتل وينتصر مؤخرا

وتهرب هي من قبضته بتحديها السافر لكل
الأعراف والتقاليد التي تربت عليها

لعله يلاحظ ،

لعله يتغير

ولكن ماذا يفعل الحجر الملقى في بركت

بعيدة بعد السماء والأرض،

طرقت كعبها العالى كانت تناقر
البورسيلين الأسود معلنة عن وصول
المديرة"

قفزت من على مقعدها وهى تحمل
مضكرتها لتسير خلفها بخطوة واحدة والا
زجرتها

أملتها بعض الأوامر وتلك فقط البداية
لطوفان من العمل منهك حتى ساعات الليل
الأولى

فهى ورغم كل شيء إلا انها تحمل العرفان
لفريد

وكادت أن تصطدم بدراجة بخارية تركها
أحد الحمقى فى مكانها المخصص لها
تركت سيارتها فى منتصف الطريق وسارت
بخيلاء نحو مدخل شركتها الفاخر
ألقت بمفاتيح سيارتها نحو أحد موظفى الأمن
وهى تأمر بعجرفة :

-ضعها فى مكانها

••• وسارت حتى وصلت لمصعدها المخصص لها
حتى وصلت للطابق الأخير

واحتفظ بأعداءك أقرب

أول درس تعلمته من الإمبراطور

وكانت العنقاء مثال حي على أنها استعابت

الدرس

دخلت مكتبها وخلعت حذائها الثمين والقتنه

برفست من قدميها بعيدا وكذلك حقيبتها

على إحدى المقاعد وتولت العنقاء رفع

مهمات سيدتها

جلست على مقعدها الوثير ورفعت ساقا فوق

الأخرى على سطح المكتب الأبنوسى

الضخم وخلفها أعظم ما ترى العين من مشهد

هو من صنع منها سيدة أعمال من الطراز الأول

وليست الأعمال ما تعشق ، كلا .

هى تعشق النضوذ والسيطرة والقوة

وأعين تلك التافهة المذعورة خلفها

كانت يوما رئيستها

وبعد أن تزوجت من ملك الإمبراطورية

صممت أن تجعلها تحت إمرتها مباشرة

لتكون العنقاء كما كانوا يلقبونها يوما

مساعدتها الشخصية

واحتفظ بأصدقائك قريبا

صفحات النيل الخالدة تنساب بسرمدية
ناعمة خلفها

ولكن من يبالي؟!!

القيمة الفعلية لهذا المشهد تتعدى العشرين
مليوناً من الجنيهات

هذا ما أخبرها به الإمبراطور يوم أن صفقت
فرحة كالأطفال بمكتبها ذو أكثر الأثاث
رفاهية وأعضمها إطلالة

صوتها الخافت قطع سكون الغرفة وهي
تقول :

هل أوامر أخرى سيدتى ؟

كادت أن تصرفها بإشارة من إصبعها محتشرة
ولكنها تذكرت فقالت بصوت لاذع :

-اتصلى بمساعدة زوجى العزيز لتتحدى
ميعادا مناسبا لكلينا للغداء اليوم

هزت العنقاء رأسها ببرود وأدب جم وانصرفت

مضت تراجع الملفات

صفحة تلو الأخرى

وذهنها متقد لا يمل ولا يكل

شعرت بالضجر فرفعت سماعة الهاتف لتطلب
قهوة مرة

وستعقد غدا ظهرا ، وحفل افتتاح الفرع
الجديد أخشى أنه للأسف تأجل ل...

عقدت حاجبيها غاضبة وقالت بصوت مرتفع

-ماذا تقول؟ من الأحق المسئول عن هذا
التأخير

تنحج الأستاذ كمال واقترب وجلس بهدوء
ليقول :

المصمم الداخلى للفرع أصيب فى حادث
سيارة ولن يستطيعه إنهاء عمله فى الوقت
الحاضر

قاطعته غاضبة :

طرقته على الباب خفيضة كانت للعناء وهى
تستأذنها لدخول الأستاذ كمال مدير
العلاقات العامة

أشارت له ليتقدم وخلعت عويناتها الرقيقة
وهى تبتسم له بكياسة :

-خيرا ، كمال . ماذا لديك ؟

ابتسم لها كمال وهى يقول :

••• كل خير مدام ، الحفلة الخيرية تم

التجهيز لها وستعقد الخميس المقبل فى

حديقة القصر كما أمرت ، والحفلة المدرسية

للصغير سيف قد تم الإهتمام بأمرها

-إذا أحضر آخرًا

أوما لها كمال برأسه وهو يقول :

-سبق وأن فعلت ،ولكن المصمم البديل يقول
أنه سيعيد العمل من جديد فهو غير راض عما
أنجزه مصممنا من عمل يقول بأنه عتيق
وأثرى

رجعت للخلف وهي تضحك بسخرية لاذعة :

••• ما شاء الله ،أحضرت خبير أجنبي وليس

مصمم مجهول الهوية

اصطدمت عينها بأثاث غرفتها الأثرى وطلاء

الحجرة العاجى التقليدى وحتى مكتبها

الأبنوسى فنمت عنها نظرة غير راضيه
إلتقطها كمال بخفتة ورغبة منه فى إنهاء
الصفقة التى عقدها مع البديل لصالحه فهم
ياقناعها

-اسمحي لى سيدتى ،ولكننى أظنه محق
الفرع الجديد لا بد أن يظهر بطلته مختلفه
عن فرعنا نحن نتقدم للأمام والعالم والذوق
العام تغير

زمت إيما شفيتها وقالت :

-لا بأس ولكن أطلعنى أولا على تصميماته

تنحج كمال وقال بكياسة :

ولكنه لم يكن يقبض على غزال شارد
مسكين بل خوذة ضخمة

زمت شفتيها وهي تقطع السحر الذي أصابها :
-إذا أنه أنت

تقدم منها ومد يدا مختاله بغرور ليصافحها
وهو يقول بصوت أجش مشير وعلى زاوية فمه
تلمع إبتسامته مغوية:

-ليث الأعر

انفجرت شفتيها بإبتسامته هازئة وتجاهلت
يده المدوده وهي تقول :

-هو بنضسه هنا بانتظار إشارة من إصبعك
ضاقت حدقتا إيما وقالت ببرود :

- دعه يدخل

هل سبق بخيالها وأن مر ذات مرة

رجل فارع الطول

ذو جسد رياضي ممشوق

زرقة عيناه تنافس السماء خلفها صفاء

ولمعتها تنافس البورسيلين الذي يخطو عليه
بثقة كأسد يحمل غنيمته

-كنت سأقول ، ذلك الأحمق الذي ترك
دراجته فى موقف سيارتى ولكن لا بأس
ضاقت حدقتاه ولمعت بغضب وحدج كمال
بنظرة ناريتة الذى قال بسرعة:
-إنه خطئى أتحملة بالكامل ، لم أرشده
للمكان الصحيح،أعتذر
أشارت له باهمال ليجلس وهى تقول ببرود :
•••بالتأكيد لم تفعل ،أريد التصميمات أول
بأول ولن يصرف مليما واحد على أيت مواد
قبل أن أعاين بنفسى كافة التصميمات
وهى يث رأسه وقال ساخرا :

-لك هذا ولكن يلزمنى دفعة أوليه لأضرب
جدية التعامل
احتقن وجهها وهى تزجره بترفع:
-أنت تتعامل مع مجموعة آل خيرت ،الجدية •••
هى عنوان المجموعة
قام وسحب بطاقة إرجوانية اللون من جيب
سرواله ووضعها على سطح مكتبها وهو يقول
-أتمنى أن تشرفينى بحضورك لمقر شركتى
قريبا

للقدر قد ابير لا تعرفها

.....

الروتين نعمته

أن تستيقظ صباحا لك روتين لا يتغير، نعمته

يتوجب عليك أن تسجد لله شكرا عليها

فما يدريك ربما استيقظت يوما لم يكن

بمقدورك حتى رفع رأسك مقدار إنش ،

أو من تستيقظ لقضاء أوقاتك معهم رحلو

واختفوا كالراهبة باتى الطيبة،

أو يكون الرحيل من نصيبك.

اختال فى مشيته بعدها فلن تقهره تلك

الفاقتة الباردة ذات الخصلات المتناثرة

والنهد الراقص

التفتت لها ليخصها بإبتسامته قد تصنفها

بعضهن بأنها قاتلة والأخريات بأنها مدمرة

إلا تلك الفاقتة استقبلتها ببرود جم وهى

ترمق بطاقته بإحتقار يوازي ثقته بفتنتها

وهى تمسكها تستعيد بها ذكرى

ذكرى مرت منذ ست سنوات

أيعقل هذا ؟

س العنوان ونفس اللون المزرى

هذا ما كانت هي به موقنت،

على الرغم من مللها.

تقضى الساعات في العمل الدؤوب وعيناها
لا تغفل شاردة، وتعود للقصر في تمام السابعة

تنعم بحمام دافئ وسريع وتغير ملابسها
لأخرى كلاسيكية مريحة وتتناول عشائها
برفقتة صغيرها الذي يكون قد أنهى لتوه
عدة دروس إضافية في الرياضيات وعلم
الإحصاء والبيانو بعد يومه الدراسي المعتاد

وتجلس هي أمامة على طاولة الطعام وهي
تداعبه وتتناول معه شتى أصناف الحديث

ما كسر الروتين مؤخرا أنها لم تعد تجلس

أمامه بنفس الروح المستسلمة لمجريات

الأمر كما يود فريد ،

داخلها ثورة مستعرة للتغيير حتى باتت قريبة

من طفلها الوحيد

تأمله كل مساء

تحفته إلهية

يشبه فريد ولكنه ينظر لها بعيونها البنية

الواسعة

يبدو متماسكا كأبيه

لا أن يكون نسخة فريد المصغرة

تحته دوما على الركض، اللعب، القفز

فينظر لها بابتسامة خجلى ويخبرها أن هذا
يغضب البابا

الإمبراطور لا يقفز

صممت أن تقيم حفلا خيريا بمدريسته ربما

استطاعت التقرب من بيتها المتحفظة

ولربما بنفوذها استطاعت كسر القيود قليلا
حول صغيرها

ولكنها تشعر أن خطتها ستبوء بالفشل

لقد انتقى له فريد تلك المدرسة بالتحديد

ولكنها تعلم داخله طفل مذعور يرغب فقط
بالحماية،

لا أن يكون كما يجب للإمبراطور عندما
يكبر

كان هادئا، مطيعا

طوال الوقت

مجتهدا وعقله متقد كأبويه

ولكنها تشفق عليه

هو بالنهاية طفل

يشغى له أن يكون طفل

مد رسته ومد رسته آباءه

تخرج منها أجيالا من عليّة القوم

لا سيما ومصاريفها الدراسية توازي مرتب

عشرة موظفين لديها لعام كامل

تناول حساؤه في هدوء ولم تسقط منه قطرة

واحدة على منشفته ووضع معلقته بهدوء

وانتظر الخادم ليصب له المزيد دون أن

يحدث فوضى

فمعلمة الإتيكيت التي تقضى معه عصر

كل خميس، امرأة محنكة عملت يوما بقصر

لورد إنجليزى وهى تتفاخر بذلك

ابتسمت له أمه بفخر، وبطفولية مرهقة

بادلها ابتسامته صغيرة وسألته :

-كيف حالك يا صغيرى ؟

تمتم لها بهدوء :

-أنا بخير

هل كانت طفلة هادئة مثله ؟

نعم ، لقد كانت طفلة هادئة

كلاهما يتشابهان بنفس الطلّة

نفس الهدوء والسكون

هدونها كان مكمّنه حزن ورفض وهجران

وهدهء طفلها تبءء فى ءباياه

قالت فءاء :

-ما رأيك أن نقوم عءا بعمل ءنونى بعء
ءءلك المءرسيء ؟

رفع لها أنظارا مضطربة وهو يءاول فهم
ماءقصءه أمه من قولها بالءنونى ،فقال :

-مثل ماذا ؟

هزت رأسها وهى ءسءءضر أفكارا :

-لا أءرى لئفوء كل ءروسك المسائىء

ونقضى الיום بكامله بالخارج نءهب

لعلاهى ،لءءيقةء الءيوان ،أيا ماءشاء

لءعت عيناه ورقص قلبها لرؤيئها فقال بءها
طفولى :

-نعم ،سيكون أمرا مءءعا

وما لءء أن كشر بوجهه وهو يقول ءائفا :

-ولكن قد يغضب الءابا

أشارء بإصبعها أمام شفئئها وهى ءضمها قائلء

-ششش ،سيكون هذا سرنا

ابءسم لها الصءير ابءسامء ءزلءة وعندها

شعرت بالرضى

مردءة ءاءلها

أخبرها المدير العام للمدرسة بزهو بغيض
التلاميذ يعلمون أنها عرائس لا روح فيها ولا
حياة، وأن هناك من يمسكها ويحركها
ويقوم بالإداء الصوتي لها

وتعجب من جهلها أن تلاميذه يدرسون بالفعل
أدوات المسرح وكيفية إخراج عمل مسرحي
يفوق أداء تلك الفرقة صنعا

انتهت الحفلة وشكرها المدير على صنيعها
وخرجت بصحبة صغيرها وداخلها قرارا تعلم
أنه صائبا ولكن فريد سيقف لها بالمرصاد
وسيمانع

نقل سيف من مدرسته البغيضة المملة

"لتكون نسخته عندما تكبر، اليوم أريدك
طفلى الذى لا يكبر"

.....

على الرغم من إستعانتة مساعدتها للعلاقات
العامة بمسرح للعرائس وطاقم كامل
للترفيه عن الأطفال، بقيت الحفلة رسمية
لأبعد حد

حتى أنها شعرت بالملل الشديد أثناء
تواجدها فإستجابة الأطفال للعرائس أمر
قاتل للبهجة

ابتاعت له البالونات وغزل البنات وشاركها
بأكل القليل منها

ركضت خلفه في الحديقة حتى أعياهما
الركض وتناول المثلجات ووجبة سريعة
تعلم أنها مضرّة بالصحة كما يخبرها فريد
دوما وحرّم على ابنه تناول مثلها

كسرت تلك الظهيرة الكثير من قوانين
فريد وأعرافه الخاصة، ولم تبالى.

بل تتوق للحظة المواجهة معه
على الرغم من خوفها من النتيجة أن
تصير لصالحه لا لصالحها ،

وكما وعدته أمضيا بقية النهار في اللعب
واللهو بعد أن خلع بزته المدرسية بسيارتها
واستبدلها بجينز وقميص قطنى مرسوم
عليه إحدى الشخصيات الكارتونية
التي كانت تجهلها وشاركها صغيرها هذا
الجهل

كانت ترتدى بزة عملية من سروال يحدد
معالم ساقها بوضوح بلون المشمش الفاتح
وبلوزة عاجية عارية الأكمام خلعت عنها
سترتها واستبدلت حذائها الثمين الذى
يتخطى ثمنه ألف من الجنيهات بأخر رياضى

تواكيت شهيرة

كما هو الحال دوما

فأمام صلابته رأيه وتشبثه العقيم بما يمليه
عليه رأسه العجوز
كانت في الماضي تستسلم .

انتهى اليوم وأوشكت الحديقة على غلق
أبوابها فحملت صغيرها وعادت به للقصر وهي
تعلم أن فريد سيكون أمامه بضعة ساعات
حتى تحين ساعة وصوله

مالم يكون في حساباتها

أن يكون زوجها قد عمد لتغيير روتينه هو

لا ملأ منه ولكن قصرا

لقد إحتاج تبديل ملبسه لأخرى فهو
سيكون في إستقبال أحد الضيوف في القصر
لوجبة عشاء فاخرة

عاد منذ ساعة تقريبا وقد علم من الخادمة،
أنه صغيره قد فوت دروسه المسائية بأمر من
السيدة

وانتظرها في حجرة مكتبه قاضيا
الجبين بعدما ارتدى حلتة كلاسيكية
قائمة ومضى يتمتع بشراب خفيف قبل وصول
ضيضيه

-انتظري ، أين كنتما ؟

التفتت له دهشة وقالت :

-فريد !!، لقد عدت باكرا اليوم

اقترب منها بخطوات بطيئة وهو يوجه نظرة
حارقة لصغيره الذي توارى بظل أمه وهو
يقول :

-نعم ، عدت باكرا ، أهذا ماتقومي به من

فعل كل يوم بغيابي إيما ؟

رفعت حاجبيها ساخرة وأشارت للخادمة وهي
تأمرها بثبات :

-خذي سيف للحمام ليغتسل وحضري العشاء

سمع صوت إطارت سيارتها المسرعة وهي
تسحق الأحجار الصغيرة المستقرة بممر
الحديقة الأمامي فقام لإستقبالها حانقا
وهاله ما رأى

صغيره ، من يحمل اسمه وورث اللقب . يرتدى
ملابس كأطفال العامة وفوق كل هذا وجهه
متسخ و ملطخ ببقايا طعام !!

وزوجته الشابة بملايس لا تقل إتساخا ولا
قذارة

فهب بإستبقائها صارخا قبل أن تصعد الدرج
وسرعة لغرفتها :

رد بصرامتہ :

-سيتناول العشاء بمفرده في حجرته

دموع طلت من عيون صغيره حطمت بهجتہ
اليوم وجعلتها هباءا منثورا وارتسم الغضب
على محياها سريعا وهي تقول :

-عن اذنك سأصعد لتبديل ملابسي

وللاغتسال، هذا ان لم يكن لدى عقاب
بالانتظار

لم تنتظر منه ردا ورمقته بازدراء معلى وهي
تتجاوزه للأعلى

أنهت إغتسالا سريعا فهي كانت تود الذهب
لغرفة صغيرة بالطرف الآخر من الردهه
الدائرية في جناح الأطفال كما شيد القصر
ولكنها وجدته بانتظارها وقد بدأ أكثر
هدوءا وسيطرة على زمام الأمور

خاطبها دون النظر إليها :

-لعلك تظنين أنني لم ألاحظ

جلست أمام مرآتها وهي تمشط خصلات شعرها
القصيرة ولم ترد

قال بصوت خال من المشاعر :

بالطبع لك ، سيف سيبقى معى وجميع ما
ملكتهك إياه يوما سيصير لى من جديد ، أنت
تقفين إلى جوارى فى مواجهة الجميع ،
منتصرة

وأردف هامسا وهو يعدل خصلته هاربت
على غرتها بفحيح كالأفعى :

-من الغباء أن تقضى وحدك بمواجهتى وأنا
لم أعهدك غببت

بقيت تنظر إليه عبر مرآتها حتى رفع هو رأسه
ولم ترى بعدها سوى انعكاس قبضة يده

اقترب منها حتى ظهر انعكاس وجهه فى
المرآة التى تقابلها وهو يردف بصوت يندر
بخطر قريب :

خصلات شعر ك التى تناقص طولها لأكثر
من النصف ، ملابسك المتحررة وسيارتك
الرياضية الفارهة ، ماتمرين به هو عنفوان
شباب إلى زوال إيما ، وكلما استطعت السيطرة
على نفسك وعدت باكرا لمضمار حياتنا
•••لهادىء كانت الخسائر أقل

تحدثه بنظرة ونبرة لا تقل صرامة :

-لمن ؟

أغلق الباب والتفتت نحوه وقتها وألقت
بالفرشاة التي كانت تصفّ بها خصلاتها
القصيرة نحو الباب المغلق وانبعثت منها
صرخة حانقة
وأنفاسها المستعرة تمتد بكمد :
- لن يتغير

وهي تعدل أزراره الذهبية حول معصمه وقبل
أن ينصرف قال لها ببرود :
- دعوت صفوت بك وحرمة للعشاء في تمام
الثامنة ، كوني جاهزة رجاء
عقدت حاجبيها وهي تتساءل بصوت أبح :
- أجبرته على البيع؟!!

ابتسم بزهو وقال بنبرة متشفية وهو يخطو
بخطوات متناقلة نحو الخارج :
- غبي آخر أضطر للإسحاب ، جميعهم يضررون
من مواجهتي بالنهاية إيما ، جميعهم .

الفصل الخامس عشر

لم يتغير الكثير بعد تلك المواجهة بينهما
بقيت كما هي ولكن أكثر حذرا في إثارة
غضبه

ليس لأنها تخشى فقدان مال وشركات

بل لأنها تخشى فقدان الصغير

عاد صغيرها لتوقعته المنتظمة

وكفت هي عن التدخل الصارخ بأموره

ومزيدا من الأفعال الجنونية

بقيت تراقب من بعيد

ومضت مستسلمة

بالنهاية كما يقولون

فاقد الشيء لا يعطيه

أرادت منح صغيرها طفولة مرحية

ربما يكون صغيرها حرم المرح ولكنه منح

الأب

وفريد بالنهاية أب ممتاز

أب يهتم

لم يختفى يوما ولم يهجر

يعد كل إرثه ليكون من حق صغيره

لن يحرمه يوما ميراثه بوصيته جاحدة

وربما ماتمر به كما أخبرها

عنفوان شباب إلى زوال

حمى صيفية غيبية ،

لا ينبغي لها أن تستسلم لها فتخسر كل شيء

وكمربون صلح أشرفت بنفسها على حفلة

ضخمة هامة يقيمها في القصر بنهاية فصل

الصيف كل عام بكثير من الإهتمام لكل

التفاصيل

مدعوها من الأصدقاء المقربون وبالطبع

كلهم من رجال الأعمال الذين يستثمرون

أموالهم مع فريد ومنهم من يطمح أن ينضم

للكب

ليلة الحفلة عاودتها عادة قديمة حمقاء

لطالما كرهتها

تعرفت كضوفها ومضت تبحث عن شراب بارد

مهدىء ومحرمة ورقية

دقات قلبها غير منتظمة ولا تعلم لها سببا

كل شيء مجهز وعلى مايرام

صغيرها ،

استقبله فراشه منذ ساعة وهو يغط الآن في

نوم عميق بعيدا عن أجواء الحفلة الهادئة

مظهرها،

وقد نال استحسانه

إختارت ثوبا عاجى اللون من قماش
الدانتيل الرقيق المتهدل بعض الشيء
ليتماسك حول خصرها بزئار من القماش
نفسه

يحتضن كتفها بنعومة، له فتحة تصل
لمنتصف ظهرها النحيف لا قرار لها وأمامية
مماثلة .

عقدت شعرها بتسريحة رقيقة سيطرت بها
على خصلاتها الثائرة القصيرة، وزينة وجهها

بين اللونين المشمشى الهادىء والكريمى
الملائكى وظللت عيناها بكحل خفيف

اقترب منها وجائزته بيده سوارا من الذهب
المطعم بأحجار من العقيق الأسود أحاط به
معصمها الأيمن وقبل يدها برقة :

-تبدين كالملاك

ابتسمت له بخفة وشكرته على هديته
بهدهوء

وبعدا كانت إلى جواره بإبتسامته مشرقة
فى استقبال مدعويه

ووقف إلى جوارها يشعر بفخر وزهو

فبيده يمتلك كل شيء

المال والأعمال وزوجته رائعة الجمال ،

صغيرة

والأبن حامل اللقب والورث

شعر أنه يملك العالم بأجمعه واختال في

وقفته وهو يصافح هذا ويضحك لمزحة لا

بأس بها لأحدهم

••••• ما هي فلم تكف يدها عن التعرق

وفوق كل هذا شعورا بغیضا آخر يرافقها

أحدهم يراقبها

ليس بمقدروها إدارة رأسها والبحث عن مرافق

فهي مضيضة الحفل

لا ينبغي لها الظهور كحمقاء

عليها بالتماسك

أستاذت زوجها الذي كان يبذو مستغرقا

بحديث سياسي مع أحد أصدقائه من ذوى

النفوذ لتحضر لها شرابا

وهي فى الواقع كانت تبغى

هربا

دلقت لغرفة المكتب الخاوية المظلمة
بهدهوء شديد

تود فقط الإنزواء والسيطرة على دقائق قلبها
المتسارعة وحببات العرق المتساقطة من
كفها بغزارة

لم تضيئ أنوار الغرفة، اكتفت بضوء
المصباح الذي تعلم طريقه جيدا إلى جوار
الباب ببضعة إنشآت

حتى طالعها مشهد حميم علمت أنها لن تنساه
يوما

وصرخة نسائية رافقت ضوء المصباح اللهب
أنا رفجأة

وتشبث بأذيال رداء ملقى إلى الأرض جوارها
فأدارات رأسها وهربت للشرفة التي تؤدي
للحديقة الصغيرة المخصصة لحمام السباحة
وهي تتمم بذعر:

- آسفة

توقفت أمام حمام السباحة وهي تستنشق
الهواء العليل وتطرده ما مر بخيالها من مشهد
تعرفت على المرآة من قبل أن تنبعث منها
حتى صرختها

يا له من جنون

جنون العشق

لم يكن هذا صوت عقلها الذي يخاطبها بل
كان صوت مراقبها

التفت له شاهقة، لقد كان يقف مستندا
بجسده على الحائط خلفها طيلة هذا الوقت
اقترب منها بخطوات فهد أو ليث إن صح
التعبير

حتى وقف أمامها فقالت له بدهشة :

-كيف دخلت إلى هنا ؟

مدام فيضيان وزوجها الذي يكبرها بعامين أو

خمسة على أكثر تقدير

وحدث يتخبط بخاطرها

يا إلهي

الشغف ،

والتيه،

والوله.

وكلاهما تخطيا الأربعين من عمريهما

وعلاقة حميمة على إحدى الأرائك بعيدا

عن الصخب

ركز أنظاره عليها وضافت حدقتاه ،

فهالته الفتنة التي كانت تحيطها كانت

تؤلم عيناها

وهو كان يرغب باستعبادة كل إنش منها ،

بدايته من رأسها الجميل وخصلات شعرها

الهاربة الثائرة

حتى نهدها الذي يتواري بنعومة خلف قماش

الدانيل المخرم

إلى خصرها النحيل

وحتى هنا توقف

مالذي يمنعه من القبض عليه بقبضة واحدة

إن أراد

سوى أنها لغيره

أمر مقيت

زمت شفتيها فى إنتظار إجابته التي غابت

حتى قال بصوت أجش :

-أردت القيام بمكالمة تليفونية طارئة

فاتخذت من غرفة المكتب مكانا هادئا

للقيام بها ، خرجت للشرفة للتمتع بالأجواء

حتى اقتحمها العاشقان بالداخل ، لم أزد قطع

خلوتهما فبقيت هنا بالانتظار، على أقصى

فقتلتها فى مهدها برقة متوحشة

وهزت رأسها بغير تصديق ،

ظنت أن للوقاحة حدود فكانت مخطئه

ظنت لوسامة الرجال حدود فكانت أيضا
مخطئة

نهرت نفسها وما يبثه هذا الغريب من أفكار
برأسها

همت بالابتعاد عنه والعودة إلى غرفته
المكتب فلا بد أن تكون مدام فيضيان
وزوجها ارتديا ملابسهما وغادرا

سارت بالفعل ولحق بها

تقدير لن تزيد خلوتهما عن نصف ساعة
أليس كذلك ؟

احمرت وجنتيها من تلميحہ الوقح وقالت
ببرود :

-لم يكن هذا سؤالى ، اسمك لم يكن على
لائحة المدعوين التى أشرفت عليها بنفسى

اتسعت إبتسامته بوقاحة وهو يجيبها
ببساطة:

-نعم ، اقتحمت حفلتك.

انفرجت شفاتها بدهشة اغتالت إحدى دقائق

الغرفة كانت فى حالة فوضى والأريكة
الجلدية الضخمة قد تحركت من مكانها

نظرت للمكان بأعين غير راضيه وهمت
بالخروج فاستبقها قائلاً :

-لن تستطيعين الخروج بهذا الشكل

اقترب منها والتفتت له تسأله بترفع مزدرى :

-ولم لا أفعل !!؟

لمعت عيناه وهو يقيم طلتها بنظرة وقحة :

-وجهك أحمر محتقن بالدماء وتسارع

أنفاسك كفرس أنهى لتوه سباقا، كما أن

الغرفة بحالة فوضى ،ماذا لو رأنا أحدهم
بالخروج منها سويا ؟!

زمت شفتيها بغضب وتعالت أنفاسها الحانقة
وهى تستجمع حروفا صارخة لتنهره ولكن
كل ما جاوز شفتيها كان كلمات متقطعة
بأنفاس متهدجة :

-أنت ..أنت ،.....وقح

اتسعت إبتسامته وهو يشكرها

ثم قال لها دون إكتراث:

-هيا ساعديني لنعيد تلك الأريكة
مكانها على الأقل

كان يعلم أنه قادرا على دفع الأريكة
بأصبع إن شاء

ولكنه لم يكن ليضوت فرصه ظهور نهديها
من خلف قماش الدانتيل وهي تنحنى للأسفل
لتدفع الأريكة أمامه

لاحظت مسار نظراته الذي استقر بأكثر
بقعة مهلكة في جسد امرأه ،

فرفعت ظهرها فجأة وتركت الأريكة
لتسقط مكانها وتقدمت منه بغضب

وصففته

توقع أى شيء

أى شيء على الإطلاق

سقوط ربما ،

قبلة كما يتمنى.

لكن ،

صفعة على وجه الليث

هذا أمرا باعثا على

التحدى !!

وليس أكثر

وانصرفت الفاتنه غاضبة

من الوقح

وداخلها عقل يشجب وقلب يتراقص فرحا

والإثنان غاصا بعراك محتدم

وقح ،... جرىء

مخادع ،... بل مثير

نظراته ،... ترى ماذا عن لمساته ؟!

وقف تستجمع أنفاسها

ويا للعجب

توقفت يدها عن التعرق

لربما كانت هذا ما كانت تتوق له فعلة

بداية السهرة

صفعة منذرة باقتراب

.....

عادت مرة أخرى إلى جوار زوجها وتلك المرة

كان إلى رففته الزوجان العاشقان

وجه مدام فيضيان يلتمع بجمرة ربما خجل أو

بقايا نشوة

نكست أنظارها فوراً واجهتها إيما التي

بادرت زوجها باعتذار عن تأخرها

مضى الأربعة يتبادلون أطراف الحوار الذى
وجد به فريد مسارا للحديث عن الأعمال
فتباعدت خطوات إيما عنهم للقيام بدور
المضيفة

فتبعها مدا م فيضيان وهى تجذب
بمعصمها بتردد فالتفتت لها إيما بهدوء
ظلت مدا م فيضيان خجلى حتى قالت بشبه
اعتذار:

-تعلمين كيف هى الأمور، الصغار والعمل وهو
يغيب كثيرا، أليس كذلك؟

ابتسمت لها إيما وهى تهز رأسها وكأنها بالصدفة
تعلم:

-نعم، نعم. بالتأكيد، لا تقلقى.

ضحكت المرأه وهى تردف بسعادة حالمة:

-استراق اللحظه، أمر رائع، كسر الروتين
،الحياة تمضى بنا ولا تعود

إبتسامته زائفة أخرى واسعة ودمعة قفزت إلى
مقلتيها مقتحمة أسوار بنتها حول قلبها

المرأه تحدثها عن حياة حميمة لكانما تمر
بها عطلة كل أسبوع على أقصى تقدير

مرت سنتان حتى الآن.

فما الحاجة ؟!

أخبرها ببرود أنه لن يستطيع اللجوء للعقاقير
فهذا يضر بصحة قلبه

هزت رأسها وهي تطرد دموعها السخيفة
فأمسكت بيدها المرأة وهي تقول :

-دونها الحياة مملّة قاتله ، أعتذر عن إقتحام
غرفتكما . صدقا

ويدا أخرى استرقت ذراع مدام فيضيان
بتملك كانت لزوجها الذي يتوق للإنصراف
واستكمال ما كانا يقومان به بمنزلها الذي
يوفر لهما خصوصية

وانزوى كل منهما بغرفة منفصلة

فليس هناك مبرر ليتشاركا الاثنان غرفة
نوم واحدة،

وميعاد استيقاظ كل واحد منهما ونومه
مخالف للآخر

كما أنه

قد حظى بوريث أخيرا

بعد جدول صارم وضعه طبيب الخصوبة

ووضعه الصحن وعمره الذي قارب على

السبعون

ودعتهما إيما بهدوء واستدارت عائدة إلى
زوجها

واصطدمت عيناها به هناك فى طرف
الصالة الواسعة الآخر

كما كان منذ بداية الحفل

يراقبها

ورفع لها كأس شرابه بتحيةة تجاهلتها

ومضت للوقوف إلى جوار زوجها الذى كان
كعادته غارقا بالحديث عن المال والعمل
والحياة السياسية

صلاقت المرأة دون أن تعلم

الحياة إلى جواره قاتلة ممله

.....

مر شهر على تلك الحفلة وهو يتوق لرؤيتها
من جديد ولكن جدول مواعيد السيدة
مكتظ للغاية كما أخبرته مساعدتها
المقيمة أكثر من مرة

هو الآن يتولى تنفيذ تصميم المشروع الخاص
بشركتها

فرع جديد أكثر رحيبة واتساعا بطرف
المدينة

على أن يحصل مدير العلاقات العامة على
نسبة ربح من خلفها

كلما عمد لرسم أحد التصميمات الخاصة
بشركتها أقتحمت طلتها الجريئة خبايا
ذهنه فأجبرته على الشرود لنصف الوقت
والنصف الآخر تعانده فرشاته ولا تسمح له
إلا برسم خطوط وجهها

يعلم أن خلف تلك الجرأة

براءة عذراء

وخلف تلك البسمة الساخرة الشيطانية

رقية ملاك

يشعر أنه يتحدى نفسه ويتحدها من خلال
تصميماته الجريئة

لم يسبق له العمل لشركة أصحابها بهذا
الثراء الفاحش

أعماله في السابق كانت مقتصرة على تزيين
الشقق الصغيرة للمقبلين على الحياة الزوجية

أو لأحد المتاجر التجاربه تريد جذب الزبائن

••• علاقته السطحية بكمال أحد أقرباء

جيغى، مساعدته الشخصية

وفر له تلك الصفقة

وأعلنت أنامله مرة بعد العشرون ربما

فقد كف عن الإحصاء

الإنتهاء من رسم خطوط وجهها

وتلك المرة بنكهة خجل تواري خلف

كبرياء

ن الهاتف فصرخ مناديا جيبي كي تجيب

فهو بحالته مزاجية تسوء يوما بعد يوم

الصبر

لم يكن يوما حليفا طيبا له

التي تحام

يبدو أكثر رحابة وتفهما

وكانها استرقت إحدى خباياها

اقتحمت غرفته فجأة بلباسها القصير الضيق

بنقشة الفهد

فبالنهاية كما يقولون

"من عاشر القوم"

وصبغت شعر ناريتة جديدة بأطراف شقراء

استحدثتها كعادتها بإتباع كل ما هو غير

مألوف

انفجرت أساريره وطالعتها بدهشة من خلف
لوحته التي توارت خلف غطاء أبيض بعيدا
عن أعين المتطفلين وهو يسألها بلهفة:

-أخبرك أنها ستكون برفقتي؟

هزت رأسها بلامبالاة :

-نعم أضن ذلك

كاد أن يصرخ بها هل هي متأكدة أم لا ؟

ولكن طالعتة الساعة بعقاربها تخبره أن

ميعاده على مقربة ثلاثون دقيقة

وحرى به ألا يتأخر فقد تغادر الفاتنة دون

رجعة

وصوتها الشجي وهي تندندن بلحن قديم
لنجاة

وتوقفت لبرهة للسيطرة على أنفاسها

اللعنة عليه، لم يكون أكثر وسامة بذقنه

النابت وهيئته الخشنة دوما

ثم قالت بأنفاس متهدجة :

-كمال يطلب لقاءك اليوم في تمام الثانية

ظهرا، برفقة السيدة إيما . ويخبرك ألا

تتاخر

-سأبقى بانتظارك ، وعدنى سيف بتناول
الغداء معى اليوم

أخذ منها زجاجة عطره المفضل وهو يرد :

-لابأس ، كما تشائين

اعترضت طريقه قبل أن ينصرف دون وداع
وهمست له :

-لا تتأخر

نظر لها بدهشة وهو يشك أن جيغى تمر
بصورة هرمونات على مايبدو

وهو ليس بمزاج جيد ليساير تلك النوبة

قام وخلع قميصه المضلع تحت أنظار جيغى
المفتونه بعضلات صدره الملساء وساعديه
المفتولان

وأمرها بشرود وهو يضع أخرا بلون أبيض ناصع
برائحة نظيفة فوق سروال من الجينز القاسى
:

-سأذهب وربما لن أعود فى المساء،على أيت
حال انصرفى فى ميعادك

اقتربت منه بخطى متأنية وهى تناوله
زجاجة عطره وهى تقول بحميمية :

فتمتم قائلًا :

- حسنا ، حسنا

وانصرف وبقية تراقبه من نافذة مكتبه وهو
يعتلى دراجته البخارية الثائرة وهي تقطع
طول الشارع حتى اختفى عن ناظريها
والتفتت لتخرج

ولكن فضول الأنثى قد تعاضم عندما
اصطدمت عيناها بلوحته المغطاة

رفعت الغطاء لتطالعها صورة وجه امراه
تصغرها ربما بعشر سنوات وأكثر

جميلة ، رقيقة لا تنكر

كادت أن تخرمشها بأظافر الطويلة
المصبوغة

ولكنها تماسكت كي لا تغضبه

حركت اللوحه لتظهر من خلفها أخريات
عديده وكلها للمراه ذاتها

بأوجه مختلفه المشاعر

تارة غاضبة

وتارة راغبة

تارة خجلى

وتارة مقتحمة

شهوانية مرة

وأخرى

عذراء لم تعرف يوما للغزل طريق

أعادت الغطاء مرة أخرى وخرجت وهي تجر

أذيال خيبة

لن يكون يوما لها

لقد وقع في الحب

مرة بعد الألف ربما

وهي تنتظره عمرا فوق العمر

عمرها يفوقه أعواما

وحبها له لم يندمل ولم ينحسر

تتعلق بذكري قديمة لمراهق وقع بعشق

فتاة تكبره

أفاق المراهق واختبر عشق الحسنات

يصغرنه ويكبرنه

وبقيت هي ترفض رجلا تلو الآخر

حتى باتت وحيدة

في إنتظاره

ولم تمل

.....

وصلت برفقتك كمال مدير العلاقات العامة
 ودلقت إلى مقر شركتها الجديد
 طالعتها الجدران المغطاة بالبورسيلين الفاخر
 بلون الزيتون
 والأرضية عاجية في تناقض ملهم
 مكتب الاستقبال كان إسطوري
 ثريات صغيرة متناثرة على جوانبه من الرخام
 والكريستال
 وتمائيل إغريقية عارية تطل على نافورة
 تشبه كثيرا المنتشرة بساحات روما
 بلطخ المكتب فكان من الزجاج الشفاف

والمقاعد معدنية مرتفعة دون ظهر أو مسند
 تعلن أن جالسها يجب أن يكون لجسد فتاة
 رشيق
 أعجبها كثيرا، لا تنكر
 المشهد كان،
 جرى
 وهذا أقل وصف
 المشهد كان
 غاويا
 فاجرا

وسارت بتانى

حتى وصلت لردهة تقودها للدور العلوى
مزينه بصور حديثة

تمنح للعرى ثمننا بشكل لائق

حتى وصلت للأعلى وأمام ناظريها كان
مكتبها يحتل الدور بأكملة

مصنوع بالكامل من الرخام

شيدده خصيصا لها

وكانها إحدى آلهة الإغريق

نظرت له مختالمة بغرور

وينفضة عنفوان تمرد

ألحق بها مؤخرا

وقعت بغرامه على الفور

كمال إلى جوارها كان تائها يدعك

عويناته ليقيم ماصرف من مال

ولقد كان الثمن باهظا

وهاتفه رن معلنا عن مخابرة هامة

استأذنها للقيام بها بالخارج فشبكة الهاتف

لم تكن على مايرام

صرفته شاردة

رفعت حاجبيها بترفع وهى تشير بيدها
للوحات والتمائيل بالأسفل مستنكرة:

- وكل هذا العرى؟! -

اقترب منها وأردف بضحيق متفلسف:

- الحقيقة عارية، لا تتخذ غطاء

وتعلقت نظراتها بنظراته الزرقاء

وتعانقت أنفاسهما الحارة

واقترب منها حتى كادت جبهتها أن تلتمس

شعيرات ذقنه النامية

وبقيت واقفة مكانها كالتمثال خلفها

وكانها الملكة،

الإمبراطورة .

وبالدور السفلى يكون العبيد

سمعت تصفيقا مرتفعا

التفتت بهدوء قائلته بتهكم :

-يا لك من متواضع

اقترب منها بتحيةة ملكية مرسلته عبثا لزوايا

فمها

وقال بغرور:

فقد ما يجب

هروبا متعثرا

متحدية إياه أن يقترب أكثر
 راغبة وبشدة لأن يقترب أكثر وأكثر
 قبض على مؤخرة رقبتها بيد
 وباليد الأخرى امتلك خصرها
 ووصم شفيتها بقبلة وحشية ولم يكثر
 حتى أنهكته أنفاسهما المحترقة فابتعد
 وبقيت عيناه متعلقة بجفونها المغلقة
 وانتظر رد فعل مشابه لسابقه
 صفعة وينتهي الأمر ويفيق من الحلم
 لكن كل ماناله

شفايط وردية

الفصل السادس عشر

مرت ساعتان حتى الآن ولا زالت في مغطسها
شاردة
لقد دعته.

لم يقدم على تلك الفعل إلا بعد دعوتها
الصريحة له

هي الملامة أولا وأخيرا

والأسوء من ذلك أنها حقا استمتعت بقبلته
كونها مرغوبة إلى تلك الدرجة

شعرت بأنوثتها تشورتحت وطأة قبضته
الرجولية التي حاصرت خاصرتها
لم يكن يوما فريد كهذا الرجل
لقاءه كان روتينيا باردا
وهي كانت معدومة الخبرة ،
ولا زالت

هناك المزيد

هذا ما أيقنته

وهذا ما لعنته

تبا، هناك المزيد

بكت كثيرا حتى ظنت أنها ملبوستة

وخرجت أخيرا

وجلست على طرف فراشها شاردة

وأفاقت على صرخة مقهورة

وبأنفاس متحشجة نطقتها غير نادمة

"اللعنة عليك فريد"

ألقي بهاتفه غاضبا على الأريكة وأخذ

بفرك خصلات شعره القصير

وهو يتمتم غاضبا :

مزيدا لم تعرف عنه شيئا ولم تشعر به يوما

مزيدا باتت بحاجة إليه

خرجت من مغطسها وسارت حتى وقفت أمام

المرآة

تأملت ملامحها مليا

لا زالت شفتاها متورمتان

أخذت بدعكهم وغسلهم مررا

فما نالت سوى مزيدا من التورم والإحمرار

وبكت

قطب سيف حاجبيه :

-أهذا ماتخبرين به نفسك مرارا جيبي ؟

نظرت له وهي تقول بتردد :

-كلا ، أنا

ثم يدعها تكمل حديثها وقال بصراحة علم

أن صديقته في حاجة إليها :

-أنسيه جيبي ، أنس أمره

هزت جيبي رأسها وأقرت بغصته :

-لن يكون لي يوما

-لا تنفك عن الحديث برغبتها في هجر

البلاد والسفر

نظر لها فوجدها شاردة وطبقها نال بعثرات

خفيضة بشوكتها البلاستيكية

حدق بها مليا ثم قال :

-ما بك جيبي ؟

رفعت له عيونها المغرقة بالدموع

وهي تقول :

-لا تتركها سيف ، جوان أجمل ما حدث لك

.لا تدعها تسافر بمفردها

مسحت دموعها وأثار الماسكرا السائمت
وقالت:

-لم لا تريد السفر برفقتي جوان؟ أنتما الأثنان
عاشقان

هز سيف رأسه وقال :

نعم ، ولكننا غير متفاهمان بالمرّة ، أنا
كالطير الحبيس في تلك الأرض وجوان تود
الطيران واختبار الحياة خارجها

أمسكت بكفه ونظرت في عيناه وقالت :

-هل ستتخلي عنها؟

رأسه ولم يكن يملك جوابا فقال :

-أتمنى ألا تتخلي هي عني

لملمت الأطباق وقالت :

-عليك الاختيار

قام لينصرف وودعها بقبلة على وجنتها وهو
يقول :

-كذلك أنت

نزل درجات الشركة وكاد يصطدم بليث
الذي كان لا زال يعتلى دراجته شاردا وقف
يدقق فيه النظر واقترب منه وقال :

-تعال ، سنتناول القهوة سويا وتخبرني بأمرها

-تقول أن لا مجال للحياة والعمل هنا ، وأننى

أقتل الطموح داخلها

هز ليث رأسه وقال متهكما :

-لست بقاتل سيف لا تقلق

نظر له مليا وقال :

-أظننى سأعتاد غيابها

نظر له ليث وقال :

-ستفعل وستكون مثلى

ضحك سيف بأسى :

-بنس الأمر

نظر له ليث وعلم أنه من المحال أن

يهرب من برائن صديقه فوضع خودته وسار

برفقته إلى المقهى الذى يفضلانه

ظل الاثنان صامتان حتى تناول ليث رشفة من

فنجان القهوة فقال سيف:

-جوان تريد السفر وهجر البلاد

رفع ليث أنظاره وهو يعلم أن صديقه لن يقوى

عن الابتعاد عن أمه وأخته الوحيدة فهو

المسئول عنهما فقال :

-وماذا ستفعل ؟

ضحك سيف رأسه بقلته حيلته :

ضاققت حدقتا سيف وهو يقول :

-هذا يعنى أن المغامرة الجديدة لن تؤتى
ثمارها

عبس ليث وقال :

-على العكس تماما ولكنها لن تبقى طويلا
ارتشف ليث قهوته وقال:

-وهذا ما يحزنك ؟

زم ليث شفتيه وألقى بالحقيقة فى جعبته
صديقه مرة واحدة حتى انتهى قائلا :

-أريت ؟

فضحك ليث متهكما هو الآخر وهو ينظر
إلى الشارع الهادىء بالخارج لتقع أنظاره على
محل الزهور المهجور، فبعدهما توفى صاحبه
تاركا ورائه ابنته الوحيدة والتي كانت
تفضل الحياة الأكاديمية على العمل
بالتجارة والوقوف بالمتجر ماتت الزهور بعد
موت صاحبها وظلت روحه تجوب متجره
الخاوى حزينه

وقال :

سنكون كلنا كهذا المتجر باق ولكنه
خاو

الأمر تعدى خطوط العيث

الأمر أصبح متعلقا بقلبه

ولم يكن يظن يوما أن يهوى قلبه في حب
إمرأة

ولكنه قد فعل للتو

.....

على طاولت العشاء التي قلما يتشاركها
جلست صامتة تخشى أن ترفع بأنظارها نحوه
فيكتشف فعلتها المشينه حتى أنها أرغمت
نفسها على تناول الطعام رغم شهيتها
المفقودة خوفا منه

وضع سيف فنجانه الخاوى الذي جاهد نفسه

ألا يهشمه فوق رأس صديقه وقال بصوت

يرتعش غضبا :

-هي زوجة وأم

هم ليث بالنطق ولكن قاطعه سيف :

-اللعنة ليث ظننت أن لعبثك حد

قام وألقى بالأوراق النقدية على الطاولة وهو

يقول بصرامته:

-ابتعد عنها ، دعها لولدها

ثم غادرتاركا صديقه يغلى ويزبد

لم ترفع رأسها نحوه مرة واحدة

إن فعلت ربما لاحظ شفتيها الموصومة بقبلة
رجل آخر

حتى أنها ربطت وشاحا حول رقبتها لربما
لا حظ بصمات الآخر حولها

أصابها مرتجفة وأنفاسها مرتعشة

تتوارى بأنظارها بعيدا عنه خشية الالتقاء

ظننت أنها مفضوحت

وكلما هم بالحديث إلى الخدم

سمعته يسألها مرة بعد الأخرى وعيناه تقطر
بالشرر

ماذا فعلتى اليوم إيما ؟

حتى وضعت كأس شرابها بعنف
ورفعت رأسها له غاضبة وهمت بفضح
الحقيقت له

ومصارحته بكل شيء

رفع لها أنظاره متعجبا وقال بدهشة :

-ما بك إيما ؟ أنت لست على طبيعتك

ارتعش فمها لثوان وجف حلقها ثم قالت
حانقة :

-الطعام سيء للغاية

عقد حاجبيه متعجبا وقال مستنكرا :

-كيف ، حساء البحر وحده لذيذ جدا

قالت بتعب وهي تفرك صدغها :

أشعر بالتعب ، سأذهب لغرفتي

لقد هربت

وفعليا ماتفعله حتى الآن هو الهروب

صارحت نفسها بتلك الحقيقة وهي تنظر

لنفسها في المرأة

وأخذت في البكاء

هي بحاجة إلى مهدىء

فتحت الدرج أسفل المرأة لتبحث عن حبة

المهدىء التي وصفها لها طبيبها النفسى ذات

مرة وتعثرت أناملها بتلك القلادة التي نسيته

في قعره منذ زمن بعيد

تلك القلادة التي أهدتها لها الراهبة باتى

يوما

تلك التي تحمل القلب الأجوف

نهرها فريد عن وضعها مرة أخرى وهي التي

كانت لاتفارق عنقها يوما

دخلت الغرفة بهدوء ونامت في أحضان
صغيرها وهي تقبل أنامله وتبكي

حتى أنهكها البكاء ونامت

.....

كعادته استيقظ فجرا وأنهى تمريناته
الصباحية كان ذهنه مشغول بصفقة
جديدة

لا بد أن يسافر لأجلها خارج البلاد

ولكن شعورا بالقلق يتآكله

زوجته الصغيرة تعاني أمرا ما

فما يليق بزوجه فريد خيرت وضع مثل تلك
الحلى الرخيصة

لقد كسرت الكثير من قواعده حتى الآن

فماذا يهم؟!؟

رفعتها ووضعها بتصميم حول رقبتها

ربما إن كانت تمسكت بها يوما

لما وقعت في الخطيئة

ثم سارت حافية إلى غرفة صغيرها

لقد تخطت الساعة العاشرة مساء ولا بد أنه

يغط بنوم عميق

ووضع هاتفه جانبا و جلس يتناول فطور
وحيدا وهو يتمتم لنفسه:

-سنرى ماتخفينه عنى ايما ،سنرى

.....

استيقظ الصغير ليجد أمه تنام إلى جواره
ففرح كثيرا وانها ل عليها بقبالات متفرقة
على وجهها حتى فتحت عينيها وابتسمت له
واحتضنته بقوة

ودخلت الخادمة لتحضر الصغير كي يذهب
لمدرسته فتفاجئت بوجود السيدة في فراشه
فقالت معذرة :

شيئا ما يحدث من وراء ظهره ولا بد له أن
يكتشفه قبل أن تلحق به الحمقاء سوءا أو
بإسمه وسمعته

رفع هاتفه الخلوى وخاطب شريف البدرى

رجل تحرياته الخاصة

والذى يآتمنه على أدق أسراره

طلب منه مراقبة زوجته فى غيابه حتى

يستطيع السفر بقلب مطمئن وطمانه رجليه

المخلص وطلب منه ألا يقلق فمن اليوم

وصاعدا ستكون زوجته تحت مراقبته أربع

وعشرون ساعة يوميا حتى يعود

مضت نحو باب الغرفة وهي تأمر الخادمة
بتحضير الفطور في الشرفة بدلا من غرفة
الطعام

ومضت على غرفتها وجهزت ملابسها لنفسها
سروال بلون أسود قاتم وبلوزة حريرية بعنق
مرتفع وأكمام طويلة

ولملمت خصلات شعرها بربطة محكمة
ووضعت زينه قاتمة خفيفة

والقلب الأجوف عاد يتدلى من حول عنقها
يذكرها بما كانت عليه يوما

وبما نسته من أعراف الدير والرهبان

-أسفه مدام ،لم أكن أعلم

قالت بترفع وهي تشعر أن طبيعتها المعتادة
في طريقها للعودة مما أشعرها بالقوة:

لا بأس ،هل غادر السيد ؟

هزت الخادمة رأسها بأدب جم:

-نعم سيدتى

قبلت صغيرها وقالت :

هيا يا كسول استعد للذهاب لمدرستك

بالخلق والفضيلة

ومضت الأيام متشابهة كما كانت دوما

وبقى ليث يتلهف للقاء قريب أو حتى محادثة
تليفونية

ولكنها لم تمنحه أى فرصة فقد عهدت
لمساعدتها بأمر التصاميم وأعطتها أوامر
صارمة بأن تكون المسئولة عن تجهيزات
الفرع الجديد

وعاد فريد من سفره القصير واطمان من
تحريره الخاص على تحركات زوجته العظيمة

فهي لا تغادر القصر إلى للعمل وتعود دوما
ميعادها المعتاد

ولا تقابل أحدا

ولكنه مع ذلك طلب من رجله المخلص
الإستمرار فى مراقبته لها على الرغم من
ملاحظته انها عادت لعهدا القديم

ولكنه كان يشعر أن وراء صمتها

نار مشتعلت بداخلها

وأن وراء سكونها

عاصفة هوجاء

كاد أن يستوقفها ويسألها من تقصد وماذا
تعنى

ولكنه ببساطة شعر بالخوف

••• تلك الصغيرة الحمقاء النكرة أثارت داخله
الذعر لسبب يجهله

بكل سطوته وجبروته بات يشعر بالقلق دوما
بسببها

اسمه، وريثه، مكانته الإجتماعية
عمد لإختيارها دون عن كل النساء
كان يظن أن إختياره فى محله

فمنذ ليلتان فقط، ظهرت فى غرفة نومه
بغاللة رقيقة لاتسترأى من مفاقتها وعرضت
عليه نفسها بجرأة وأصرت

فما كان منه إلا أن يصرفها ببرود متجاهلا
دعوتها الصارخة إلى غرفتها، فما تطلبه
محال

التفتت له قبل أن تخرج ورمقته بنظرة تشع
كراهية لم تخفيها

وخاطبته بجملة لم يفهم معناها :

أتعلم، هناك المزيد

لينه طوع إشارته

يبسط سيطرته ويحكم زمام الأمور

فهو الأمر الناهي

أفعل أو لا تفعل

شيئا ما تغير

تطالب بالمزيد

شيئا ما حدث

وعليه أن يعرفه ويصلح ما أفسدته بحماقتها

.....

اليوم التاسع والعشرون من شهر سبتمبر

عيد ميلادها

خرجت من غرفتها لتتناول فطورها برفقة

زوجها البارد

تفاجئت به مرتديا ملابس الرسمية ولم تعلق

هي فقط ما عادت تهتم أو تبالى

ابتسم لها ابتسامته صغيرة مشعة غريبة على

محياه الجاد والصارم دوما

"عيد ميلاد سعيد إيما"

أهنتك بعيد ميلادك فتندفعين بمثل هاتين
السؤال الأحق؟!

صاقت حدقتها وقالت :

ماذا تريد فريد؟ ما المقابل؟

صمت ولم يجب ولكن صوت تنفسه المرتفع
أخبرها أنها أصابت وترا

ابتسمت فجأة وقالت :

أهذا بسبب رفضك لى تلك الليلة؟

أمسك بالسكينة وشرع فى تقطيع الخبز
بعصبية وقال لها :

هل سقطت السماوات أم خرجت الأسماء من
البحور مشيا

أو اندفعت الشمس نحو المغرب

أم أن الأرض دارت حول القمر؟

مالذى حدث فى الكون ليبتسم لها فريد
خيرت ذات صباح ويهنتها بعيد ميلادها

عبست غاضبة وقالت له :

ما بك فريد؟

رفع حاجبيه تعجبا وقال بدهشة مستنكرة :

تظنين أنتى لا أبالى بك أو بالصغير
ولكننى أفعلى

ولكن ماتطلبينه

صرخت به فهى ما عادت تطيق تندرته
بالخيرات عليها كما يظن :

-حقى

نكس رأسه وقال ببرود صارم :

-الليلة سنقيم حفلا فى الفرع الجديد
لشركتك بمناسبة افتتاحه وأيضا عيد
ميلادك

أنا لم اخد عك يوما إيما ، زواجنا كان بناء
على إتفاق

قاطعته ببرود :

-كان صفقت

أكمل حوارته كأن لم يسمعها :

-وكلانا رابحان ، لم أتعمد خداعك ولم
أوهمك بأننى سأبنى لك من الشعر قصورا
••• وسأغزل لك من أشعة الشمس رداء

قالها ساخرا وتابع بجديته :

-أنا أفعلى قصارى جهدى

وتذكرى أن لقاء أى تقصير منى تجديد
التعويض المناسب

نظرت له تكاد لاتصدق

يظنها عاهرة تقايض الجنس بالمال

وان لم تحصل عليه حصلت على المزيد من
الأموال !!

ارتشف بقية قهوته تحت أنظارها المصدومة
وقام وهو يتمتم بعدة أوامر :

-الحفلة بالتاسعة مساء بمقر الفرع الجديد
لا تتأخرى ،ضعى رداءا بلون أبيض كى يلائم
صحة عنقى

ثم انصرف بهدوء

التاسعة مساء والحفلة فى أوجها

ولم تحضر زوجته المصونة بعد

رفع نظره لشريف البدرى وهو يشير إليه
بساعته

فقام بإتصال هاتفى وسار نحوه وهمس له فى

أذنه بأنها غادرت القصر منذ قرابة الساعة

ولابد أنها على وشك الوصول

هز رأسه والتفت لمحدثه يعتذر عن مقاطعته

حتى اصطدمت عيناه بها

برداء طويل يكسو ساق ويكشف عن
الأخرى كلما تحركت

بلون ذهبى لامع وزينة وجه غاية فى الجمال
والفتنة

فعينها البنية اكتست بظلال ذهبية مدخنة
وشفتيها متناغمة بلون أحمر قان

ووصل إليه عطرها الصارخ قبل أن تصل إلى
جواره وتقف تلقى التحية عليه وعلى ضيوفه
وعلى وجهها ابتسامته منمقة

تجامل عيون الرجال المتربصة بها والتي
أكلتها حية

وعيون النسوة التى تشع غيرة حقدا

خاطبها أحدهم بإعجاب وهو يشيد بجمالها
وجمال الديكور الداخلى لمقر شركتها

ابتسمت له بلباقة وهى تقول :

- كل هذا يعود فضله لزوجى العزيز هدية
منه . فالיום عيد ميلادى

ابتسم فريد بخيلاء فزوجته تشيد بكرمه
وسط ضيوفه

جذبها من مرفقها بعيدا عن الجميع وهو يقول
بصوت خفيض :

حتى وجدت ساقها تقودها نحو الطابق
الأعلى

فمنذ ذاك اليوم لم تطأ قدمها ذاك
المكان

كانت تود إستدعاء ذكرى
مخزيتها

باتت اليوم وبعد حديث الصباح المهين
مواسية

صعدت الدرجات بهدوء وخفتة كي لا يلاحظها
أحدهم

-لقد طلبت منك تحديدا إرتداء لباس بلون
أبيض

زمت شفتيها وقالت بشبه إعتذار:

-قد فعلت ولكنى بحماقتى لطخته دون
قصد منى فى الساعة الأخيرة، لذلك
تأخرت فى المجيء

ابتسم لها فريد متقبلا إعتذارها وهو يقول لها:
لا بأس.

وعاد مرة أخرى إلى ضيوفه وبقية هى تتنقل
كفراشة بين المدعوين

المكان كان مظلما وكانت مسمتعة
بالظلام حد الشغف

فتلك الذكرى لا بد أن تقبع في الظلام
في غياهب عقلها

اصطدمت ساقها بأريكة لم تكن
موجودة من قبل

واقتمتها ذكرى أخرى

ذكرى لجنون العشق

سارت نحو النافذة الواسعة التي كانت تحتل
جانب الغرفة الأيمن بأكمله

وفتحتها وسمحت للنسيم العليل بالدخول
عبرها واستنشقتة دفعة واحدة

واسندت جزعها إلى إطارها القاس وتعلقت
عينها بالقمر المضيء للحظات قبل أن تمتد
يد لتقبض على خصرها وصدرا لتصق
بظهرها

فالتفتت له وهي تقول هازئة :

-أنت تقوم بالكثير من التنازلات اليوم فريد

واصطدمت عينها بشعاع عينيه الأزرق

واحتبست أنفاسها وصرخت دقات قلبها

وتجمدت أطرافها

فهجم على شفتيها بقبلة ضاريت وجذبها بقوة
 نحو ممر سري صنعه بنفسه خلف مكتبها
 الحجري وظل قابضا على خصرها ولم
 يسمح لها بالفرار كالمرة السابقة وتمردت
 على سطوة شفتيه فدفعته بقوة وصرخت
 هامسة في أذنه :

-مجنون-

قبض على عنقها وعاد لتقبيلها مرة أخرى وهو
 يهمس بحميمية :

-بك وحدك-

فلم تسلمت له ولا اجتياح عاطفته

وكفيه

الفصل السابع عشر

كم من الوقت مر يا ترى؟

سنة، اثنتان

أربع وعشرون ساعة

دقيقتان

أو ربما ساعة

لا هي كانت اثنتان

وعند الثالثة توقف الطوفان

طوفان من المشاعر لم تلحق بها من قبل

طوفان من الحميم أصابها

واجتاح كل خلية من جسدها النحيل

دفعته بأنفاس لاهثة

لم تكن مغمضة العينان كالمرّة السابقت

كانت تنظر له وتحديق به ويكل شعرة في

رأسه وهو،

هو كان مغمض العينان يتلمس بأنامله

كل إنش منها

ببطء وقح ومثير

شعرت بالخدر تحت لمساته المتأنية

دفعته واحدة

دفعته واهنت

ولكنها صارمت

أمرته بالتوقف

وفتح عيناه ليتأملها

تحديق فيه بشغف يفوقه

الليث كان ليبتسم بخيلاء في الماضي

فهذا هو التأثير المنتظر على كل جنس

حواء

ولاشيء جديد

وتحررت من أسر هذا الممر السرى

وبأنامل مرتعشة ولكنها صامدة أنارت

الأضواء فى الغرفة الواسعة وجلست على رأس

المكتب كما يفترض لسيدة أعمال

محنكة

وعلى سطحه الزجاجى أعادت ترتيب

خصلات شعرها مرة أخرى

وحمدا لله على تماسك طلاء شفتيها القانى

إثر هجوم الليث عليه

الغالى حقا ثمنه فيه كما يقولون

ووقف هو بهدوء يراقبها

ولكنه فى تلك اللحظة يتوق للمزيد

والفاتنة تدفعه لطلب المزيد

ابتعدت عنه خطوة صغيرة للخلف

والتفتت حولها بعدما هدأت عاصفة الجنون

التي ضربتهما سويا

المكان كان لا يتخطى حاجز المتر الواحد

ولكنه كاف للغاية للإلتصاق جسدان لا

كثير

خطوة واحدة، إثنان

ثلاثة

يعلم أنها ظاهريا متماسكة ولكن داخلها
لا زال ثائرا يتوق للمزيد مثله

هم باقتراب وحديث وأمرا باللقاء غدا أو بعد
ساعة أيهما أقرب

هو لن يترك نفسه تحت رحمة تخاذلها
وهروب مصطنع منها

ولكن خطوات متصاعدة أخذت بقرع
الدرجات خلفه

ووقف على أعلاه رجل تخطى الستون بكثير
ومع ذلك يتمتع بجسد رياضي فارع الطول
أشيب الشعر،

مهيب

نظر له باحتقار صارم وقال متجاهلا وجوده
ببرود اعتاده :

-ها أنت إيما، قد بحثت عنك في كل
مكان

باستطاعتها بعد مرور تلك الأعوام فهم
فريد خيرت

داخله الآن ألف سؤال وسؤال

ويطمح لإجابة سريعة، شافية

فالماضي كانت الحمقاء

كانت لاتبالي

كانت ترضخ وتمنحه كل شيء

كل الهدوء والوقار

لاتسمح بشاردة تعكر صفوه

ولكن كان هذا فى الماضى

أما الآن فهى مستمتعة للغاية

لحد الانتقام منه ومن هدوءه النفسى

فابتسمت بخيلاء وهى تقول بشاعرية بلهاء

تعمدتها :

-أعرفك زوجى الحبيب على المصمم

البارع ليث الأعسر، هو من شيد هذا الرغد

لأجلى وبفضل أموالك

التفت له ومد يده بمصافحة باردة وهو يعرف

نفسه بقوة :

-فريد خيرت، أقر أنك أحسنت صنعا سيد

ليث

تلقى ليث مصافحته بقلب يرتجف بعض

الشيء، إنه يصافح الرجل الذى كان يتمتع

بغنج شفتى زوجته منذ قليل، أى خست وصل

إليها

ابتسم ابتسامته متوترة له وقال :

-لى الشرف ، سيد فريد

قامت وسارت نحو الرجلان اللذان باتا يحملان

نفس الحقوق والوجبات فقط بإمرتها

الزوج المغدور والعشيق المغرور

نظرت لئليث نظرة مأكرة وهى تقول :

-بإذنك سيد لئليث ، لقد استمتعت حقا بتلك

الدقائق الثمينة بصحبتك

نظر لها مصعوقا ، تلك البريئة المغويه

تتحدث عن لحظات الخيانة تحت مسامع

عينيها المخدوع ، هز رأسه ويحلق جاف أجاب :

-وأنا أيضا سيدتى

سارت إلى جوار زوجها الذى يكبرها عمرا

بسنوات عديدة بثقة بالغة

فى الصباح كانت غاضبة منه

والآن باتت مستمعة بكونها عاهرة ، فاجرة

تخون زوجها

لا للذة عشق أطاح بها

بل للذة إنتقام أصبح من حقها

.....

الهروب كان تلك المرة من نصيبه

هي الزوجة الشابة الفاتنة إلى جوار هذا
العجوز البارد الصارم
كوردة الأوركيد البيضاء وسط الأشواك
في صحراء قاحلة
والذنب يفتالها ويصيب منها الدماء
والذنب ذنبه
غير أنه ليس الملام
هو فقط غارق وما باليد حيلته
فكيف بالقلب أن يختار من يعشق حتى
الممات

ووقفت هي تراقب خطواته حتى وصل
للمخرج الرئيسي إلى جوار زوجها المنشغل
بحديث لا ينتهي عن عالم السياسة والمال
والأعمال

التفت على حين غرة قبل أن ينصرف
ووجدها تنظر إليه شاردة وهي تتمسك
بقلادة تعلقت بجيدها لم يلحظها من قبل
وقف لينظر مليا لها
يقسم داخله أن الدموع تتقاذف من مقلتيها ولا
يكاد يلحظها أحد

غريب لا يعرف كنهه بالضبط وماهى
مكوناته

ولكنه يثق بقوته الساحرة

هذا ما أخبرته به جيجى

له قوة خارقة تعيد لروحه الهناء

الأضواء خافته وكذلك كان صوتها وهى

تخبره أنها رأت ما جنت به فرشاته منذ أيام

تنهد وسرد لها كلمات سيف التى كانت

تقرعه كل ليل ومساء :

-إنها زوجة وأم-

جيجى

هى المرسى لكل سفينة

هى المنجية من كل شقاء

يريد الحديث، يود الصراخ

يود حضنا دافئا

حضنا يقدر العشق وأخبار العشاق

جلس إلى جوارها على أريكتها الصفراء بيده

كأس منعش من عصير

رقص قلبها طربا

على الأقل لن يحظى بلذة العشق المنتهاه
ولن يفوز بمحبوبته فهي ملك لرجل آخر

أقرت داخلها

كم هي مثيرة للشفقة

تنتظر أن ترفضه الأخرى

دست أناملها وسط خصلات شعره الكثيفة

وأقحمت رأسه في صدرها وهي تربت على

ظهره بحنان أم يشتاقتها وهي تقول :

الوقت كفييل بكل شيء

وتنهدت وأصابت حين قالت :

-دع الأمور تسير ولا تقف أمام العاصفة

فتحطمتك ، ستهديء عما قريب

وضع الكأس بعدما انتهى منه ونظر في

ساعته

لقد تأخر الوقت وعليه أن ينصرف

شكرها بابتسامته شاردة

وتعلقت أنظارها به

كانت على أعتاب أن تخبره

أن تصرح بما في قلبها هي الأخرى

-ياإلهى جيجى أتبكين لحالى ،أرجوك
توقضى ،

لا أريد أن أكون سبب تعاستك

مسحت دموعها وقالت بصوت مرتعش :

-لا ،لا تقلق بشأنى ،هيا اذهب الآن

.....

إن اجتمع الأربعة ذات صباح سيقرون
جميعهم أنها بالفعل كانت ليلة طويلة

ليلة قاسية ،صاخبة

ساعتها لا تنتهى

ولكنه قد سبقها بالقول بامتنان بالغ:

-أنت حقا صديقتى رائعة جيجى

وسقطت دموعه ساخنة من عينها

هى حقا صديقتى رائعة

لن ترقى يوما لتكون حبيبتى

اقتربت منه وأغرقتة فى أحضانها وقالت

باكية :

-لا تكن سخيضا

نظر لها ممتنا وكلماته سمعتها كأنها آتية

من عالم بعيد:

فريد زوجته

وليث وصديقتة

الأربعة قد تشاركوا ليلة مضية

الأربعة قد تسببوا بها

وخامس انضم لهم

حبيب مخدوع أنته حبيبته تلك الليلة أيضا

باكية

تشكو له ألم الضراق والهجران

ألم المرض والوحدة

تهدو قريبا وعضوا

وغضران لخطأ لا يغتفر

ودموعها لا زالت ساخنة تحضر ودايا آخر بعد

المائة :

-حافظ أرجوك سامحني لقد كنت مخطئة

كان يجلس بمواجهتها ولكنه فعليا لم

يكن ينظر إليها بل كان يسترجع أياما

ماضية

أيام عانى فيها ألم لم يظن أنه قد يختبره

يوما

ألما أمات قلبه ودفنه

وعادت هي لتنبش مكان الجرح القديم
وتبثه من جديد

ليوقن أن قلبه قد عاد مرة أخرى في عالم
الأحياء وهو يصرخ من الألم الذي عقره
قال بثورة عارمة وهو ممسك بذراعيها
بقسوة :

-لم هربت وتركتني ، لقد فعلت لأجلك
كل شيء ، انتظرتك وتخليت عن كل شيء

لم تحرر نفسها من قبضته الدامية المؤلمة
فهي تشعر بالذنب وتستحق الألم :

لقد كنت مخطئة ، أرجوك سامحني

ترك ذراعيها وعاد ليستند بظهره إلى مقعد
وهو ينظر إليها وقال ساخرا وهو يرفض

شورها الكاذب بالذنب والخطيئة :

-أتعلمين شاهنده ، لقد أخطأت بالسؤال
،السؤال هو ، لم عدت ؟

رفعت أنظارها إليه وصعقتها تلك القوة
المنبعثة من عيناه

وتلك القسوة التي تغلف شفثيه فقالت
بضعف وصدق بالغ :

لا زالت دموعها تتساقط وهي تسرد عليه
رحلتها مع المرض الذي أصاب كليتيها
،الأطباء بالخارج فعلو لها كل ما يستطيعون
فعله والأمل الوحيد لها بالنجاة تبرع بكليتي
تتلائم مع فصيلة دمها النادرة ويستجيب لها
جسدها ولا يرفضها
أختها الكبرى وهي الأخرى لم تنجح في
إختبارات الكفاءة
ببساطة لا تحملان نفس الفصيلة النادرة
وطوق النجاة الوحيد لها هي أختها التي
نبذتها في الماضي

-سهى مريضه للغاية ،ستموت إن لم أفعل لها
شيئا ،كان يتحتم على الرجوع
نجحت بإعترافها الصادق في زلزلة الأرض من
تحتة

تلك الصغيرة البريئة على أعتاب الموت
بسبب المرض

-كيف ؟ ما بها ،أخبريني

•قالتها صارخا وداخله شعورا بالرفض يكبر أن
تصاب الصغيرة بأذى فهي الأبنة التي لم
يرزق بها

•قول من أمسك بها وسماها سهى

إيمان مراد

تلك التي أجمعتها وصية والدها الراحل

نكس رأسه بتعب وهو يقول كأنه يحمل

على أكتافه جبال مشارق الأرض ومغاربها :

تريدين منى التحدث لإيما واقناعها بالتبرع

لأختها الصغرى ، تلك التي نبذتها أنت خارج

حدود أسرتك ، تلك التي تركتها تبیت

يوما دون أهل أو دخل يؤمنها

قالت مدافعة عن نفسها :

- لقد كان يشك هو نفسه بنسبها

على أسنانه وهو يقول :

- لقد كان مريضا بالوساس القهري

ردت بدفاع أحق المنطق :

- هي اليوم زوجة لفريد خيرت

فقال بسخرية مريرة :

- هذا لأن لم يكن لديها خيارا آخر ، والفضل

يرجع لك

أمسكت بكفيه وهي تقول :

- أرجوك توقف ، يكفى ما أمر به ، فكر

بسهي وبما أصابها ، ستموت حافظ وعندها أنا

لن أسامحك أبدا

نظر لها وهو لا يصدق ،إنها تحمله ذنب
الصغيرة إن ماتت وقد نجحت بامتياز

-زيارة واحدة لها لن تكلفك شيئا ،أرجوك
أفعلها هذا آخر شيء أطلبه منك وأعدك أن
أرحل عن حياتك إن أردت بعدها ولن ترى
وجهي مجددا

عادت للرجاء والبكاء ودموعها الساخنة
تحرقه وشهقاتها كنياط يمزق قلبه
فقال بصوت متعب للغاية :

-سأفعل شاهنده، أنا لن أتأخر عن صغيرتي

.....

جلست إلى جواره فى السيارة الفارهة صامسا
نظر لها وقال مستجوبا إياها بهدوء :

-هذا المصمم بارع حقا ،لقد أعجب الجميع
بتصميم الفرع،أين عشرتى عليه ؟
نظرت له بطرف عيناها وقالت ببرود :

-كمال مدير العلاقات العامة من أوصى به
بعد إصابة المصمم السابق بحادث
تنحج وقال :

-لكن من يراكما يظن أنكما صديقان
طفولت

قالت ساخرة :

-لاتكن سخيفا فريد ،لقد نشأت فى مدرسة
راهبات داخلية

لمعت عيناه وهو ينظر الى جيدها العارى
ومد يده ليقبض على السلسلة المتعلقة
برقبته وهو يقول :

-أرى أنك عدت مرة أخرى لإرتداء تلك
الحلية الرخيصة

ثم نزعها بقوة وفتح زجاج السيارة إلى جواره
وألقي بها فى الهواء

نظرت له غاضبة وبشدة وهمت بالاعتراض
والصراخ فى وجهه ولكن كان هذا ليمنحه
لذة

لقد سلبها شيئا آخر

شيئا هاما يربطها بأعراف وأخلاق الماضى

شيئا سيندم عليه

وصلا للقصر وترجلت من السيارة ولم تنتظره
وصعدت إلى غرفتها حانقة ،ثائرة ووقف هو
يراقبها حتى اختفت داخل غرفتها

احتسى شرابا باردا وتناول حبة زرقاء اشتراها
خلست صباحا ووضعها فى خزنته المغلقة ،لم

فخلعت أقراطها بعنف ومسحت ماتبقى من
زينته شفيتها ودموعها الساخنه تجرى ولا
مستقر لها وتحسست رقبتها لقد غادرها القلب
الأجوف بلا رجعه

وسيظل القلب بعدها أجوف ولا رجعت

هذا ما تيقنته

مسحت دموعها وزينتها وتأملت وجهها الخال من
المساحيق

وداخلها شعورا يكاد يصل لحد الثقته أنها ما
باتت تتعرف إلى نفسها ولا شكلها

روح لا تلائمها وجسد لا يسعها

يكن يظن أنه سيحتاجها بعد مرور ساعات
قليلته ولكنه كان دوما هكذا يؤمن
نفسه بالإستعداد دوما لأى شىء طارىء
بالأمس القريب أرادته وأعلنتها صارخت
بغالاته رقيقته وقحة

والليله هو من يكون الأمر الناهى وسيأخذ
ماهو حقه

وسيمنحها مترفعا هذا الذى تدعيه حقا

جلست أمام مرآتها وأنظارها متعلقة بهيئتها
الفضجة

أغلق الباب وأوصده وألقى بالمفتاح بعيداً
وقال هازناً :

-لم الخجل الآن إيما؟!

••• كان يقترب منها وهو يخلع سترته وربطته
عنقه وقميصه

وهي تشعر بذعر بالغ فقالت غاضبة وهي
تلف غطاء السرير حول جسدها بإحكام:

-ماذا الذي تفعله فريد؟

وقف أمام وهو يبتسم بهدوء وهو يمرر
إصبعه على ذراعها العاري :

-كنت تريدني حقك إيما

وقامت بعد أن أنهكها التأمل في حالتها
وخلعت ردائها ببطء وماتحته لك يكن
بالكثير، دون عناء

ووقفت كما ولدتها أمها

ويا له من حسن توقيت بالنسبة له

لقد فتح الباب ليطلع هذا المشهد الذي
ورغم مرور عدة سنوات على زيجتهما الباردة
••• لم يره من قبل مطلقاً

اندفعت لتداري عرى جسدها وروحها أمامه
وهي توقن أنها ضعيفة هشة

قالت بصوت خائف مرتعش رغما عنها :

-لا أريده بعد اليوم

قبض على ذراعيها بقوة وهو يهمس لها
بفحيح في أذنها :

-ولكن أنا أريد

ثم دفعها فجأة بقوة نحو الفراش

فقالت حانقتة :

-فريد هل جنتت أم أصابك شيء؟

خلع ماتبقى من ملابسها دفعت واحدة وهو

يقول بغضب :

-ستعرفين عزيزتى ما أصابنى

وهجم عليها بقبلة باردة قاسية لم تثير
داخلها إلا نفورا وداخله جنون مستعر
بالإمتلاك

قاومته كثيرا ودفعته بقوة قدر

استطاعتها ولكنه بالرغم أنه تخطيه
الستون إلا أنه كان يتمتع بقوة شابا فى
الثلاثون من عمره

وهى تصرخ رافضة وتأمرة بالتوقف

ولكنها لم تنجح سوى بإثارته أكثر وأكثر

فهو وقبل أى شيء

الإمبراطور

وله يجب أن تخضع

وكان له ما أراد حتى النهاية

وقال بأنفاس لاهثة بعد أن حصل على متعته
التي تعاظمت بإجبارها على ما يرغبه ويريده

-حذارى إيما أن تغضبيني بعد اليوم

وظلت إلى جواره صامته ونشيج يخنق

بصدرها يكاد يقتلها ونام هو قرير العين

وتحررت أخيرا من سطوته وقامت جاذبه بوهن

الغطاء الملقى أرضا ولفته بعشوائية حولها

سارت بخطوات بطيئة نحو مغطسها

ووقفت لبرهه تنظر له بكراهية حارقة

وداخلها يتوعدده

بأن ما أخذه بالقوة زاعما أنه حقه

ستمنحه هي برضاها لغيره وهو حتى ليس من
حقه

وسيعرف حينها

ماهو الغضب حقا

وماهو الجنون

الفصل الثامن عشر

إن أكثر اختياراتنا حماقة في الغالب تكون
أعظمها أهمية

لا تعرف سبب استدعاء ذاكراتها المشوشة
لتلك العبارة التي ربما سمعتها يوما على
لسان الراهبة باتى أو فى إحدى الكتب التي
كانت لا تنفك عن مطالعتها يوما ريثما
توقفت بسيارتها الرياضية أمام مقر شركته
فى هذا الصباح المتأخر بعض الشيء

فمنذ ليلة أمس بقيت ساهرة فى
غرفتها إلى جواره تتطلع إليه نائما مطمئنا
على أنها يعتمل بانتقام مخز كفعلة بها

وأطلقت لساقها الرياح فى ساعات الصباح
الأولى قبيل موعد استيقاظه وهى متأنقة
بملابسها المنتقاة بعناية

عناية إمرأه قررت أن تغوى رجلا

تنورة رمادية قصيرة تتماوج حول أردافها
بغنج كلما تحركت تعلوها

بلوزة حريرية بلون أحمر قان تلتصق
بمنحنياتها بعضوية وسلاسل ذهبية عدة
تعانق رقبتها وتمتد لتصل لمنتصف صدرها
الذى يتوارى خلف أزرار بلوزتها المفتوحة
أخذت بالنقر على المقود بعصبية

تلك الصفقة وذاك العقد الذي ارتضه
حماقة

فما الضير من الإقدام على حماقة أخرى

ابتسمت لنفسها وهممت متهكمة لتقطع
حبل أفكارها المتسرسل الذي قد يودي بها
لمتاهة لا تعلم قرارها :

-نعم أنت على وشك الإقدام على أكثر
الأفعال حماقة ولكن اللعنة ماذا يهمل ؟

وترجلت من سيارتها وسارت بخطوات مترددة
بعض الشيء ولا زالت نفسها تحثها على

هي الآن تقف على منعطف هام في حياتها

لم تخونها شجاعته الآن

لم تستدرجها للعودة

لتناسي الأمر

ولتغفر

وكان شيئا لم يكن

ولكن أبت نفسها الغضبان والإستسلام

فمنذ متى اتخذت قرارا صحيحا

فكل إختياراتها حتى تلك الساعة حماقة

الزبيجة كانت بالأصل حماقة

الرجوع أدرأجها وربما تؤجل تلك الحمافة
ليوم آخر

ولكن لعزيمة كرامتها المهذرة رأى آخر

وقضت فى صالفة الاسفقبال الرحبفة

المشمسة وداخلها شعور يرفناى بأنها زارفة هذا

المكان قبلا

بل هى كانت فى هذا المكان قبلا

كانف مفاكدة لحد سفف

حتى طالعتها إمراة صاخبفة الزفنة فنظر إليها

نظرة غربفة لكأنما تعرفها حق المعرفة

وبالفرابة كانت هذا ما فشر به هى الأخرى
أفصا

وقضف فحدف بها المرأة بفباف وعفناها لا ففارق

ملا مآ ووجهها حتى فنحنف وقالف بفرفع :

مرفبا ،هل السفد لفث موفوف ؟

فقدمف منها المرأة وهى فرفب بها بففد

ممدودة بمصاففة ودودة وهى فقول وعفناها

مفروفقان بالدموف مما جعلها فنظر لها بشك

ورفبة :

-نعم إنه بالداخل مرفبا بك سفدفى

وأحلام قضت مضجعه وبقى طوال الليل
يحاول التواصل مع فرشاته ليهجر التفكيير
قليلا

ولكنها أبت إلا أن تخط ملامح وجهها وهي
تقف إلى جوار زوجها السبعيني
ملامحها المقهورة

وهو فارسها الذي جاءته اليوم بإرادتها الحرة
ألقت عليه التحية بهدوء ظاهري ودقات
قلبها صاخبة أصمت أذنيها حتى لم تسمع
صوتها الذي خرج ببحة غريبة عليه
وهي تقول له :

كانت على وشك أن تطلب منها مقابلته
ولكنه كان واقفا بشحمه ولحمه يكاد
يلتهمها بأنظاره الجائعة

فمنذ ليلة الأمس وهو يضر بها

تلك القبلات المجنونة التي استرقها منها
وتلك المرة كانت تشاركه الرغبة هي
الأخرى

وهذا الإصرار العجيب لديه لمعاودة الكرة
رغم هروبه منها

-مرحبا

ظلت أنظاره متعلقة بها وهو يتقدم نحوها
ليرشدها إلى غرفة مكتبة صامتة
أكانت إشارته التي أرشدتها أم الشرارات
المشتعلة بينهم

سؤال تخاطر إلى ذهنه المشوش

زيارتها له اليوم صدمته

هو حقا لم يتوقعها

ظلت نفسه تراوده على الذهاب إليها وعقله

كان يابى

واليوم أنت هي إليه

سارا كلاهما نحو غرفة المكتب حتى
اختفيا داخلها ولم يلاحظا وجهه جيبي
ودموعها المنهمرة على وجنتيها حتى إنها
غادرت الشركة بخطوات مسرعة متخبطة

كانت تراها في قسماته

في عيناه

وفي نبرة صوته المشتتة الضائعة منذ

الصباح

قضى ليلته في مكتبه يرسمها وهذا الصباح

لم يهتم بإخفاء لوحاتها عن أعينها

دلفت بهدوء إلى مكتبه الذي كان مفتوحا
على مصراعيه وهي تحمل بيدها كوبا من
القهوة المرة التي يفضلها وتشاركت معه
الأريكة التي كان يجلس عليها بمواجهة
اللوحه شاردا

ناولته الكوب بهدوء وظلت صامتة حتى
قالت له هامسة:

-إنها جميلة حقا

وكانما تفاجيء بها وبلمس القهوة الساخن
بين أصابع كفه أفاق من شروده وابتسم لها
متعبا قائلا :

-إنها فاتنة

ربتت على كتفه بحنان وقالت له :

-اشرب قهوتك

ثم قامت وأسدت الغطاء عليها ليضوق من
سبات أصاب عقله

ولكنه بقى حبيسا في مكتبه لثلاث ساعات
متواصلة لا يفعل شيء سوى التفكير بها

والآن هي تقف أمامه في غرفة مكتبه
الخاصة تتحاشى النظر له

شعرت به يراقبها فقد مضت الدقائق وهي
لا زالت صامتة

فأقر باستسلام وهو يقترب منها بخطوات
متلكئة حتى توقف:

- هذا لأنه يقع على أطراف المدينة
هزت رأسها وأتبعته :

- كذلك الحى هادى

فاجأها باقتراب عنيف وهمسة ساخنة لفحت
خصلاتها المتموجة بضحك نافذ الصبر فهو
الآخر ليس بأحسن حالا وهو يقتحم مساحتها
الخاصة:

- ما الذى أتى بك اليوم إيما ؟

- أنا أريدك ،خذنى الآن

لا تدرى ماذا تقول أو كيف تقولها

أشاحت خصلة شعر متمردة من على جبهتها
وفى محاولة منها لتلطيف الأجواء وكذلك
شفتيها الجافتان التواقتان لقبلة منه أخرى
تنسى بها العناء والقسوة التى فرضها عليهما
فريد بالقوة تحت مظلة حقه الشرعى الذى
ظل يتجاهله لسنوات

وقالت بسذاجة:

-العنوان لم يكن سهلا أبدا

نظر لها وتأملها تبد و متعبته مثله

تقول للراحة ربما أكثر منه

صمتت وغرقت أنظاره فى عيناها المتعلقين
به وهمست له راجية :

-جنون العشق

غاص فى عيناها الراجية وغرقت أنفاسه
المعذبة فى عطرها المستوحش
وامتزجت نبضاته بنبضات قلبها التى تسرى
فى عروق ذراعيها المأسورة
وهتف به عقله

أهى بحاجة لتوسل ؟

أهى بحاجة لتراودك عن نفسك ؟

ومرة أخرى تطل جملة حمقاء كانت واثقة
أنها قرأتها فى إحدى الكتب الرخيصة والتي
كان محورها العشاق وشغفهم المحرم ولكن
بأنفاسها الملهبة ورغبتها الحارقة بانتقام

كانت عضوية ،سلسة وكأنها ما ينبغى أن
تكون خرجت من غياهب عقلها ومن شفيتها
هامسة إياها بحرارة لتصدمه بقوة

فأمسك بذراعيها وهو يكاد يصرخ بها وهو
ينهرها :

-هل جننت ؟

عندما تقف بوجه عاصفة عاتية من
الجماعة أن تتصدى لها

عبارة أخرى كانت أشد حمقا من سابقتها أو
ربما أكثر حكمت

ولكن لم يكن هذا وقتها ولا هنا موضعها
على الإطلاق

ما حدث ليلة أمس لها كان إغتصاب شرعى

واليوم وتلك الساعة تحديدا

إقتحام غير شرعى

ولكنه رائع للغاية

تخلى عن دور القديس العقيم الذى تتشبه
به

فهذا ما كنت ترغب به منذ أن وقعت عليها
أنظارك

أرحم نفسك من عذاب غير مجد وانتشلها من
عذاب مقهور هى الأخرى

فأنت فارسها

••••• ولتكن كما أنت دوما

الليث

•••••

رائع لحد الهوس والجنون والتهيه والشغف

وتبا ياله فقط من رائع

وبعد مضي الدقائق هدأت العاصفة ولم تهدأ

دقات قلبها بعد ولم يبتعد عنها

وبقيت تحرق بصدرة العارى المتعرق

لا تقوى على رفع بصرها

وشعور بالخجل والخزي البغيض يختنقها

وقرار بالضرار متأخر للغاية من حصاره

تاركت ورائها أرضا متعلقات شخصيه غايه فى

الخصوصية

غايته فى الحميمية

سقطت أثناء العاصفة عمدا أو سهوا لايهم

سقطت مع أشياء أخرى بداخلها

سقطت وهوت كصاحبها

.....

كان يجلس شاردا وحالته المزاجية سيئة

منذ الصباح الباكر

لقد استيقظ ليجدها قد هجرت فراشه

وقصره وحتى الآن تحريره الخاص لم يتصل به

ليدلى له بأية معلومات منذ مكالمته

الصباحية المبكرة له

-لا تعد بشيئا مادمت لست قادرا على الإيهام
به

ثم صرفه بإشارة من يده عصبية

فخرج الرجل وهو يغلى ويزبد ويتوعد تلك
المرأة التى على وشك أن تكلفه وظيفته
ذات الراتب الخيالى

.....

لقد انتهى الأمر

غادرته

وانتهى كل شيء

طريقة بالباب مختصرة ومساعدته
القديرة تتقدم بخطوات هادئة تخبره بزيارة
شريف البدرى

أمر بدخوله فى الحال بأنفاس متلاحقة
عقد حاجبيه وهو يسأله بصرامته :

-هل عثرت عليها ؟

طاطا برأسه بخيبة قانلا :

-للأسف لا سيدى ولكنى أعدك عندما ..

نهره قانلا بعنف:

كان هذا المتوقع

علاقة كتلك كانت أجمل من أن تكون
حقيقية

الحظ قد يبتسم له مرة

ولكن أن يفعلها مرتين

محال

هو كان محظوظا للغاية فقط بتلك الأشهر

التي قضاها برفقتها

حتى قررت السفر

وهو الذي يأبى هجر البلاد وعائلته الصغيرة

أصدقائه من يخفزون عنه تلك المحنة التي

تكاد أن تذهب بأنفاسه إلى غير رجعة

وهو بحاجة للتحديث إليهم

ولحسن الحظ قد يجدهما مجتمعان في تلك

الساعة من النهار

جيغى الحنونة وصديقه المخلص ليث

دلف من الباب المفتوح وهاله حالة

الصمت التي تخيم على الأجواء

فنادى بصوت مرتفع :

-هاى ، جيغى أين أنت ؟!

توقع أن يسمع صرخاتها المرعبة به ولكنه
لم يصله شيء فسار بخطوات عصبية نحو
مكتب صديقه ورآه جالسا على الأريكة
شاردا وهيئته مزريّة بعض الشيء

قميص مفتوح الصدر متهلهل وشعره أشعث
والمكان فوضوي للغاية لكننا خضع
لأعصار أو سطو مسلح

فاقترب منه يهز كتفه منزعجا :

-ليث ماذا حدث لك ؟

أفاق من شروده على هزة صديقه وقال متعجبا

-سيف !!

عقد سيف حاجبيه قائلا :

-ما بك ؟ وأين جيجي ؟

لاحظ نظرات صديقه التي تشع قلقا فخفض
أنظاره وقام وسار بعيد عنه وهو يغلق أزرّة
قميصه ويعدل من هندامه وهو يقول بحلق
جاف :

-لا أعرف أظنها ذهبت لتناول الغداء

نظر سيف في ساعته فالوقت تأخر على
ساعة الغداء ثم قال :

أنت تعلم جيبي فهي تغادر في أي وقت
تشاء

رفع سيف الكرسى الملقى أرضا والذي
أوقعه ليث دون قصد وهو يحاول اللحاق بإيما
بعدهما ارتدى قميصه مسرعا ولكنه لم ينجح
فطرد ليث تلك الذكرى التي كان تشوش
على عقله حتى بعد مرور ساعتان أو أكثر
قائلا :

-ماذا تشرب ؟

ابتسم له سيف بإقتضاب وهو يقول :

-هل بإمكاننا الخروج والتحدث ؟

-ماذا حدث لك وللمكان؟ يبدو أن إحصارا
أصابكما

ثم اتبع بريبتة :

-هل تشاجرتما ؟!

نظر له ليث متعجبا وهو يهتف :

-من ؟

قال سيف وهو يحاول أن يسبر أغوار صديقه :

-جيبي وأنت؟!

أشاح له ليث بيده وهو يقول نافيا :

يا طبع لا ، لا تكن سخيفا . هي فقط غادرت

وكانت تلك الفرصة المواتية هو بحاجة
لترك المكان وبأقصى سرعة هو الآخر

فهو ظن بأنه بات ملعونا ممسوسا

وتعويذته الخاصة هي إيما وعطرها الذي
لا زال يسيطر على أنفاسه وتخلخل بين ثنايا
جلده

أخذ نفسا عميقا وقال :

••• أمهلني فقط دقيقتين

ذهب إلى الحمام الصغير الذي يقع إلى
جوار مكتبه ودفع برأسه تحت الماء المنهمر
ثم رفعها ولم يقو على النظر نحو المرأة

الصغيرة المستقرة على الحائط فأخر ما يراه
أن يراه الآن هو

وجهه

عاد بعدها لغرفته ليستعدا للرحيل ولم
يلحظ نظرة صديقه المتفحصة له والذي
اتلقت عيناه منذ قليل ملابس داخلية
نسائية مثيرة مستقرة أرضا خلف مكتبه

قال له ليث :

-هيا بنا

هز سيف رأسه بصمت وسار خلف صديقه

خطيئة لا تغتفر هي الخطيئة المتكررة
 بإصرار
 فللنفس سبع خطايا
 عبارة أخرى أطلت بعقلها وهي تتوقف
 بسيارتها الرياضية التي ظلت تقودها بلا
 هدف لساعات وساعات أمام متجر للخمور في
 مكان لم تطأه من قبل
 • مهمت لنفسها بإصرار وهي تترجل منها :
 -والخمر! حدى الخطايا
 وظلت في سيارتها بعدها تتجرع شرابها
 الكوكر والمسكن

جرعة بعد الأخرى وعادت بعدها إلى قصر
 فريد المشيد تترنح بمشيتها ضاحكة
 صاخبة
 فهي ما عادت تبالى
 لا لتلك الأعراف ولا للعادات أو التقاليد
 فبفعلتها اليوم تخطت كافة الخطوط
 الحمراء
 وما عاد القلب الأجوف موجودا حتى ليرشدها
 لطريق العودة
 تخطت الساعة العاشرة مساءً بقليل وتخطت
 غرفة الاستقبال الواسعة متخذة طريقها نحو

قامت ورمقته بنظرة مقببة وهي تقول بنبرة
صوت متماسكة وكأنما تسطر عليه قانونا
يجب أن يخضع له :

- منذ الآن فصاعدا

واقتربت منه ولفحته بأنفاسها الكريهه
متعمدة وهي تتابع بإزداء :

- فقط لأحتمل النظر إلى وجهك

.....

لحظات حساب النفس هي دوما الأقسى

جلست في مغطسها شاردة

الدرج مترنحة وسقطت مرتين تحت أنظاره
المندهشة الغاضبة فقال صارخا بها وهو يمد
ذراعه لينتشلها من الأرض :

- هل فقدت عقلك . أين كنت حتى

تلك الساعة ؟

رائحة الخمر الكريهه التي كانت تفوح من
أنفاسها كانت بمثابة صاعقة رعديت
أصابته

فقال بصوت شوهته الصدمة فخرج مرتجفا :

- هل أنت مخمورة إيما . منذ متى تشربين ؟

لم تحاول محي لمساته ولا قبالاته
 لقد تغلغلها وامتزجت روحها بروحه
 وامتلكها للحظات خاطفة
 وحظيت معه بمتعة لم تذوقها من قبل
 متعة كانت تتوق لها نفسها منذ زمن
 أفاقت من تأثير الخمر للأسف منذ أن غطست
 بجسدها تحت المياة الباردة
 وفكرة واحدة استقرت بعقلها
 هي الآن زوجة خائنة

ولديها عشيق
 ولسوء الحظ هي ليست بنادمته
 هي فقط تحاول تقبل الأمر
 وما حدث قد حدث وقد انتهى
 ليس لأنها تسعى للمضى قدما في إنتقامها
 بل لأنها صارت راغبة
 وهذا أسوء ما في الأمر
 لم تظن أن يتوغل قلبها في تلك الحسبة
 الباردة التي اتخذتها في لحظة تهور وجنون
 للإنتقام من فريد وغطرسته وجنون إمتلاكه

ولربما لذلك السبب فقط عليها
بالانسحاب قبل أن تفقده

يكفيها حتى الآن فقدان عقلها

.....

كانا يجلسان منذ ساعات في المقهى ولحسن
حظه وجد جيغى تقبع في مكانهم المعتاد
إلى جوار النافذة وخلصهم متجر الزهور المغلق

•• انضموا لها ولم يعلق سيف على شرودها

فهو كان يعلم أن صاحبة الملابس الداخلية
الساخنة التي رآها هي صاحبة الفضل في

شرود صديقته المقربة وحرزها اليباد على
قسمات وجهها المتغضن

أما ليث ففرق في شروده هو الآخر

ويا له من تجمع مزر، مثير للشفقة !!

خاطرة مرت بذهنه واعتلت نظرة ساخرة
وجهه وهو يرفع بطنجان قهوته نحو صديقيه
ليث وجيغى :

-بصحة الحياة برفقتكما

ابتسمت له جيغى وهي توميء له بكأس
عصير البرتقال قائلته برقة وهي تتحاشى
النظر إلى ليث الصامت منذ ساعات :

-بصحتك سيفى ،سانصرف الآن .عد به
باكرا للمنزل لقد تخطت العاشرة مساء

اعترض سيف قائلا :

-انتظرى ساوصلك

قامت وهزت رأسها بإعتراض وهى تطبع قبلة
حانية على وجنته :

-لا تقلق بشأنى ،إلى اللقاء

أقلت على ليث نظرة وداع بعينان مغروقتان
بالدموع وانصرفت

حتى تنهد ليث وقال متسانلا :

-مايها ؟

نظر له سيف بانزعاج وقال :

-هل لاحظت لتوك ؟

أخفض ليث رأسه خجلا وهو يقول :

-آسف أنا مشغول البال قليلا

رد سيف ساخرا :

-بصحابة الملايس الداخلية الملقاة على

أرض مكتبك ،وأردف بعملية باردة :

-عليك أن تزيلها قبل أن تراها جيغى

صعقت ملامحه على الفور وأعتلى وجهه
احمرار مقيت وهو يشيح بأنظاره بعيدا عن
صديقه الذي ظل يحدق به وقال بعصبية:

مالذي أتى بك على أيتة حال ؟

وعاد الحزن ليعتلى قسماات وجهه ويطعنه
بشدة فى قلبه وهو يقول بصوت خافت :

-رحلت جوان واليوم وصلتني منها رسالت
بالبريد الإليكترونى

أنها سعيدة للغاية هناك

هز ليث رأسه وهو يقر بما يعرفه صديقه حق
المعرفة :

-هذا يعنى أنها لن تعود

همس له سيف بحرقة :

-لا ، لن تفعل

رفع رأسه وأخذ نفسا عميقا وهو يفرك
صدغيه وقال :

-عندما تحين لك الفرصة بالسعادة إقتنصها

ليث ولا تتردد ،قد تكون تلك آخر

ذكرياتك عن السعادة بعدها

حدق به ليث وأردف سيف غامزا :

-حتى لو كانت مع صاحبة الملابس

عقد ليث حاجبيه وهو يشعر بالغضب الشديد
منه فقال له سيف :

-أنا أتكلم بجدية ولكن حقا أحرص
على أن لا تراها جيبي ، رفقا بها ليث
ترك ليث فنجانها وهو يقول باهتمام :
-ما بها جيبي ؟

نظر له سيف مغتاظا وكأنها خطيئة
صديقه :

-لا زالت واقعة تحت سحر الليث الذي يقاوم
بعد كل تلك السنوات
اتسعت عينا ليث وهو يقول :

اظهر ليث امتعاضه من سخريته صديقه الذي
لم يهتم له بل وأردف مسترسلا بجدية جدى
:

-أتعلم لقد أوحيت لى بفكرة المشروع الذي
كنت أبحث عنه وستساعدنى به

اصغى ليث باهتمام وشجعه على الحديث :

-حقا ، بالتأكيد سأفعل لك أى شىء ، فقط
أخبرنى ماهو ؟

تمالك سيف نفسه حتى لا يطلق ضحكة
صاخبة وهو يقول بجدية :

منحمر ملابس داخلية للنساء

ماذا !!! لا بد أنك تمزح لقد كنا صغارا
وقتها

تناول سيف فنجانہ ليناوله للنادلة وقال له
مشاكسا:

تحدث عن نفسك

وانصرف تاركا ليث قابعا وسط أفكاره
وظنونه وهمومه

••• وكان هذا ما ينقصه

قلب جيغى الذى لزال ينبض بالحب له

ومتجر سيف للملابس الداخلية

والأهم

هروبها

وعادت ذكراها بنعومة لتسيطر على أفكاره

من جديد

الفصل التاسع عشر

الذنب أعظم معلم

والحياة بيت الدرس

.....

قفز الصغير على سرير أمه في الصباح قبل أن
ينصرف لمدرسته ولم يهتم لكونها نائمة
وأطعمها قبلت حارة أيقظتها في الحال

كانت قبلته في وقت آخر قد تدفع البسمت
أو حتى الضحكة لثغرها ولكنها في تلك
اللحظة دفعت بالدموع إلى مقلتيها

احتضنته بقوة وهي تسأله بصوت خافت :

- لم تنصرف بعد لمدرستك ؟

قال لها سعيدا بابتسامته واسعة :

- اليوم حفلة نهاية العام ، ألن ترافيقيني ؟

دهشت من مرور الأيام سريعا وأنبت نفسها على
نسيان هذا اليوم الهام بحياة صغيرها وقالت :

- نعم بالتأكيد فقط أمهلني عشرون دقيقة
لأغتسل

قاطعهم صوته الجاف وهو يتطلع لها بنظرة
غير راضية

قائلا :

- نحن بانتظارك .. هيا سيف أذهب وانتظر
والدتك في الحديقة

أنا لم أنتهى منك بعد إيما ولن أتغاضى
وقاحتك واهانتك لى ولأسم عائلتى

تأوهت سرا وقالت متحدية :

-هات ما عندك فريد ولكن دعنى أولا
اغتسل لأشرفك أمام عائلتك ومعارفك فى
هذا اليوم الهام

شحب وجهه عند ذكرها العائلة والمعارف
وصورته الإجتماعية الهامة

فهزت له رأسها بسخرية واضحة عندما أفلت
ذراعها وأطلقه فعادت حرة الحركة

أطاعه الصغير بهزة من رأسه وانصرف وظل هو
واقفا ولم يتحرك يرمقها بغضب بالغ

ليلة الأمس عادت بشجاعة الخمر لقصره بعد
أن أقدمت على فعلتها المشينة

وهذا الصباح بعد أن غياب أثر الكحول عن
دمائها

وجدت نفسها ترتجف رغما عنها

• لا زال يرهبها ولا زالت تخشاه رغم الكراهية

قامت متجاهلة وجوده واتجهت إلى الحمام
فأمسك برسغها بقوة آلمتها وجذبها له

• جهاد تلمعان بقسوة وهو يقول :

شحب وجهها على الفور وتسارعت أنفاسها
وأخفضت بصرها وتذكرت أنها تركتها
ورائها بمكتب ليث بعد أن فرت هاربة
ثم رفعت بصرها مرة أخرى ونظرت للخادمة
بنظرة باردة واكتست ملامحها بصرامة وهي
تجيب بترفع هادىء :

-هذا لأننى لم أكن أرتدى أيا منها

أكتست ملامح الخادمة بلون الدماء خجلا من
جراة مخدومتها وتنحنحت لتستأذن للإنصراف
بعد مضى ساعتان كانت تقف إيما إلى جوار
زوجها فى حديقة المدرسة العريقة ويقف

خرجت بعد قليل كان قد غادر الغرفة
وظلت بصحبة الخادمة التى كانت ترفع
ملابس السيدة الملقاة بإهمال على المقعد
الوثير وجلست أمام مرآتها وهى تصفف
خصلات شعرها بتصفيفة شعر تمنح ملامحها
مزيذا من الهدوء والوقار والتزمت بزينة وجه
خفيفة مانحة عيناها ظلالات قاتمة بعض
الشيء لتخفى آثار الكحول ببراعة

• تعالى صوت الخادمة قليلا وهى تقول بتعجب:

-سيدتى أنا لم أعر على ملابسك الداخلية
التي خلعتها بالأمس

ماذا بعده ؟

هل ستكون لها وصية؟

هل سيذكرها ابنها بالخير؟

هل ستظل زوجة لهذا البارد حتى آخر أيامه؟

رفضت تلك الفكرة الشنيعة رفضا تاما

هي ستتخلص منه يجب عليها أن تفعل

نهزت نفسها بسخرية مريرة :

-لا تقلقى إن علم سيتخلص هو منك

وسيتكفل بأمر الوصية

أفاقت من شرودها على صيحة مرحبة بها

بينهم ابنتها الصغير وبفخر يحمل شهادته
المدرسية بتفوق واحدى المصورين الذى
استأجرهم فريد يلتقط لهما صورا تذكارية
لهذا الحدث الهام

ولتحتل تلك الصورة المثالية أحد جوانب
قصره العريق فى المستقبل القريب

وتصبح مجرد تكرار مزر لزيجة فاشلة
ولكنها ذات واجهة إجتماعية مرموقة

.....

الموت

جسد يقرع بين حنايا فكرها المتخبط

-أخيرا سأرتاح ،انتهى العام الدراسي ،أين
ستذهبون لقضاء عطلة الصيف؟ لم تنتظر
إجابة فعليا واندفعت لتقول بإشراقة :

-سيصطحبني زوجي لباريس

التفتت إيما لفريد الجامد مكانه وقالت
بهدهوء :

-هنيئا لك عزيزتي أرجو أن تتمتعان حقا
بعطلتكما ،لازلنا نذكر بالأمر

أمسكت فيفيان بكف إيما مشجعة لها:

-فكري بباريس وشاعرية مساؤها وانضموا
إلينا

عبست وهي تراقب إقتراب المرأة منها

إنها مدام فيفيان

تتألق برداء زهري وعيناها تشعان بهجة

بصحبة زوجها المحب

وصغيرها ،وياللعجب يتقن دور الوقار الذي

تفرضه تلك المدرسة العريقة على أبناءها

اقتربت منها المرأة الأربعينية ودفعت بقبلتها

••••• افنته لوجنتها الشاحبة وهي تتنفس

الصعداء :

أجابها مرتاحا لتعرفها على صوته، كان
يحمل داخله عبأ تعريضها بنفسه فقد انقطع
عن الإتصال بها منذ زمن بعيد قائلا :
-نعم إيمان، إنه أنا السيد حافظ، كيف
حالك ؟

ردت بجمود ولا زالت تحمل بداخلها تساؤلات
عدة :

-بخير، كيف حالك أنت وكيف حصلت
على رقم هاتفي ؟

تنهد حافظ وقال لها :

أتنقر الهاتف لتطلب لقائه مرة أخرى وتروى
صحراء قلبها بقطرات عشق محرم؟
أم لتنهى تلك العلاقة المشينة حتى لا
تضطر يوما لمطالعة ماضي مخزمر بها في
لحظة جنون متعطش للانتقام أعمى؟!!

ورن الهاتف فنظرت إليه مذعورة

ردت بصوت متحشرج وأتاها صوتا مألوفا من
ماض قريب دهشت عندما سمعته وتعرفت
عليه على الفور فقالت بتعجب :

-السيد حافظ؟!!

تنهد وأجابها براحة عظمى :

-نعم أعرفه غدا بأذن الله نلتقى، أشكرك
عزيزتى .إلى اللقاء

••• وضعت إيما هاتفها إلى جوارها بإهمال ورجعت
بظهرها لتستند لوسادتها وما لبثت أن قفزت
مرتعبة عندما سمعت صوته يخاطبها
بخشونة :

-من يكون هذا الذى ستقابلينه غدا ؟

نظرت له حانقة وهى تندفع بإتهام :

-هل أصبحت تتصنت على الآن فريد ؟

-بأحسن حال ،لقد حصلت على رقم هاتفك
من مساعدتك بعدما أبلغتها أنه أمرا هاما
هزت إيما رأسها وهى تقول :

-حسنا لا بأس ،وما هو هذا الأمر الهام ؟

سعل حافظ بقوة وقال بعدها :

عفوا ،لا يمكننى التحدث الآن إنه أمر هام
وكم أرتب فى لقاءك فهل تمنحى عجوزا
••• مثلى تلك الفرصة ؟

أجابته على الفور :

-نعم ،نعم بالتأكيد ما رأيك فى الساعة
••• الثالثة بمكتبى بالتأكيد تعرف العنوان

فقالت صارخت به ولم تعباً أن يسمعها احد
الخدم :

-والا ماذا فريد :أقدمت على إغتصابى من
جديد ؟

ربما سمعها أحد الخدم أو ربما سمعوها جميعا
ولكن الأكيد أن جميعهم قد وصل لأذانهم
صوت الصفعة التى استقرت بعنف على
وجنتها

حتى أنها ألقته أرضا

وقف يرتعش وهو يلعن انفلات أعصابه وبقيت
هى أرضا ترتعش غضبا وقهرا وكمدا

دخل وأغلق الباب بعنف وجلس بعجرفة على
المقعد المقابل لفراسها الوثير وهو يضع ساقا
فوق الأخرى ثم قال بصرامته وهو يحدق بها :
-فقط أجيبنى

نظرت له حانقة وقامت واتجهت نحو الباب
وفتحته :

عد أدراجك فريد لا طاقة لى لمجادلتك
•••شعر أنه يشنط غضبا فقام وجذب ذراعها
بقوة وهو يكاد يصرخ بها :

-كفى عن المراوغة والجدال وأجيبنى

وبعد دقائق كان ساقبها تتسابقان على
الدرج الفاخر نحو الخارج وسماء إبريل تنذر
بمطر ثقيل لتودع المدينة به فصل شتاء
قارص

.....

أين يمكن أن يكون في تلك الساعة يا ترى
شركته تغرق في ظلام دامس وهاتفه
لا يجيب

سارت نحو سيارتها بخطوات بطيئة وجلست
خلف المقود تبكي من جديد
تشعر بالوحدة والفقدان

حاول أن يقترب منها ويرفعها فدفعته بعيدا
عنها وهي تصرخ به:
-ابتعد عني ولا تلمسني أيها الحقير
نظر لها غاضبا وانصرف بخطوات ملتهبة نحو
غرفة مكتبه

الدموع تتسابق على وجنتها وحاجتها لحضن
دافئ يضمها ويخفف عنها تتعاضم

••• صورته ترتسم بخيالها قامت ونظرت إلى
هاتفها فغيرت ملابسها بسرعة قبل أن تجبن
وتراجع عن قرارها المجنون بالذهاب إليه

بفراغ يكاد يبتلعها دون رحمة

أدارت السيارة من جديد بسرعة بطيئة بعض
الشيء حتى اصطدمت عيناها بدراجته
البخايتة خارج أحد المقاهي أوقفت السيارة
على الفور وخرجت منها بخطوات سريعة
واقتربت من واجهة المقهى الزجاجية رآته
برفقة تلك المرأة ورجل آخر يتناولان العشاء
وقفت تراقبه تحت الأمطار لاحظت كيف
يعانق شعره مؤخرة رقبتة بلطف وكم هو
عريض منكبه

وشعر هو الآخر بعيون تراقبه فالتفت علي
مهل وكله ثقة أنها تخص إحدى حسناوات
المقهى حتى طالعها هي

تحت المطر بكنزة بيضاء واسعة وسروال من
الجينز وشعر التصق بجمعتها
فكان شكلها أقرب لطفلة ضعيفة

ترك فنجان قهوته في الحال واندفع نحو
الخارج بعد أن استئذن من أصدقائه بعجلة
فالتفتت جيبي ولمحتها هي الأخرى وظلت
تحديق بهما حتى عجزت عن المراقبة بعد أن

رأته يقف متصلبا أمامها والأخرى تدفع
بنفسها لإحضانه

وعندما يقتحم الليث فلا مفر له من الخضوع
والإستسلام

رفع ذراعيه يجذبها نحوه وهو يربت على
ظهرها ويستمتع لشهقاتها ونحيبها واعتذراتها
المتكررة وهو يقول بحنان :

-اهدئي ، أنت الآن بأمان

تشبثت به أكثر

وتشبثت بأمانه أكثر وأكثر

وحملها فوق دراجته وأطاعته صامته وانطاع
بها نحو منزله

أحضر لها ملابس جافتة وتركها لتغير
ملابسها وذهب إلى مطبخه يبحث عن أي شيء
يقع تحت مسمى غذاء

لم يعثر إلا على عبوة لبن تأكد من
صلاحيتها ومسحوق كاكاو فاخرأهداه له
أحدهم

بدلت ملابسها بقميص أزرق يعود له يصل
لركبتها وإن قضت على مخزون الثلاجة في
قصر فريد فلن تملئ إلا نصفه أو أكثر
بقليل

رفعت أنظارها له وابتسمت بخجل:

-لم يكن عليك

دفع لها بالكوب وهو يقول هامسا :

-إشربيه الآن إنه دافئ

قربت أنفها من الكوب وقالت بتمتع وابتسامته
عريضة:

-هممم شراب الكوكو خاصتى ،كيف..؟

ثم صمتت وهى تنظر له بإمتنان:

-إنه شرابى المفضل لم اتناوله منذ سنوات

ابتسم ساخرا وهو يقول :

وجلست تنتظره على الأريكة الصوفية

المريحة وهى تطالع غرفة معيشته

الفضى الخلاقته

مصطلح قرأته فى إحدى الكتب ذات مرة لم

تفهم معناه فعليا ولكنها تجده ينطبق على

تلك الغرفة بالتحديد

اقترب منها بخجل شاعرا أنه يقتحم خلوة

ملكة متوجته والحراس ينتظرون ليفتكون

به إن اقترب منها

وكيف لا وهى تبدو بقميصته كيكلوباترا

وهى تجلس بحمامها الذى يتوسط أمواج البحر

وأكثر نحو كفه الرحب الذي ظل يعبث
 بمجون بخصالاتها المتموجة القصيرة
 وضعت الكوب بعدما شعرت أنها فقدت
 السيطرة على أعصابها وحاولت الهرب من
 نطاق لمساته المثيرة قائلته بصوت خافت :
 -ليث ، أنا ..

أسكتها بقبلته دافئة أعلى رقبتها وهو ينثر
 المزيد على وجهها وهو يهمس لها :
 -أنت تدفعين بي نحو الجنون ، تقترحين
 خيالي في كل مرة وتعبتين بسلامة دقات

-ألا تجيد خدمات قصرك صنعه ؟
 تناولت رشفت منه وهي تقول بأسف :
 -لم أعد طفلة

رفع خصلته شعر شاردة أخفت جانب وجهها عن
 ناظريه وهو يهمس لها :

-بلى ، جميعنا نكبر لكن نظل بالنهاية
 أطفالا بحاجة للإعتناء والدلال

ارتعشت أناملها المحيطة بالكوب بإحكام
 جراء إقترابه الدافئ ولمسته الحانية ورفعت
 أنظارها تحديق به وهي تميل برأسها أكثر

فقام متسللا وجذب الستائر ليرسل أشعة
الشمس بعيدا فلا تصل منها سوى انعكاسات
خفيفة وخرج ليعد فطورا يليق بكليوباترا
خاصته

توست محمص مدهون بزبدة غنية وكوبا من
القهوة الساخنة وزهرة إقحوان إقتطفها على
عجالة من حديقتة منزلة وضعتها في مزهرية
بيضاء صغيرة

حمل صينية الطعام وسار حافيا مرة أخرى
نحو غرفة النوم

كانت قد استيقظت وجلست تحت الشراشف
تنظر بخجل لملابسها الداخلية الملقاة

قلبي وتخطفين أنفاسي فلا تتركي لي مجال
لي سوى أن أتنفسك لتفعلي بي المزيد
ولم يكن بحاجة لقول المزيد

لقد شعرت بنفسها وهي تنهار وقلبها يصرخ
طربا بهذا الإنهيار

هذا ما انتظرتة وماتاقت له منذ زمن بعيد

اقتحمت الشمس السماء بعد أن منعها ليل
طويل وأمطارا غزيرة وبسطت سيطرتها على
الأرض الرطبة

وكذلك فراشه ليستيقظ في الحال ويطالع
السموات الفاتنة التي ترقد إلى جواره

نظر لها وأدرك أنه إن منع أشعة الشمس من دخول الغرفة فلن يستطيع منع أشعة الذنب من السطوع بداخلها وضع الكوب إلى جواره وقام بهدوء وأمسك بكتفها وهو يرفع ذقنها نحو الأعلى لينظر في عيناها وهو يقول :
-أعلم ماتمرين به ،ولكن من يملك أمر نفسه إن وقع تحت وطأة سلطان الهوى
ولكن ليس بيدنا أن نمنعه ،لقد حاولنا وفشلنا ،وهذا ليس بذنب
هزت رأسها وهي تعلم تماما أنه مخطيء
ولكنها كانت بحاجة لتبريراته فعقلها لم

باهمال على الأرض جواها وقميصه الذي مزقه

دخل للغرفة وهو يبتسم لها إبتسامته المهلكت ووضع الصينية أعلى الفراش وحمل لها كوب القهوة أولا وهو يقول بسعادة بالغة :

-صباح الخير كليوباترا

تركت الفراش بخجل وهي تلتحف بالشراشف لتلتقط ملابسها من على الأرض وهي تقول بعصبية ساخرة :

كليوباترا !!؟

بعد أن تناولت فطورها بعد إصرار منه
لتشاركه طعامه ، حملها مرة أخرى فوق
دراجته نحو سيارتها التي تركتها أمام
المقهى عادت إلى القصر وحمدت ربها أن فريد
لم يكن بانتظارها

اتجهت نحو غرفة ابنها فوجدتها خاوية
فنادت بأعلى صوتها على الخادمة التي أتت
مسرعة فسألتها بإنزعاج :

-أين سيف ؟

هزت الخادمة رأسها وهي تقول :

يستطع أن يفعل المثل ولا حتى صفقة فريد
لها كانت كافية

إنها فقط تمنحها سلوان أنها لم تكن لتذنب
لو لم يعاملها فريد تلك المعاملة المهينة
القاسية

تحررت من أسر كفيه المحيطتان بكتفها
وهي تسأله :

-أين الحمام إذن ؟

ابتسم لها وأرشدها لمكانه وعاد ليجلس على
فراشه في إنتظارها

قائلا بهدوء وهو يلقي بقلمه المذهب باهتزاز
على سطح مكتبه الأبنوسى الضخم :

-لتكن تلك فرصة له بالتعود على الأمر
منذ الآن فصاعدا إذن، طالما أن أمه قد قررت
فقدان صوابها والصراخ كل ليلة بل والمبيت
خارج المنزل أيضا

وكان ذلك عقابها

حرمانها من طفلها حتى تعود لصوابها
شدت قامتها ورفعت رأسها بكبرياء وهي
تستعد للإنصراف فقال مقاطعا بصرامته:

-أرسله فريد بك منذ الصباح لمنزل عمته
فى الريف

عقدت حاجبيها غاضبة وصرفت الخادمت
واتجهت نحو غرفتها وأبدلت ملابسها ثم مرة
أخرى نحو سيارتها لتنطلق لمقر شركة
زوجها العنيد

واقتمت غرفة مكتبه وهي تقول :

-أنت تعلم أنه يكره المبيت فى منزل عمته
لم أرسلته ؟

صرف فريد مساعدته القديرة بإشارة باردة
وهو يرفع أنظاره نحو زوجته الشابة الغاضبة

ودفع له بوثيقة تسجيل دخول وخروج
وشيكاً مدفوعاً باسمها ليلية الماضية بأحد
الفنادق الفاخرة

نظر فريد للأوراق عاقداً حاجبيه وقال :

-هل تحدثت مع أحدهم ؟

هز شريف رأسه نافياً :

-كلا، تسجيلات الفندق لا تشير لمكالمات
هاتفية خارجية ولكن بالطبع هناك
هاتفها الخلوي الذي أعمل على معرفته هويته
من تحدثهم ولكن هذا الأمر سيستغرق وقتاً
بالطبع

-إلى أين إيما ، لم تنتهي بعد من حديثنا

التفتت له وهي تفتح الباب :

-أنسيت أن لدى موعد في الثالثة

وخرجت تاركة الباب مفتوحاً على مصراعيه

وبعد قليل اندفع رجله المخلص "شريف

البدرى" فسأله حانقاً :

-هل علمت أين كانت ليلية أمس ؟

رد الرجل بهدوء واثق :

-باتت ليلتها بالفندق

هز فريد رأسه وهو يقول :

-أنا أثق بك شريف

قام الرجل من مجلسه وهو يقول له :

-إطمئن سيد فريد

ثم انصرف تاركاً فريد ينفخ غليونه بهدوء

سطحي

ولكن من أين له بالطمأنينة

الفصل العشرون

توقفت يده أعلى رباطة عنقه وهو يطالع

صورته البائسة في المرآة

ماذا جرى له ؟

ومتى توقف عن اللحاق بالزمان ؟

خط الشيب رأسه ووهن عظمه وقلت حيلته

شعر بان نهايته قد اقتربت

لم يشعر بخوف أو برهبة

بل راحة مخلوطة بقلق لمن يهتم بشأنهم ولا

يهتمون له

سهى الصغيرة،

زارها بالأمس

هاله شحوب وجهها وضعف بنيتها

وأكثر ما هابه قوة بأسها وصلابته

تتمسك بالحياة رغم مرضها

أكثر من أمها

سؤال قلق عن صحتها و عما تشعر به الصغيرة

أفترت عنه شفتيه

فابتسمت له بوهن وهي تقول:

- وأحب عمري لأنى أخجل من دمع أمى إذا ما

مت

فكيف بضناة لاتزال تبتسم رغم المرض

والألم أن يخذلها

رغم هول ماتطلبه منه أمها ؟

دمعة فرت من مقلتيه

تلاها طوفان

أهكذا يظنها أن تركع وتستسلم له من
جديد

هي تكرهه

مجال أن تستمر بالعيش معه
ستتخلص منه وتسترجع ابنها

لكن أولا عليها أن تؤمن نفسها من بطشه

لقد أهملت عملها الفترة الماضية

وأن لها أن تستأنف نشاطها

كليوباترا يجب أن تمسك بزمام الأمور

وأنطونيو خاصتها عليه أن ينتظر

ليس حزنا على الصغيرة إنما على قلة حيلته
رغم السنون التي مرت عليه مودعت

لا أكثر

ضاع عمره

ذهب هباءا

لا لشيء

لا لحب

ولا لوفاء

.....

أهكذا يظن نفسه يعاقبها

رفعت إصبعها لتأمرها بالتقدم من مكتبها
الذى يتوسط أرض الطابق العلوى
وهى تقول :

-هات ما عندك سارة

وضعت سارة كما لا يستهان به من الأوراق
وهى تقول بنبرة لاذعة :

-لدينا عمل متأخر

حدجتها إيما بنظرة ناريت فشحبت وأردفت
بتوتر :

-عفوا ، أقصد أوراقا تحتاج لمراجعتك كما
أن السيد حافظ بانتظارك بالأسفل

من أجل المال فقط تزوجت الإمبراطور
والمال وحده هو القادر على أن يؤمنها بطشه
أزعجتها طقطقات كعب مساعدتها وقطعت
حبل أفكارها

وأثارت داخلها إستياء من إنفرادها بطابق
بأكمله دون باب!

وأقرت داخلها بأن هذا ما يحدث عندما تجمع
••••• الحواس دون رابط العقل

وقضت مساعدتها أعلى الدرج فى إنتظار إشارة
منها لتتقدم وقالت :

هل تسمحين لى سيدتى ؟

حاولت تذكركم من الزمن مر على اخي
لقاء لهما ومتى كان ؟

وعادت لها الذكرى

كان صباح اليوم الذي تلى حريق شقتي
جدتها ، أمضت تلك الليلة بشبه عراء بين
أقسام المطافىء والشرطت

ذهبت إليه بساعات الصباح الأولى

لم يكن لها عائل أو سند

لم تذهب له لطلب المال

ولكن طمعا في مؤازرة معنوية ،

بدأت إيما بمطالعة الأوراق عابسة ،

تبا . لقد أهملت عملها بالفعل

وكوراث على وشك أن تقع

بسبب لوثة الجموح التي أصابتها مؤخراً

فقال شاردة بآلية:

-دعيه يصعد وامنحيه عشر دقائق فقط ثم

اصعدى لصرفه

خطوات متهلته ذات بأس ضعيف صاحبت

طقطقات كعب سارة الواثقة وظهر بشحمه

ولحمه بعد سنوات عدة

كانت تشعر بالقنوط لحد الرغبة بالعودة
لأرض الدير

رغم سنوات قضتها فى إشتياق لمغادرتة
ظنت أنه سيرفض،

وأن البديل المقترح أن تعود هى لقصر عائلتها
التي طالما نبذتها دون ذنب إقترفته
ولكنه لم يفعل هذا أو ذاك

فقط إقترح عليها اسم لإحدى الفنادق
لتمضى ليلتها به واضعا فى راحة يدها حفنة
متوسطة من المال تكفيها رمق أسبوعين
على أكثر تقدير

فغادرتة وداخلها غصّة تقتلع أنفاسها إلى
عملها متأخرة

ووجدت فريد بانتظارها فى مكتبها الصغير
مما أثار خوفها أن تخسر عملها عنده هو
الأخر فتصبح فى الشارع بلا مأوى أو عمل
يؤمنها

فتفاجئت بمعرفته بأمر حريق شقتها

ولكنها رجحت فى الحال أن يكون حافظ
هو من أخبره

وأكثر ما تفاجئت به هو عرض الزواج البارد
الذى سطره لها فريد فى كلمات معدوده
تكاد تتذكر بعض مفرداته

وريث ،

إسم حامل اللقب ،

فريد خيرت،

وريث آل خيرت

النهاية كانت،

أنها لم يتبق لها شيئا

فوافقته

أبلغته موافقتها فى التو واللحظة وقد كان
تزوجت من فريد خيرت
الإمبراطور البارد

لن تستطيع لوم حافظ يوما على هذا القرار
ولكنها فى ذات الوقت لم تستطع مسامحته
وعلى الرغم من ذلك بقيت له مساحة
صغيرة فى قلبها

تلك المساحة التى أمنت له موعدا اليوم مع
زوجة الإمبراطور لمدة عشر دقائق لا أكثر

أشارت له بالجلوس بشبة ابتسامته وهي
ترحب به :

-مرحبا ، سيد حافظ كيف حالك ؟
مد يده ليصافحها وهي يتصبب عرقا رغم
برودة أجواء مكتبها المكيف :

-أنا بخير إيما كيف حالك أنت وكيف
حال الصغير ؟

• طعنته أصابت صدرها لدى ذكره لصغيرها
الذي حرمت منه هذا الصباح فد عكت
جبهتها وهي تقول بلهجة باردة كصقيع
قلبا :

-هو بأحسن حال ، كيف أستطيع خدمتك
سيد حافظ ؟

لوهلة ظن أنه سيفقد رباط جاشته ولكنه
سرعان ما استطرد قائلا :

-عادت عائلتك لأرض الوطن
رفعت حاجبيها بدهشة وقالت :

-أية عائلة ؟

هم حافظ بتوضيح فقطاعته بنفاذ صبر
وعصبية شديدة وكأنما وجدت متنفس
لغضبها الذي يحترق بداخلها منذ زمن قائلته :

ثم ضاقت حدقتها وهي تقول :

-هذا هو الأمر إذاً، فقدوا المال ويرغبون
باستعادة الابنة الضالّة طمعا في مالها. أليس
كذلك ؟

فكر حافظ بأنه أسوء من ذلك بل طمعا في
قطعة من جسدها
فقال بهدوء :

-لا ، ليس الأمر كذلك ، نعم أحوالهم
المالية ليست مزدهرة كالسابق وهذا بسبب
مرض شقيقتك الصغرى والذي يكلفهم
آلاف الجنيهات

-أنا أعلم عن تتحدث وبصراحة أنا لا أهتم
، ثم أعلم بأمر مغادرتهم للبلاد ولا يعنني بأى
أرض يستقرون ، فعائلتي الوحيدة زوجى وابنى
سيد حافظ

قال حافظ محاولا تهدئتها :

-ولكن إيمان هم من أفراد عائلتك بنهاية
الأمر مهما اختلفتم

فقاطعته بإبتسامة ساخرة :

-ماذا قلت ؟ إيمان ، تذكر اسمى جيدا ونسيت
أنهم هم من نبذونى ولأجل ماذا ثروة أمتلك
اليوم أضعافها ؟!!

فقال ليقاطعها :

-إنها مريضة للغاية إيما وأنت تحملين الأمل
بشفائها

رفعت له الشيك وهي تقول بهدوء بارد:

-حسنا سيد حافظ، هذا لأجل العائلة، أبلغهم
تحياتي أو لاتفضل

لم يمد لها يده وهتف بشجاعة قبل أن
يفقدها :

-الأمل بشفائها متبرع بالكلى وأفراد العائلة
وحدهم من يستطيعون إنقاذها من الموت
شاهدة ونهى، الإثنتان لا تتطابق فصيلة

ثم رفع بصره لمشهد السماء خلفها وطالع
السحب المتكاثرة الرمادية كحاله وأردف
بقنوط :

- ولكن الأمر يعد و ثروة ضائعة، الأمر أصبح
حياة أو موت، شقيقتك ستحضر عما قريب
إن لم تجد من ينقذها من هذا المصير

عقدت حاجبيها عابسة وداخلها يلعنه، ألا
يكفيها ما تشعر به من الذنب ليأتي ليحملها
المزيد هو الآخر

سحبت دفتر شيكتها وهمت بسطر مبلغ
خرافي فقط لينصرف ومعه ذنبه الذي يود
البلدانه على عاتقها

-آسفة سيد حافظ، هذا كل ما أستطيع فعله
وظهرت مساعدتها سارة أخيرا فأردفت قائلة :

وكما ترى مساعدتى القديرة قد سعدت
لتوها لتبلغنى بالمعاد المنتظر

نظراته اليائسة أطلت من مقلتيه لم يكن
يتوقع تجاوب فعلى منها ولكنه لم يتوقع أن
تكون بتلك القسوة

فترك الشيك مكانه

والتفت لها قبل أن ينصرف بخطوات متكسرة
:

-فكرى بالأمر إيما

دمهم معها ،أنت الوحيدة التى تنطبق فصيلة
دمك ودمها ،ففضيلة دمكما نادرة
كوالدك رحمه الله

أسقطت يدها وتجمدت عيناها وتباطئت وتيرة
أنفاسها وقالت بهدوء قاتل :

-من أين لك بتلك المعلومة عن فصيلة
دمى ؟

أطرق برأسه وهو يقول :

-من أوراقك الطبية المسجلة بالدير

نظراتها القاتلة أجمته وهى تمد يدها له
بشيك قائلة :

وبعدھا بدقائق معدودة تصاعد صرير عجلات
سيارتھا الرياضیة لتعلن عن انصرافھا المدوی
تلاطمت الريح اعلی رأسھا وتتنطایرت خصلات
شعرھا القصیرة وهی تقود بسرعة
الیوم تذکروھا ،

تذکروا أن دما یربط بینهما
ولهذا الدم أرادوھا

أین كانوا یوم أن باقت لیلتها بالشارع؟
أین كانوا یوم أن مضت عقد بیع نفسها لفزید
؟

أخرجت من حقیبتها علبة سجائرھا الذهبیة
الرفیعة وسحبت واحدة بأنامل ترتعش غضبا
صبتھ فی الحال علی سارة وهی تقول لها
بعنف :

-أین كنت؟ ، أخبرتك عشر دقائق فقط

حاولت سارة الاعتراض قائلة :

-وقد كان- لقد صعدت ،

••• هم تمکنها من إكمال جملتها وصرخت بها
وتنفس دخانها فی الهواء :

-إذهبی الآن

تسارعت العجلات وأختلفت الطرقات وغابت
 زحمة المدينة والفضاء الشاسع فوقها خاوى
 كقلبها وهى تفتقد صغيرها للغايّة

تفتقده لحد الجنون

هو وحده من ملء القلب الخاوى

حتى لو ضاع القلب

سيبقى هو مرساته

وصلت أخيرا لقصر آل خيرت الذى يقع على
 أطراف البلدة يحطه اللاشئ

أرض شاسعة لا متناهيّة خاوية خضراء
 ودرجات حجرية من عصور سابقة متفرقة

أين كانوا يوم أن أنجبت طفلها وحرمت منه
 اليوم بعد أن أضناها الحرمان وقسوة وبرود
 زوجها ؟

فليعودوا إلى ما كانوا عليه

نسيا منسيا

يربطهم اسم لا أكثر

والدم هى نسيته أمره كما تناسوه يوما

لم يعنهم كيف تكون حياتها وهى وحيدة
 دونهم

فلم تهتم هى اليوم بموت أحدهم !!؟

وكرهتها أكثر عندما أنجبته
 لم يكن لها زوج ولا ولد
 عاشت بمفردها في هذا المنفى
 حتى أتمت الستون العام الفاتت
 خصلات شعرها الرمادية تعلن بغرور أنها لا
 تأبه لمكيدة الأيام بها
 وأنها ستبقى شامخة كإسمها
 فريدة خيرت
 المرأة الوحيدة التي كانت بحياة القيصر ،
 إلى أن ظهرت اللعوب الصغيرة واحتلت مكانها

مدفونة في الأرض وكأنما نحتت فيها تقودها
 لتلته متوسطة عاليها شيد القصر ذو الطابق
 الأوحده
 تماثيل إغريقية على جانبي الدرج المتعرج
 بعضها مكسور وآخر لا زال بحالة جيدة
 لا تعلم إن كانت أصلية أم هو بذخ القيصر
 يسطره في أي مكان
 الشمطاء كانت بانتظارها أعلى الدرجات
 تنظر لها من علياء
 تكرهها منذ اليوم الذي أعلن فيه فريد أنها
 زوجته لتنجب له الوريث

وعندما وصلت إيما لأعلى الدرجات كانت فريدة قد أولت لها ظهرها وهي تقول باستعلاء :

-لم أتيت ؟

لم تعيرها إيما إهتماما فهي على مر أيام مرت ومواقف إحتكت بالشمطاء فيها

علمت أن تجاهلها أمرا ناجحا وأن تتصرف كأنها لا تهابها ضريبة لا بد أن تدفعها وليس رفاهية

فقالت ببرود وهي تتقدم نحو الباب المعدني

العريض

-أنا لم أت لزيارتك فريدة ،لقد أتيت لرفوف
إبنى

فردت فريدة على الفور بلهجة لاذعة :

-ولو أتيت لزيارتي لما حزت على هذا الشرف

تفاضت إيما عن تلك الإهانة المبطننة فليس من الذكاء إعلان الحرب وهي بمكمن الخصم وتقدمت خلف المرأة بهدوء

كان صغيرها يخضع لإحدى حلقات درس البيانو التي يصمم فريد عليها

لا بد أن فريد أعد كل هذا مسبقا

- آل خيرت لا يحظون حتى باللهو دون نظام
 ولحسن حظها إنتهى ابنها من الدرس وما أن
 رفع رأسه ورأى أمه تقف قبالة عمته القاسية
 حتى ترك معلمته وجرى نحوها بخطوات
 واسعة وارتمى بأحضانها
 وجثت هي في الحال على ركبتيها وهي تقبل
 كل موضع من رأسه وجسده
 ووقفت فريدة تراقب هذا المشهد وعلامات
 التقزز التي أنارت وجهها تشير الغثيان
 فقالت لتقطع عليهما تلك اللحظات المليئة
 بالمشاعر المبهجة وهي تنهر الصغير :

أو أن الإمبراطور كعادته يأمر فيطاع في
 الحال

رفعت لها فريدة حاجبا منمقا وهي تقول :

- كما ترين سيف يحظى بالعناية والاهتمام
 الكامل، دروسه التي فاتته سيستطيع اللحاق
 بها هنا.

عبست إيما وهي تقول :

•• لقد إنتهى وقت الدرس .وتلك هي عطلة
 الصيف

سطرت عليها فريدة إحدى قوانين آل خيرت

تقول :

- اذهب لوداع معلمتك أولا سيف وأنا
بانتظارك عزيزي

رفعت لفريدة نظرة مستنكرة باحتقار شديد
:

- تذكرى بأنه طفل وليس ماكينة كآل
خيرت

ارتسمت علامات الإستنكار على وجه فريدة
وتركتها بخطوات مترفعة نحو الأعلى
وعندما إنتهى سيف من وداع معلمته إرتقى
بأحضان أمه وهو يقول :

- أنا سعيد أنك حضرت لإصطحابي للمنزل

- لا ينبغي لك القفز هكذا مرة أخرى
وكان عليك الإستئذان من معلمتك قبل أن
تنصرف وتتركها عد إلى مكانك وقم
بالتصرف الصحيح

رأت إيما نظرة الخوف تطل من أعين صغيرها
وهو يطالع وجه فريدة الذى إستحال للسواد
كساحرة شريرة وداخلها يستنكر

"يا إلهى حتى أشد معلمات الدير لم تكن
بتلك القسوة"

ولكنها رغم ذلك حثت ابنها على حسن
التهذيب قائلته له :

ترقرقت الدموع بعين صغيرها ولكنه
تماسك برباطة جاش تعجبت من امتلاكه
لها وقال :

-هل تعديني ؟

أيقنت أن رباطة جاشه منبعها ثقته بها
كما وثقت يوما بأبيها بأنه سيعود
لإصطحابها

وستكون ملعونه ألف مرقة إن أخلفت وعدها
وتركت صغيرها يعانى

ألم أنه لم يكن جيدا بما يكفى لتحافظ
أمه على وعدها معه

هل ستخونها شجاعته الآن ؟!

أم تفر بصغيرها بعيدا .

والى أى مدى تستطيع الإبتعاد حقا ؟

بداخل عقلها ترسم خطة للنجاة بهما

ولكن لا بد من تقديم التضحيات حتى تنجح

أمسكت بكتفى صغيرها وهى تنظر إلى

عمق سواد عينيه قائلة :

-لا سيف ستمكث هنا لبعض الوقت وأنا

أعدك أنتى سأعود لإصطحابك لمنزلنا

قريبا

ارتمت بأحضان الصغير وهي تشهق :

-أعدك ،ثق بي

.....

وعادت أدراجها

عادت وهي تلعن أبيها وجحوده مرة

وفريد وبروده قلبه مرتين

وقلبها عشرين مرة

ونفسها الخاطئة ألف مرة ومرة

ومرت الساعات بعدها عليها وهي مكانها

تبرحه أمام نافذة مكتبها الواسعة

تطالع مغيب الشمس كأنها تراه لأول مرة

من يراها يظنها ساكنة هامة ولكن داخلها

حريق مشتعل أتى على كل شيء

أتى على المنطق والأخلاق التي تربت عليها

أتى حتى على حس الذنب الذي كان ينبض

بداخلها

عمليات شراء صغيرة بثمن بخس لأسهم

شركاتها

لحساب بنكى مجهول فى احدى جزر
الكارىبى

بعيدا عن سطوة فريد ونفوذ

حتى تستطيع السيطرة هى على رؤوس أموالها
يوم أن تترك فريد خلفها

سيعود كل ما تملكه له وستخرج من حياته
كما دخلتها أول مرة بحقيبتة ملابسها مع
فارق بسيط وهائل فى الوقت ذاته

حساب مجهول سيؤمن لها حياة رغدة لها
ولصغيرها

تخلص هى من قيود تلك الزيجة الباردة

ومن سجن القيصر للأبد

وتنعم مع أنطونيو بحياة العشق السرمدى
بعدها

عدا أن كليوباترا فقدت أنطونيو وعرشها
وهى لن تكون بهذا الغباء مطلقا

مر أسبوعان وغيابها أصبح يفقده عقله
لم ترد على أى من مكالماته العديدة

وتتهرب دوما من لقائه

لماذا أتت إليه إذا ؟

شعر بالغضب يقتات منه

ولكنها اليوم عزمت على تجاهل طاقته
السلبية المنبعثة من جوانبه

لقد اشترى سيف المتجر وأجرت هي زاويته
القصوى لتبيع فيها الأزهار
تميمت حظ سيف

فهو صديق مخلص ويستحق تلك التميمة
الخالصة

قدر هذا المتجر أن يكون بيتاً للأزهار
فكرت وهي تصعد الدرجات نحو شركة
الليث

لم يعتمد مطاردتها بل هي من إقتحمت حياته
ليلتها

وتنبذه الآن !!

هو الليث ولم تجرؤ إحداهن على نبذه من
قبل

ووقفت هي تراقبه، تطالع صورته المنعكسة
على نافذة مكتبه والمدفونة وسط خيال
الأشجار القريبة منها

غضبه منبعه إحباطه الذي يتصاعد يوماً بعد
يوم جراء غياب الفاتنة

واليوم أنت لتخبره قرارها بإستقالتها

وارتسمت علامات الخيبة على وجهه وهو

يقول بغضب :

-حتى أنت تتركينى جيغى وتتخليين عنى

حاولت التحلى بالهدوء وبأنفاسها الإيجابية

نحو حياتها الجديدة وهى تقول بإستنكار

قام ونبرة التأنيب فى صوتها تقرعه :

-لست أنا من تخليت عنك ليث لم أفعالها يوما

ولن أفعال

طأطأ رأسه خجلا وهو يقول :

أزهاراً وملابس نسائية ناعمة ولا حاجة

للنساء لمكر الرجال وأذيتهن

،ولن تكون وحيدة بعد اليوم ستحظى

لنهاية عمرها برفقة الأزهار.

وستحل الشكولاته الغنية والمخبوزات

الطازجة مكان القهوة المرة

أحلامها البسيطة

••• وخيالاتها الجميلة

لحياة سعيدة

دونه

-آسف جيڃي ،لم اقصدا ان اقولها على هذا
النحو فقط أنت

قاصطه جيڃي وبهدوء قالت :

-سنبقى اصداقءاء لىث تلك هى ثروتنا
الحقىقة ولكن حىاتى اصبحت متعلقة بك
وحدك واظن اننى املك الحق بها دونك

هز راسه وهو يقترب منها وهو يمسك
بكتفها :

-نعم ،اعلم

اشارت لمستته داخلها طوفان هائل من مشاعر
الحب والارفة ،

اللعنة عليه لم تحمل لمستته تلك الكبرياء
القاتلة

الىوم أنت بشجاعة الاستقلال عنه

وشجاعته بدأت تخونها بالفعل

هى لا ترغب إلا بان تكون جزءا منه

تنصهر به وبكيانه

فيصبحان واحدا

لا واحدا وكسرىتبعه

ابتعدت عنه بخطوات عديدة هاربة منه ومن

نطاق لمساته الحارقة

ووقفت تنظر له وبأنفاس معذبة قالت :

أراك يوم الافتتاح ليث سيخبرك سيف
بموعده

بقي يحدق بالبقعة الخاوية التي تركتها
خلفها

إمرأة ترغبه بكل جوانحها ويرغب هو أخرى
بكل ما أوتى من قوة

هل تهزأ منه الأقدار أم هو قدره ؟

أن يرغب بما لا يستطيع الحصول عليه

.....

ساكنة

هادئة

وعادت لا تثير المتاعب

وهذا لا يطمئنه بشيء

أى شيء مطلقاً

يصر شريف البدرى رجله المخلص ،

على أنها عادت قد لسابق عهدا مع الجميع

لا تكل ولا تمل من العمل.

تقضى كل ليلة بقصره

لا ترى أحدهم ولا تواعد أيا من يكون سرا

حساء الطماطم الذى تكره مذاقه فقط
كى لا تمنحه بهجة إمتعاضها وهو من طلبه
خصيصا لعشاء هذا المساء
قال متعجبا :

-منذ متى تستسيغين طعم هذ الحساء إيما ؟
تركت المعلقة جانبا بعدما أنتهت من آخر
قطرة بطبقها

وقالت بهدوء يناطح هدوء القبور والكلمات
تنبعث من فمها كقطرات متمهلت :
-منذ أن علمت أنت بكراهيتى له

والأقسى من ذلك أنها تقبلت غياب الصغير
بهدوء تام
فقط نبهت عليه ألا ينسى موعد المعسكر
الصيفى الذى تقيمه مدرسة الصغير كل
عام

جالسة أمامه بلباس محتشم بلون أسود
كمزاجه

تتناول طعام عشائها بهدوء وبشهية متوسطة
تعلم أن نظراته تحوم فوق رأسها كصقر
ينتظر الإنقراض على فريسته ولكنها ظلت
صامدة تحت وطأة نظراته المستوحشة تتناول

التفتت له بإبتسامته باردة وهي تقترب منك
حتى اقتربت من كتفه وشفتيها توازي أذنه
وهمست بصحیح:

-أخباره تصلني أول بأول لست وحدك من
تملك مقاليد الأمور

ارتسمت إبتسامته متشفية على زاوية فمه

فلعبته القط والفأر التي إعتدتها مؤخرا
أصبحت تثير إهتمامه وقال:

-سنصعد لأعلى، لغرفتك بالتحديد ونرى من
يمسك بمقاليد الأمور إذاً

إن كان هدوء القبور يغلف مظهرها فنظراتها
كجحيم مستعر يكمن تحتها

تظاهر أنه لم يسمعها وقال ببرود :

-لدينا غدا ضيفا مميزا على طاولتنا العشاء
أرجو منك الإهتمام بقائمة طعامه

رفضت ببرود وقالت :

-أطلب من المدبرة الإهتمام بهذا الأمر فريد
••• فلدى أهم من قائمة طعام ضيفك المجهول

وهمت بالإنصراف لولا أن استوقفها قائلا :

-ألن تسأليني عن أخبار سيف ؟

تهديده أثار الغثيان لديها فاستقامت وقالت
بوقاحة :

-وذلك الأمر بالتحديد أنا أملك مقاليد
والفضل يرجع لعادتي الشهرية، تصبح على
خير عزيزي

ولكنه ليس بالسهل بالتأكيد

عدة مشترين بحسابات بنكية متوسطة
توحى لمراقبة هيئة الأسهم أنهم مستثمرون
جدد يسعون لأفضل الأسهم صعودا
يتقاضون أجرهم نقدا وأحد المحاميين
المغمورين يقوم بتسجيل عقود البيع
لصالحها وستعلن ملكيتها لتلك الأسهم في
اللحظة الأخيرة
فقط الأخيرة

الفصل الحادى والعشرون

جلست بمكتبها تطالع حسابات البنوك
السرية خاصتها

انتقلت كمية لا بأس بها من الأسهم
لملكيتها ولكن لا زال هناك المزيد

وعليها التحرك بسرعة وسرية تامة دون أن
يشعر بها فريد أو أحد أعينه الكثيرة

الأمر ليس مستحيلا

طالعت مساعدتها وهى تحمل باقته من زهور
الأوركيد الليليكية النادرة

وضعت سارة الباقته على سطح المكتب
والمكر يغلف أنظارها

فسحبت إيما البطاقة وعيناها تجريان على
محتوياتها ذات مغزى ،

هى وحدها من تعلمه ولكن لا مانع من أن
يثير الشكوك بمن يقرأها كمساعدتها
الخبیثة مثلاً

عن أى دعوة يتحدث !!؟

عندما تكون قد قدمت إستقالتها من مجلس
الإدارة وأعدت حقيبتها وتذكرتين للسفر
لبلد غير معلوم لها ولصغيرها
والمشتري منها موجود

صفوت بك خصم سابق أجبره فريد على بيع
شركته له بثمن عادل

ولكن حد الإنتقام يكمن فى حد الإجبار
فالإمبراطور سيدفع عاقبة غطرسته وغروره

أخرجتها رائحة زهور عبقت أجواء الطابق
الذى تسكنه من دوامة أفكارها

ترنعت رأسها متعجبة

واللوحة مختومة بشعار آل خيرت الذهبى

والتقت الأعين أخيرا

وتمكن من أسرها

فاقترب منها والتصق بها وهو ساكن فى

مكانه لم يتحرك قيد أنمله

برداء يقارب لون أزهاره غموضاً أحاط قدها

بإحكام عدا ذراعيها،

تمكنا من الضرار من طبقاته المملوفا

وانسدلا إلى جانبيها بحريته

هى من ذهبت إليه وهى من تتهرب منه من

ذلك الحين ،ولكن لوقت معلوم فأنفاسها

تحترق إشتياقا له ولصغيرها

فعن أى دعوة يتحدث !!؟

لم يطل بها السؤال طويلا ففى المساء كان

الجواب

بشحمه ولحمه يقف إلى جوار المدفنة

الرخامية بوسط غرفة الطعام يطالع لوحة

للعائلة السعيدة أعلاها

هى إلى جوار فريد تحمل ابنها الرضيع ذو

العام الواحد

وزينة وجهها هادئة وظلال عيناها دخانية
كلون رداثها وشفتيها مختومة بأقداح
الشامبانيا وخصلات شعرها قد استطالت

وانسابت بعنوية على جانبي فتحة صدرها
المربعة

وتصاعدت رغبة ملحة بداخله أن يجذب
تلك الخصلات الفجرية وينهل من كأس
شفتيها قبليات حتى تقرب بذنبها وتعدده ألا
تعود إليه مرة أخرى

وتوقفت هي عن التنفس

ونظرة عيناها ترجوه أن يدعها لحالها فسبح
له يوما

هز رأسه رافضاً وهم باقتراب عاصف

حتى توقف لدى ظهور الشبح ووقوفه إلى
جوارها

يشكره بكلمات منمقة على قبوله دعوته

إذا فالقيصر صاحب الدعوة

وكليوباترا خاصته لا زالت هاريت

رد بعنفوان الليث قائلاً :

-الشرف لى سيد فريد

جلسوا إلى طاولة الطعام

بالكاد لمست طعامها ،

أما فريد فكان يثرثر بحديث لا منتهى عن

المال والأعمال وأرض السياسة الخصبة

وليث ورغم جنون الضنان الذي يحيطه من

كل جانب

إلا أن آرائه المالية تقارن آراء فريد حكمة

وحنكة

قطع حديثهما ظهور الخادم يخبر السيد

بمكالمة طارئة،

فاعتذر فريد عن متابعة الحديث واستأذن

في الإنصراف بلباقة

وبقيت هي تجلس أمامه صامتة كحالها منذ

بداية السهرة

فقطع صمتها قائلاً:

- كانت مفاجئة ، تلك الدعوة

ردت هامسة :

- لكينا

فهمس بالمقابل وهو يقول :

- ولكنها سارة بالنسبة لي ، فماذا عنك ؟

ضحكت وفرت دمعته من عيناها فمسحتها
بطرف إصبعها فهمس لها بشوق توحش وحطم
أضلعه :

-اشتقت لكِ

مد يده وطرق يلمس أطراف أناملها واحداً تلو
الأخر

لمسته أحرقت الباقية المتبقية من أعصابها
وأشعلت الرغبة في جسدها وأرسلت إشارة
كهربائية سرت في عمودها الفقري
كسريان النار في الهشيم
فهمست بعذاب ترجوه :

رفعت إليه أنظارها وطلعته عيناها المعذبتان
وقالت بصوت أبح :

-أشكرك على الزهور

قال بحنان :

-هل أعجبتك حقاً ؟

هزت رأسها وهي تقول :

-إنها جميلة

لمعت عيناها بإطراء :

-لا يوجد في الكون من هو أجمل منك

-كف عن هذا

لم يكن ليكف أو ليتراجع لولا أن سمعا
كلاهما صوت خطوات فريد تطرق الأرض
الخشبية أسفلها بقوة فابتعد عنها بروية

اقترب فريد منهم وهو يقول :

-أنا في غاية الأسف سيد ليث ، طراً أمراً هام
وعلى الإنصراف الآن ، أرجوك ابق وأكمل
عشائك فزوجتي الجميلة ستكون
بصحبتك حتى نهاية السهرة وربما تمكنت
من اللحاق بكما

هو ليث رأسه بحرج وهو يقول :

-لا داعي للأسف سيد فريد سأكون أكثر
من سعيد للعودة في وقت لاحق

شد فريد على كتفه وهو يقول :

-لا ، أرجوك أنا أصر

وقبل أن يتمكن من الرد أو الرفض انصرف

فريد برفقة سائقت

وما أن ركب سيارته حتى قام بإتصال هاتفى
وهو يقول :

-لقد تركت القصر الآن قم باللازم شريف

شئ خاطيء يحدث

تلك ليست طباع فريد

لم دعاه !!؟

واى طارئ قد حدث ليترك ضيفه وينصرف

تلك سابقته ، لم تحدث من قبل

قامت واتجهت للشرفه لعلها تستنشق بعض

النسمات الباردة لتساعدها على صفاء ذهنها

والتركيز فى خطه فريد الجديدة

اقترب منها بخطوات بطيئه يراقب انفعالات

محياتها الجميل

لقد منع نفسه بصعوبته فى الفترة الماضيه

عن رسم وجهها

ولكنه قد يدفع عمره الآن ثمننا لأجل فرشاة

وصفحة يخط فوقها خطوط الألم والمعاناة

التي ترسم بعنقوان فوق وجهها

قالت وهى تنظر للسماء فوقها :

-إنه يعلم بأمرنا ولكنه يسعى للحصول على

دليل

أمسك برقبتها وجذبها نحوه وهو يهمس لها

بتوق وقد عصفت به مشاعره :

-لمنحنه واحدا إذا

وانسكبت أقداح الشمبانيا الوفيرة إثر

هجومه على شفتيها المكورتين

وبقبلت واحدة سطر معاناته وآلام هجرانها بها

وعقاب يتوعدها بالمزيد إن عادت

وسطرت بها حرمانها وضياعها وقسوة أيامها

دونه

وعقلها يصرخ بها كفى ستخسرين كلاهما

•• وتمكنت أخيرا من دفعه وهي تنهره:

-لا ليث، أرجوك

أمسك بخصرها وقربها منه وهو يقول بهمس

عاب :

-لم الخوف منه ؟

رفعت له عينا دامعت :

-ابني

تركها مرغما وقال متساءلا :

-لم أره الليلت

إرتدت للخلف ونكست رأسها هي تقول :

-أرسله بعيدا عنى عقابا لى

فاقترب منها ورفع ذقنها بإصبعيه وهو يقول :

-سنستعيده

صيغة الجمع أثارَت سخريتها في الحال وهي
تقول :

-وكيف سنفعل ذلك ؟

قال ببساطة :

-اطلبى الطلاق منه وسيف يعود لحضانتك
لا زال صغيراً

هزت رأسها مستنكرة وهي تقول :

-ليت الأمر بهذه السهولة ، إن كان يراقبنا
الآن فأنا زوجة خائنة ليث وقد منحته
الدليل

ارتسمت علامات الهلع على وجهه ولم يدرك
أى صنيع بانس إقترفه فدمدم قائلاً :

-إيما ، أنا آسف حقاً ولكننا سنجد حلاً

••• أرجعت خصلات شعرها الثائرة للخلف وهي
تهز رأسها وتقول بجمود :

-لا لن نفعل ، سأجد أنا حلاً ولكن عليك أن
تنصرف الآن

نظر لها وهو يطالعها وكأنما لأول مرة

سيدة الأعمال الباردة المختلفة كلياً عن
تلك الهشة التي كانت تحترق بين أحضانه
منذ لحظات قليلة

وغادر

ووقفت هي أعلى درجات القصر الرخامية
تودعه وداعاً رسمياً بارداً يليق بسيدة القصر
وبقى الآخر منتظراً بسيارته ثم رفع هاتفه
وهو يطالع أحداث الليلة الساخنة التي
قضاها العشاقان المعذبان على شاشة
كاميرته الحديثة وهو يخاطب سيده :

- سيد فريد ، لقد قمت بمراقبتكما ولم يحدث
بينكما شيئاً على الإطلاق ، تناول طعام عشائه
وانصرف منذ قليل
عبس فريد وهو يقول :

ولأول مرة شعر بالخوف والرهيبة من امرأة مرت
بحياته

وأكثر ما أرهبه هو عمق مشاعره نحوها والتي
اكتشفها منذ قليل

كان على وشك التصريح لها بحبه

نعم وقع بغرامها ولم يرهب الوقوع بالغرام من
قبل قدر خشيته أن يقع بيد من لا ترحم
قلبه

وهو الآن بات متأكداً أنها لن ترحمه

فهو مقابل ابنها

مهمل

فالشحنات التي كانت تحلق بأجواء تلك
الأمسية لم يكن ليخطئها أبدا

فقال له بصرامت :
- حسناً ، ولكن إبق عيناك مفتوحة على

الدوام
ابتسم شريف وهو يحفظ تلك الصورة
الثمينة وهو يقول :

-أمرك سيدي
.....

الخبر نزل عليه كالصاعقة ورغم ذلك
تمالك نفسه وهو يدمدم بعبارات مبهمة

هل أنت متأكد شريف؟، لقد غادرت القصر
لأترك لهما متسعاً من الحرية تحت أنظارك

هز شريف البدرى رأسه بمكر وهو يطالع
صورة لزوجته الإمبراطور وهي بأحضان
عشيقتها :

إعذرنى سيدي إن قلت لك أنك مخطيء
بشأن زوجتك الشابة الوفية، لم أكن
لأكذب عليك سيد فريد

قدر ما أراحه تصريح شريف له بوفاء زوجته
قدر ما أثار الريبة داخله ،

خبر وفاة مراد الذي لم يدهشه كثيرا فقل
كان مريضا لما يقرب من نصف عمره

ولكنه كان بمثابة رمانّة الميزان كما
يقولون

كان من يجمع بين فريد خيرت الرجل ذو
البأس الشديد وحافظ سليمان الذي لقبه يوما
بالمحامى الحنون لا يصلح إلا لكسب قضايا
الأرامل والمطلقات

واليوم أتاه خبر رحيل حافظ في صمت في
منزله بعدما قضى آخر أيامه وحيداً كما
كان دوماً

وضع الهاتف وأرسل في طلب مساعدته وما أن
رأها حتى قال :

-أخبرى السائق ليستعد للإنصراف للحاق
بجنازة السيد حافظ سليمان

هزت المساعدة رأسها وانصرفت لتنفيذ أوامر
رئيسها

وفي سيارته جلس يفكر

•••لموت أصبح يقترب منه أكثر فأكثر

حافظ يقاربه عمراً وإن كان هو الأكبر
بسنوات عدة

تدايته كانت منذ ست سنوات أو أكثر قليلاً

لم تشبه مراد وكانت بعيدة الشبه كل
الشبه عن أمها الراحلة

لم يصدف وأن رأى أمها ولكن صورة زفاف
والديها لم تكن لتغادر محفظة مراد حتى
في آخر أيامه

كانت كالعصفور أو أكثر رقت

ولكن من تجلس أمامه تمتلك بأسا وعزما
مكنها من مناطحته

وكانها تعلمت على يد الأفضل

لم يكن مستعداً لتدعها تغادره وترحل

ولم يكن أيضا ليغضرها إن أخطأت

ومدبرة منزله من إكتشفت وفاته هذا الصباح

ورجح الطبيب أن يكون قد رحل عن الحياة
منذ ثلاثة أيام على أقصى تقدير

توقفت السيارة أمام مبنى شركة زوجته
وترجل من سيارته ليصعد للأعلى متجاهلاً
جميع من مر بهم

حتى وقف أعلى الدرج يراقبها وهي تتحدث
لأحدهم على الهاتف بفرنسية خالصة

يشعر لكانما يراها لأول مرة

جميلة وبعق

لأنها ناعمة وبشرتها صافية كالأطفال

لذلك فهو يحكم القيد حولها واحداً تلو الآخر

مرت سنوات مراهقتها ودخلت في ريعان شبابها

وهو يعلم أن هذا اليوم لآت حتماً

ولكنه كان بالأنانية المطلقة ليمنعها من الرحيل

كان واثقاً دوماً من أنه سيفشل ويوماً ما

ستترك كل شيء خلفها وترحل

وجل ما استطاعه حتى اليوم هو تأجيل هذا

الحدث قد إمكانه

لربما يحظى برحيل عن الحياة وهي لا تزال
إلى جواره

طوع أمره وصواب بنيانه

واليوم وبعد خبر وفاة حافظ

كان على استعداد ليفعل أي شيء، ليقاقلها حتى

فهو لن يلقي نفس مصيره

جثة هامدة إكتشفها أحدهم بعد مرور أيام

على وفاته

أنهت إتصالها الهاتفى ورفعت أنظارها ببرود

نحوه وقامت واتجهت نحوه وهي تقول :

يالها حقا من مفاجأة

اقترب منها وهو يسألها :

-أسارة ؟

قالت بدبلوماسية :

-من ملامح وجهك أستطيع أن أخبرك أنها

للأسف ليست بسارة

هز رأسه وامسك بكفها برقة بالغة تعجبت

منها وقال :

-أنت محقة

حدقت بوجهه وعيناها تحاول سبر أغوار

فأردف بهدوء متعب:

-توفى حافظ سليمان والجنائز بعد ساعة

فكرت أنك قد ترغبين في مرافقتي

تجمدت مكانها وبقيت تحديق فيه حتى

تشابهت الرؤيا أمامها وقالت بعد برهة بصوت

أبح :

-ماذا قلت ؟

نظر لها ولم يصدق ردة فعلها وعلامات

الهيستيريا ترسم بجنون على ملامحها فقال

مهدئا من روعها :

-شششش، اهدنى ايما فالرجل قد تخطى
الستون

قالت بتهمكم لاذع وهى تصرخ:

-كذلك أنت، أيعنى هذا أن نهايتك قد
اقتربت أنت الآخر

وأخذت فى الهذيان :

-لقد كان فى زيارتى منذ أسابيع قليلة
كان يجلس هنا فى نفس هذا المكان
بالتحديد

وأشارت بيدها حيث موضعه مجلسه وهى
تصرخ :

-ورحل بعد أن خذلته ،لقد رحل

أمسكت برأسها بقوة فجذب يدها بعنف وهو
يقول :

•••-اهدنى ايما ،سيسمعك الموظفين ويظنون
أنك قد فقدت عقلك كلياً

ثم جذبها ونظر فى عيناها وهو يقول لها
ببرود :

-الناس يموتون ايما ويوما ما سأرحل أنا الآخر
أنا وأنت وستبقى أعمالنا من تخلد ذكرانا
،والآن إذا أردت مرافقتى فعليك التماسك
أمام الجميع

تماسكت ليس لأنها إقتنعت بحديثه ولكن
لأنها تكره أن يكون هو شاهداً على إنهاءها
دون الجميع ،

تكره أن يدرك لأي مدى هي هشة بالفعل
حتى لو تظاهرت بقوة الجأش وصلابة الرأي
مقابل رأسه العنيد

فهزت رأسها خاضعة وهي تقول :

- سأذهب أولاً للمنزل لتغيير ملابسى

هز فريد رأسه وكأنما صواب تفكيرها قد
أثار استحسانه قائلاً :

تابعك بسيارتى ونذهب سوياً

.....

الجنائز كانت هادئة باردة لحد بعيد

ربما كحياة العجوز الراحل

عدد قليل من حضر الجنائز وجميعهم كانوا
رجالاً يقربونه عمراً

نظرات متطفلة طالعتها

زوجة الإمبراطور وابنة صديقه المقرب

لا بد أنها تزوجته طمعا بماله لا أكثر

فأى امرأة قد ترغب رجالاً يكبر أباها عمراً

انتهت الجنائز وهاجس يرافقها طيلت الوقت

أحدهم يراقبها

والتفتت مرارا وتكرارا

ولكنها لم تعثر على عيون مراقبها

وعادت مع زوجها العنيد البارد لقصرهم

الخواوى

ودفعت بنفسها نحو الأعلى

استوقفها فريد مناديا :

-انتظري إيما علينا أن نتحدث

التفتت له قائلة بضجر بالغ :

-لا طاقة بي للحديث معك فريد فلنا جل

حديثنا ليوم آخر

صعد الدرج خلفها وجذبها نحوه وقال:

-بل الآن

نظرت له متشحا بالسواد كأفعاله فأطرقت

برأسها مستسلمة وأتبعته لغرفة مكتبه

دخلت وتولى هو مهمة غلق الباب وقال :

-الأمور بيننا ليست على مايرام فى الفترة

الماضية

نظرت له ساخرة وسطرت مفرداته مرة أخرى :

-إطمئن إنه عنفوان شباب إلى زوال،

وحد جته نظرة ناريت وهى تصب غضبها فوق
رأسه

فهو اللعنة التى أصابت حياتها ،سر نجاتها
وشقاتها :

-أليس هذا ماترغبه ؟

زوال حتى أصل معك إلى نهاية العمر

أقرب هوء معترفاً :

-نعم تلك رغبتى ،فهل ستحققينها لى ؟

ضحكة متشدقة خرجت من حنجرتها وهى
تصرخ به :

-وان لم أشأ، أجبرتني أليس كذلك ؟

لم يرهبه صراخها ولا جنون ضحتها وقال
بحكمة السبعون عاما أو مايقاربها :

-نعم ولن أكف عن المحاولة يوماً،بيننا
اتفاق إيما وأنا أطالبك باحترامه وبيننا
صغيرا

ثم اقترب منها وأطلت القسوة من عينيه وهو
يقول مهددا :

تظاهر بأنه لم يسمعها وأتبع ببرود :
 - سأتي بسيف غدا ولكن عليك أن تحسنى
 التصرف فى وجوده وفى غيابى أيضا
 لمعت عيناها بنديّة وهى تقول :
 - وان لم أفعل
 هدر فجأة وكأنه فقد تماسك أعصابه :
 - لن تفعلنى إيما هذا ليس بخيار، فريد خيرت
 لا يقدم تنازلات إن كنت نسيت كيف هو
 الحال فسيسدنى بالتأكيد إنعاش
 ذاكرتك

- وريشى الذى لن أسمح لأمه أن تضيعه، ولذلك
 أنا أعرض عليك هدنة صريحة
 القيصر يعرض عليها هدنة
 من عليائه
 ليضرض شروطه
 يريد من خلالها أن يبسط المزيد من نفوذه
 يرض عليها أحكامه من جديد
 رمت شفتيها وهى تقترب منه بدورها وأطعمته
 أنفاسها الساخنة وهى تخبره :
 - أنت مزر ومشير للشفقة

وهو يقول :

- وكيف سيكون ذلك ؟

ابتعدت عنه وهى تقول بسخرية عابثة :

- راقبنى

.....

صرير سيارتها المرتفع وصوت الحجارة التى
تنكسر تحت وطأته أخبرته بأنها قد غادرت
قصره لهذه الليلة والله وحده يعلم متى
ستقرر العودة

صرخت به هى الأخرى فلم تكن لتتحمل
المزيد من جنون غطرسته والى أى حد هو
عجوز بارد :

- أنا أكرهك، أكرهك ولا تظن أنك
تمتلكنى أبدا فأنا سأعيش حياتى حتى آخر
أنفاسى على النحو الذى أريده
نظر لها وخنجر كلماتها المسمومة
بكراهيتها يطعنه فى مقتل فهز رأسه ببطء

فرفع هاتفه وخاطب شريف البدرى وقد فقد
أعصابه تماما صارخا به :

-لقد غادرت منذ قليل لا أعلم إلى أين، أعثر
عليها

لم يكن به حاجة ليفكر أين يجدها في
تلك الساعة من الليل

لا بد أنها ذهبت للقاء عشيقها

••• وحسب معلوماته التي زودته بها مساعدة
حسنة حرص على أن تنال وظيفة بشركة
ليث الأعرس لتتنقل له أخباره أولا بأول،

فهو اليوم يقضى ليلته في حفلة لافتتاح
متجر صديقه المقرب

وبعد مرور دقائق معدودة أتاه اتصالا منها
ليؤكد صدق حديثه

،المرأة التي أعطاها صورتها يوما أتت للسؤال
عن رئيسها فهو لا يجيب أيا من مكالمتها
فأعلمتها بمكان تواجده في هذه الساعة
المبكرة من الليل

.....

وقفت ترفع شرائط الزينة لأعلى مستوى

فتركت شرائط الزينة ليهتم بهم ليث
وخاطبت سيف :

-سيف :ماذا تقصد بعرض حى ؟

أجابها سيف بعبثية جديدة عليه :

-إستأجرت بضعة عارضات لتقمن بعرض
ملابسى المثيرة ،

ما رأيك فى تلك الفكرة !!؟

علت نظرة مستنكرة ملامح وجهها والتفتت
للخلف وهى تحدج ليث بنظرة لانتمت ريشما
سمعت صوت ضحكته العابثة هو الآخر وهى
تخاطبه :

فسيف قد صمم متجره على نحو عجيب
كحاله مؤخراً

قسمه طابقين السفلى إرتفاعه يقارب المترين
لا أكثر وربما أقل!!

أما العلوى فهو واسع رحب ينتشر به عدد
لابأس به من الأرائك والمرايا التى توفر
الخصوصية والرفاهية لزبائنه من النساء

ووقف ليث يساعدها وسيف كان يتمم
لمسات فنية لحفله الضخم لتلك الأمسية

وعبارة عرض حى تحتل مقدمة متجره

-لقد كنت تعلم بهذا الأمر ولم تمنعه ؟!

رفع ليث يده مستسلما :

-لا تصبى على جام غضبك هو من تشبث

بتلك الفكرة

هزت رأسها ساخرة :

-ولا بد أنها راقت لك للغاية عارضات

حسناوات عاريات إلا من ملابس داخلية مثيرة

••• لا أجد الفكرة غريبة على خيالك

المريض أنت أيضا

جذب سيف ذراعها وهو يقول مهدئا لها :

-أهدئي جيغى ، أنه عمل لا أكثر ، ثم أنت

استبقتيني بفتح متجرك وسرقتي منى

الأنظار

سحبت ذراعها وهي تقول بعبت هي الأخرى ،

وكأنها عدوى سارت فى الأجواء بينهم :

-أنا لم أقصد ذلك كنت متعجلة لفتح

متجرى ، ربما أهدانى أحدهم قطعة من

ملابسك إن بعث له زهرة يوما

قال الرجلان فى وقت واحد بتهكم عابث :

-أوووو

وكزته جيغى فى صدره وتقدمت نحو الرجل
 الوسيم الفارع الطول وهى تتحاشى النظر إلى
 وجهه وهى تقول بنبرة عملية ناعمة :
 -مرحبا بك سيدى

انصرف الغريب خلفها إلى متجرها

وعاد ليث للإهتمام بشرائط الزينة حتى شعر
 بنسمات الهواء تحمل رائحتها العطرة فرفع
 أنظاره ليجد سيف يرحب بها بتردد محاولا
 تذكر أين رآها من قبل
 خاطبته قائلة :

فاحمر وجهها خجلاً وزادت وجنتيها حمرة
 ريثما طالعت رجلاً غريباً يحاول المرور من
 مدخل المتجر المنخفض قد استمع عرضاً
 لجزءاً من حوارها وخصها بنظرة مأكرة
 وهو يتنحج قائلاً وهو يصب أنظاره

على تلك الفاتنة ذات الخصلات الشقراء
 الناعمة صبا بصوت أجش مثير :

-عفوا ،أتيت لأبتاع بعض الزهور وأخبرنى
 أحدهم أن مالكة المتجر هنا

كتم سيف ضحكته بمكر وهو يقول :

عفو إنما هنا ،فى إنتظار هديتة إن شئت

-مرحبا ،ذهبت إلى شركتك وأخبرتني
المساعدة أنك قد تكون هنا

تعانقت أنظارهما وهو يدع الشرائط تطلت من
يده ولم يهتم

واقترب منها وهو يقول سعيداً ببلاهة :

-نعم أنا هنا

دموع محتبسة وأنفاس ساخنة وكل قطعة
بجسدها تصطرخ شوقاً له

لا تعلم متى وكيف اجتذبتها

أفاقت على صدره بفرشه

وهمست بعد فترة من صمت طويل قضتها هي
تلق الحب منه لا أكثر :

-لقد رحل

ربت على خصلاتها الناعمة وقال بتوتر :

-من تقصدين ؟

أجابته بجمود :

-السيد حافظ

رفع رأسها لتواجهه وسألها :

-ومن يكون هذا السيد حافظ؟

وأردف بغيرة :

-حبيب قديم !!؟

استطاع رسم ابتسامته على زاوية فمها ومضت
تقص عليه قصة حياتها

جحود والدها وهجرانه ،موته ووصيته
المجحفه،شقيقتيها الذهبيتان.

احدهما تصارع الموت بالفعل وهى الوحيدة
التي تستطيع انقاذها من هذا المصير

ولكنها رفضت ،رفضت ولم تشعر بالذنب
لرفضها وهذا أسوء مافى الأمر

تغلغل بأنامله فى رأسها وجذبها إليه مرة أخرى
وهو يقول بتفهم:

-كما لم يساورهم الذنب يوم أن تركوك
خلفهم ،كنتى لتتلاق نفس المصير إيما ولم
يكن هذا ليشكل فارقا لديهم ،

وصمت حتى رفعت أنظارها نحوه

وقالت تحته على الحديث ومتابعة ما كان

سيقوله :

-ولكن ،

طرق بإصبعه على موضع قلبها أعلى صدرها

العارى :

-له رأى يخالفك ،ولن تستطيعين تنفيذ
مايمليه عليك حتى تعودى لما كنت عليه
يوما

تلاقت نظراتهما وهى تقول :

-أن أعود لما كنت عليه منذ ست سنوات
مضت ،كنت لأرحب بالعيش معهم ولكن هم
من نبذونى

تلمس وجنتها وهو يقول :

-واليوم لديك دعوة مفتوحة للعودة إليهم
فهل ستممكنين من الغفران والمضى قدما

تساقطت دموعها وهى تقوم وترتدى ملابس
على عجالة

واللتفتت له لتخبره قرارها :

-نعم أنت محق ،ولكن منذ ست سنوات لم
أكن لأرتكب تلك خطيئة ،ولا كنت
تزوجت من فريد خيرت ولكنى فعلت وعلى
إحترام تلك الزيجة،والأهم من ذلك أننى
لم أكن لأدع ولدى يغيب عن أحضانى لأجل
رجل آخر أيا ماكانت هويته
وتهدجت أنفاسها وهى تتابع :

فأمسك بها وهو يرجوها بعذاب :

-أنا أحبك

أمسكت برأسه وقبلته وهي تبكي :

-وأنا أيضا ،الوداع ليث

ومضت

أو فرت بالأحرى

وحاول اللحاق بها ولم يستطع ولم تمهله

وظل واقفا يراقب رحيلها جامدا

ومع كل خطوة تبتعد يشعر بأن أنفاسه

تغادره ولا تعود هي الأخرى

-لم أكن لأتخلى عنه كما تخلى والدي

عنى يوما لأجل امرأة أخرى

هز رأسه رافضاً لسيل أفكارها الذى يقضى

بحكم الإعدام عليه بكل قوة

فقام وارتدى سرواله على عجاله واقترب منها

:

-لا إيما ،أرجوك لا تتركينى الآن،سنجد

حالا

التصميم فى عيناها بغيض

تصميماً منبعه شعوراً عارماً بالذنب والخطيئة

وهو يقار للنفس

وأوقن أنها تلك هي النهاية

ومراقبهما يبتسم بتشوق وهو يطالع فيلما
موثقا مدته تصل لساعة زمنية كاملة

لخيانتة زوجية

زوجة الإمبراطور بين أحضان عشيقها وفراشه
شاهدا عليهما

والكاميرا خاصته تحمل الدليل

.....

الفصل الثاني والعشرون

هل البكاء وحده يكفي ؟

سيل من الدموع أنساب على وجنتيها كلما
اختلت بنفسها

ورغم ذلك لا تشعر بطهارة نفسها

بل هي غارقة لتخاعها في حل الخطيئة

عاد صغيرها لأحضانها

مع مراقبة شديدة يفرضها عليهم الإمبراطور
عبر خدمه وحشمه

ممنوع عليها أن تغادر القصر برفقة

صغيرها دون رفقة المربية

بل حتى طعام الغداء يشترط أن يكون في
حديقة المنزل تحت أنظار الجميع

وفي المساء على طاولة العشاء أصبح هو
يختلي بالصغير وحده دونها

يطعمه قواعد الإمبراطورية التي سيحملها
فوق كتفه يوما

ولن يجروا على خذلانته

ورغم قسوة الخطيئة التي تعذب قلبها إلا أن
عزمها على تنفيذ خطتها لم يتناقص يوما

تخلت عن ليث بملء إرادتها حتى لا تخسره
مجبرة وتخسر ابنها

وتلك هي الخسارة العظمى

ولكن بدأت تشعر بالفعل أن أمر خسرتها
لابنها أصبح قريبا

بالأمس أحد جواسيسها في مكتب فريد
أطلعها عن خطة الإمبراطور لإرسال ابنها
بعيدا عنها في مدرسة داخلية خارج البلاد

تماما كما فعل والدها معها

أرسلها للمنفى ظناً منه أنها هكذا تحصل
على رعاية أفضل ،

ولينعم هو بحياته مع زوجته وشقيقتيها

كذلك يفعل فريد بصغيرها

يخطط لإبعاده عن أحضان أمه

لينشئ خليفتة للإمبراطور بارد وقاس القلب
مثله

رن هاتفها فطالعتة وابتسمت رغم أن المتصل
قد استخدم خاصية إخفاء الرقم ولكنها
كانت بانتظار اتصاله منذ وقت طويل

فردت بصوت ثابت :

- هل تم الأمر بنجاح ؟

نهضت من فراشها بعنفوان الانتصار وأرتدى
ملابس أنيقة تليق بتلك المناسبة السارة

ترجلت درجات سلم القصر وهي تشعر أنها
باتت قريبة من مغادرة سجنه للأبد

مما رسم على محاياها إبتسامته عذبة رأت
إنعكاسها في عيون صغيرها الذي جرى
نحوها ليستقبلها بحبور قائلاً :

-هل سنخرج سوياً أمى ؟

هبت المريية واقفة عندما استمعت لأمر
الخروج، نظرت لها إيما متهكمت وهي تتوق
للحظة التي تصفعا فيها وتحضن وليدها

أناها صوته يخبرها أن كل شيء على مايرام
خمسون بالمائة من أسهم شركتها أصبحت
في حوزتها بعقود قانونية سرية وحسابها في
الكاربي جاهز لإستقبال مقابل تلك
الأسهم مالا

وصفوت بك يتحرق شوقاً لإنتقامه تماماً
مثلها أو أكثر قليلاً

أغلقت الهاتف وداخلها يصرخ جذاً وفرحة
إن كانت أخطاء في الماضي فهي على أعتاب
تصحيح أوضاع حياتها

وتضربه هرباً من فريد وجبروته وسيساعدها
 حتماً أحد رجال الحماية التي تنوى إستئجاره
 عما قريب

فابتسمت لصغيرها بفرح وقبلته
 وقالت نافيتة :

-لا حبيبي الماما ستذهب لعملها الآن
 وأعدك عندما أعود سنعد شراب الكوكو
 وأقص عليك قصة النوم ما رأيك ؟

هز سيف الصغير رأسه وهو يحاول قبول تلك
 التسوية الغير مرضية له بنسبة كبيرة

ولكن رغم ذلك قبل أمه مودعاً وعاد للبيت
 بأعباه

.....

عبست وهي تنظر لأزهارها التي بدأت في
 الذبول

ما بال العشاق وأين شغفهم بتلك الأوراق
 الناعمة؟!

ظنت أن الجميع يحظى بلحظات العشق سواها
 وأن تعويضاً لها ستحظى بمشروع تجارى مربح
 تمنى لو أنها شاركت سيف مشروعه

جزءا يسيراً منهم، نساء يحمن حقايب ورهب
تحمل علامة سيف التجارية

والجزء الآخر من الجنسين يحملون أكواب
القهوة التي يشتهر المتجر الذي يقابلها ببيع
أفضل نكهاتها

ولا عزاء للأزهار والشيكولاته الغنية
وقضمت المزيد من مخبوزاتها وهي تراقبهم
حسرة وكمدأ

رن جرس باب المتجر لينبأها عن حضور
أحدهم ربما لسؤال عن موقع متجر سيف

ولكن ما المتعة في بيع ملابس مثيرة لامرأة
سواها ،

سترنديها حتما لرجل لا تملكه هي في
حياتها؟

نعم إنها الغيرة

وزهرة الجورى الصفراء منتعشة اليوم وعلى
غير العادة!!

•••••حتست القليل من شراب الشيكولاته

وقضمت جزءا ضخما من مخبوزاتها اللذيذة
المنكهة بالقرفة والسكر وهي تطالع

المادة أمامها

لاحظت أنظاره الماكرة التي تتجول على
قدها نزولا وصعودا واستقرت بالنهاية على

فمها

تبا له

إنه أسوء من ليث

إعصار مدمر يجتاح خلاياها

فلا تتصرف إلا بكل حماقة وتهور بحضوره

أشار لها وهو يقترب منها فلم تفهم ما يريد

قوله

مد طرف إصبعه وأزال قطعة من المخبوزات

استقرت بزاوية فمها ومضغها على مهل

وكيف السبيل إليه كما اعتادت في الفترة
الأخيرة

أو السؤال عن عملات معدنية لأجل متجر
القهوة

فالتفت وهي تقضم المزيد من مخبوزاتها

لتطالع ذلك الغريب الوسيم مرة أخرى وهو
يبتسم إبتسامته المغوية

فاحمر وجهها وكادت أن تصاب باختناق حاد

فعمدت لشرب المزيد من شرابها لعلها

تستطيع النطق والترحيب به

هذا كثير

لا

لقد تعدى الكثير بكثير

من أين هبط عليها هذا الكائن الخرافي
وعمرها قارب على مغادرة الثلاثون ربيعا ؟

عبست وتظاهرت بجديّة كانت لا تجدى مع

أقرب المقربين منها كأخيها الراحل

وصديقيها ولكنها ظنت لبلاقتها أنها قد

تجدى نضا مع هذا الغريب

ولسوء حظها لم تثر لديه سوى إبتسامته

جاذبة وهو يقول :

-هل بإمكانك مساعدتى فى اختيار بعض
الزهور؟

هزت رأسها ووضعت عوينات بلاستيكة لا
تحسن رؤيتها بشيء بل ربما تزيدها ضبابية
ولكنها تضى على مظهرها بعض الوقار
الذى كانت تستغله فى إبعاد المتطفلين عن
متجرها من قبل وقالت بصوت أبح وهى
تتنحج:

-طبعا هذا هو عملى ،ثم أردفت بنبرة عملية
جافت :

-لاى مناسبة ؟

متى إقترب منها هكذا؟!!

شعرت بأنفاسه الساخنة تحوم فوق مقدمة
رأسها وهو يقول بهدوء :

أود عوة إحداهن على العشاء

كم هو مؤلم هبوط القلب وتباطيء دقاته
بعد هذا التسارع المزرفابتسمت متهكمت
وهي تقول :

••• بالتأكيد ستفعل

مضت تنقر بأناملها أعلى المنضدة وهي تنتقى
زهوراً لتتناسب تلك المناسبة المخيبة

لرجائها ومع ذلك حاولت التمتع قدر
الإمكان بتلك المهمة

فمهمة إختيار زهورا تليق بأى مناسبة تكمن
فى الحديث إليها

هذا ما كانت تؤمن به وتصدقه

بل وتنزده!!

مباشرة تحت أنظار الغريب

الذى كان يراقب كل حركة عضوية
وتمتمة خفية صدرت من شفيتها الرائعتين
حد الكمال

شعر أنه يراقب ساحة فاتنة تتمتع بتعويذة
سرية لأزهارها ، ودقات قلبه على حد سواء
فتفقد إيقاعها المنتظم

وأخيرا أعدت له باقة أزهار رائعة الجمال
بألوان حية تنبض كقلبه بجنون

واصطدمت عيناها بعيناه السوداوتان كبئر
سحيق ابتلعها دون رحمة كثقب أسود يجول
سواء الكون فلا يبق ولا يذر

أغمضت عيناها وفتحتهما من جديد وهو
لا يزال يراقب إنفعالها به

ثم قالت بصوت جاف خافت وجل ماتفك
فيه هو كفضية إبعاده عنها فقط لتنجو
بمعزل آمن من جديد :

-أزهارك سيدى والتكلمة عشرون جنيها
ابتسم لها ونقدها ثمن الأزهار وأنت اللحظة
الحاسمة التي كان ينتظرها منذ أسبوعان
تقريبا

الهدية

من متجر سيف

وضعها أمامها

حقيبة ورقية رقيقة تصلح لإعادة التدوير
حمراء اللون تعرفت عليها

على الفور،

فهي من ساعدت ليث في اختيار هبتها
كنوع من التهنئة لصديقتها

بقيت تحديق به ببلاهة وبهديته واحمرت
وجنتها من جديد كالحقيبة أمامها

وقالت بغضب :

- ما هذا ؟!

دفع بأزهاره نحوها وهو يستجمع شجاعته
تقول بصوت أجش ثابت :

- هديتك وتلك الأزهار أيضا، فهل تحقيبه
رغبتي بدعوتك إلى العشاء ؟

.....

يا له من وقح

ظلت لساعتين تهمس بها سرا وعلاوية

حتى التطقنتها آذان سيف وهو يمر بجوار
متجرها فدخل عابسا ظنا منه أنها تعاني
صحبة أحد المتطفلين فيهب لمساعدتها

وما أن دخل ووجدها تجلس وحيدة شاردة
تنظر للأعلى ولا مستقر لعيناها سوى سقف
المتجر

فقال بريبتة :

-من هو جيبي ؟

التفتت مذعوة وقالت :

-أخفتني ،متى دخلت ؟

ابتسم سيف واقترب منها مهدئاً وهو يصب لها

القليل من الماء ومد يده لها بالكأس وهو

يقول :

-منذ ثوان ولكنك كنت تزدرين هذا

الوقح ،من تقصدين ؟

احتست جيبي الماء دفعت واحدة وهو

تتحاشى النظر لسيف وقالت وهي تهتم

بالوقوف والعبث بأزهارها

وتبأ له

لقد ترك الحقيبة الورقية الحمراء والى

جوارها بطاقة المطعم الذى يود اصطحابها

إليه غدا بعدما انصرف ولم ينتظر منها إجابة

وكان أمر موافقتها هو شيء مضمون لا غبار

عليه

ومثلها استقرت أنظاره على حقيبة متجره

واتجه نحوها بخطوات متمهلة وهو يطلق

صفيرا خافتا ويكتم ضحكته وهو يقول :

-هل تسمحين لى ؟

مد يده ليتفحص محتويات الحقيبة فهو يعلم
جيدا أن جيغى لم تكن من قامت بشراء
ملابسه المثيرة والا كان قد علم من
مساعدته

جذبت جيغى الحقيبة سريعا منه قبل أن
يهم بفتحها فهي لم تتطلع لمحتوياتها حتى
لا يظن الغريب أنها منحت هديته إهتماما مهما
كان ضالته

فعلى كل حال هى لن تلبى دعوته

عقد سيف حاجبيه وهو يراقب انفعالات
صديقتة وتوترها الزائد فجذبها من ذراعها
وأجلسها على المقعد من جديد وجذب
كرسىاً خشبياً وجلس ليقابلها وهو يقول
بنبرة لطيفة :

-هيا احكى لى ،ماذا حدث بالتفصيل لربما
استطعت مساعدتك

نظرت له بأعين ضيقة وهى تقول :

-كلا ،بل ستسخر منى

رفع يده بقسم وقال :

-بشرف الكشافة لن أفعل

-سيف ،لا تعبت بها لا أريد أن يظن أنني هله
منحت هديته إهتماما حتى
غمز لها وهو يقول :

-ولكنك بالطبع ستلبين دعوته ؟
رفعت حاجبيها مستنكرة :

-بالطبع لا

مط شففيه وهو يقول :

-وكيف تنوين رد هديته إذ؟

فتحت فمها لتجيب ثم صمتت لبعض ثوان
واتبعت :

دفع بالضحكة إلى ثغرها ومضت تقص عليه
ما حدث وما أن انتهت حتى اتسعت عيناه وهو
يقول :

-يالله من وقح

هزت رأسها وهي تقول :

-هذا ماكنت أخبرك إياه

مد يده للحقيبته وفتحها وتفحص محتوياتها
••وهو يقول متذمرا :

-قطعة واحدة ،حقا ياله من وقح

جذبت الحقيبته منه وهي تنهره :

سأنتظر أن يعود وألقى له بتلك الهدية في
وجهه

عندها قال سيف بصوت هادئ :

-وما أدراك أنه سوف يعود؟

عقد حاجبها وأدركت أنها حقا ترغب
بعودته مرة أخرى رغم أنها ظلت تنعته
بالوقح طيلة الساعات الماضية وقالت
متوجسة :

-أتظن أنه لن يفعل ؟

هز كتفيه وهو يقول:

أعلم حقا ولكن لدى اقتراح ممتاز

أجابته بلهفة :

-ما هو ؟

رد ببساطة وهو يقوم وابتسم لها :

-اقبلي دعوته

هبت واقفزة هي الأخرى وهي تقول :

-ماذا ؟ كيف تقول هذا ؟

اقترب منها وهو ينقر بإصبعه أعلى جبهتها

وهو يقول بحنان :

-جيجي لا تضيعي الفرصة لإعتبارات حمقاء

كالخجل مثلاً، كلاكما ناضج

شهر وياقت تتوق أكثر وأكثر للحظة
الحرية والفرار

جلست تحتسى قهوتها المرة وتنفضت سيجارها
بخيلاء

لقد نجحت

وانتصرت

وستتركه خلفها

فيعيش وحيداً ويمت بحسرة

ولن تشفق عليه بمقدار ذرة

أنت بحاجة لبداية جديدة وتستحقين
السعادة عزيزتي

ثم انصرف وبقيت تحديق في الفراغ

وتدغدغ قلبها أمنيات

بالسعادة والحب والرجل المناسب لنهاية
العمر

.....

شهر مر حتى الآن منذ أن تركت منزله

شهر واقتربت خطتها من الكمال والنجاح

على حد سواء

طالعت إيما الرجل المكسو بحلة داكنة
وهي تحاول أن تتذكر هويته وأين رآته من
قبل

فقال بابتسامته لزوجته :

-شريف البدرى سيدة إيما

رفعت إيما حاجبيها ونظرت بقلق نحو

مساعدتها العابسة وقالت :

-نعم ، نعم تذكرتك أنت أحد رجال فريد

المخلصين ، أليس كذلك ؟

ثم صرفت سارة بإشارة من يدها وهي تتابع

بسخرية :

صوت طقطقات مساعدتها العنقاء أطلت

لتقطع خلوتها

التفتت لها بكرسيها المتحرك وهي تقول

بضجر :

-ألم تنصرفى بعد تجاوزت الساعة السادسة ؟

تمتمت سارة بانزعاج قائلة :

-كنت على وشك الإنصراف ولكن

قطع حديثهما صوت جاف لرجل وهو يقطع

الدرج نحو مكتبها :

-ولكنى أصريت على مقابلتك فمنعتها من

الإنصراف

امتعض شريف البدرى على الفور وهو يقول

-قد تكون رخيصة ولكنها ليست بلعبة

أبدا سيدة إيما

وأخرج من جيب سترته مظلوماً أصفر اللون

وألقاه بإهمال أعلى سطح مكتبها

مدت إيما أصابعها وهي تفتح المظروف بضجر

بالغ حتى طالعتها صوراً لها ولليث بقصر فريد

واتسعت عيناها غضباً عندما وقعت على صوراً

لها بفراش ليث في تلك الليلة

تماسكت إيما ووضعت الصور مرة أخرى في

المظروف

-وماذا تفعل بمعكسر الأعداء سيد شريف ؟

ابتسم شريف وهو يخرج سيجاراً وينفضه في

هدوء واقترب من مكتبها وجلس بخيلاء ثم

قال :

-لسنا بأعداء سيدة إيما وأتمنى ألا نصبح

أبداً، فمصالحنا حتى تلك اللحظة مرتبطة

عقدت إيما حاجبها غضباً فقد فقدت

صبرها وهذا السمج يتحدث بالغاز فقالت

بنفاذ صبر :

-هات ما لديك سيد شريف، فلا وقت لدى

لتلك الألعاب الرخيصة

أخذ شريف نفسا عميقا وهو يقول :

-أنا أعلم جيدا أين يقع مكتب فريد بك

ابتسمت ببرود وهي تقول :

-ولكنك ضحيت بمكافئتك ، فما المقابل ؟

ضحك شريف بجذل وهو يقول :

-يعجبني ذكاؤك سيدة إيما وخاصة

ماكنت تقومين به في الأيام الماضية فكما

تعلمين أنت كنت تحت مراقبتي وأنا رجل

مخلص بطبعي لعملى

رمشت إيما وقالت بصوت مهزوز:

وتلبس وجهها قناعا لا يظهر شيئا من

إنفعالاتها الداخلية التي كانت أشبه بثورة

بركان

لا لأن هذا الرجل قد اكتشف علاقتها

المحرمة

بل لشعورها أنها تجلس عارية تحت أنظاره

وهذا ما أصابها بالحنق الشديد وجعل الرؤية

أمام عيناها سوداء كشعر رأسه

وقالت ببرود تام :

-أظنك أخطأت فمكتب فريد لا يقع فى

تحت البناية سيد شريف

-كم تريد ؟

رد شريف ببساطة :

-سبعون بالمائة

حملت به إيما واقتربت من سطح مكتبها
وهي تهمس :

-لست واثقة مما تعنيه

قضب شريف جبهته وهو يقول :

-أسهم الشركة التي اشتريتها بحساب سرى
وستبيعنها لصفوت بك وأنا أريد حصتي
سبعون بالمائة سيدة إيما

هل ضرب المبنى صاعقة أم اهتزت الأرض
تحتها ؟

لم تعلم قط

.....

تبدين رائحة

ابتسمت له وهي تتجه نحوه وتتأبط ذراعه
الأيمن وترد هامسة :

-شكرا لك

هم بفتح باب السيارة فقالت :

كلماتها أشعرتة بالطمأنينه فلم يكن يحس
المنافسة وخاصة أن كلا الرجلين يصغرانه
عمرا، فقال بتودد :

-ماذا أحضرتى له بمناسبة حفلة ميلاده ؟
فقلت ببساطة :

-لا شيء البتة يكفيه وجودى كما
تكفينى أنت

وكعادة كل شيء يخص سيف من بعيد أو
قريب حفلة كانت صاحبة

-دعنا نسير، منزل سيف على بعد شارعين
فقط

قال وهو يشعر بالغيرة :

-أنتما صديقان حميمان منذ وقت طويل
ابتسمت له وهى تقول :

سيف وليث الاثنان أكن لهما معزة خاصة
وقضا بجوارى بعد وفاة أخى الوحيد كانا
صديقاها أيضا ،مررنا جميعنا بمحن عديدة
فكان يؤازر أحدا الآخر ويقدم له الدعم
اعتبرهما عائلتى وليس فقط أصدقاء مقربون

-لستما بضيضان خذا راحتكما

كانت جيبي تلتفت حولها يمينا ويسارا وهي
تقول :

-الم يظهر ليث بعد؟، أنا قلقت بشأنه

رد سيف وهو ينظر لأحمد بهدوء :

-لا تقلقى أماد أنه رجل ناضج بما يكفى

.....

صوت الطرقات أعلى باب الشركه أخرجه

من شروده فهو كان يعتزل الجميع منذ شهر

تقريبا

فتيات كثر وأناسا لم تعرفهم فمضت تبحث

عنه بعيناها حتى وجدته يراقص إحدى

المثيرات فاقتربت منه لتهنئه بعيد ميلاده

رحب سيف بها بحبور بالغ وهو يصيح :

-جيبي ،افتقدتك للغاية

والتفت لرفيقها وهو يقول :

-هذا هو المسئول عن غيابك إذ

مد يده ليصافحه فقال الآخر :

-أحمد كمال سعدت بلقائك

صافحه سيف بقوة وهو يقول بكياسة :

منذ أن هجرته

توقع أن تعود إليه

لا بل كانت تلك أمنيته

ولكنها باتت مستحيلت

فهي لم ترد على أيا من مكالمته

لأنها ببساطة أغلقت هاتفها

كما أن مساعدتها تولت أمر طرده من

شركتها منذ يومان فقط

حتى يأس وانتابه غضب الأسود

فهد الليث

ولم تجرؤ امرأة على نبذه وطرده من قبل

قام وركل في طريقه لوحة قائمة لوجهها

رسمها فقط في الليلة الماضية

ومضى نحو الباب وفتحه ليطالع زائرته

بدهشة بالفتة :

-أنت ماذا تفعلين هنا ؟

ابتسمت له وهي تتقدم نحو الداخل

لقد انتظرتك مطولا في الحفل حتى أيقنت

أنك لن تحضر

كنت بانتظارك

عبس ليث وقال :

-لست بمزاج يسمح لي بمرافقة أحدهم

اقتربت منه والتصقت به وشفتيها القرمزيتان

تهمسان بغنج :

-حتى أنا ؟

تطلع لمساعدته التي كانت تخلع معطفها

ليظهر من تحته ثوبا رقيقا فاضحا وكان من

••••• الواضح أنها على استعداد لخلع المزيد

ففرك رأسه متعباً

فكبرياءه مجروحة وهو بحاجة لينسى

تلك فريسته

تتقدم منه طائعت ملبية لنداء لم يقم به

وتقدم نفسها له

فليقتنصها

وليبعد شبح الرفض عنه

فأخريات ترغبه

وتلك واحدة من كم

فلم عساه أن يمانع؟

فاقتحم شفتيها وأفرغ بهما كل مايدور برأسه
 من عشق ثائر مجروح ومحبط وكرامة بعثرت
 تحت أقدام أخرى

.....

الفصل الثالث والعشرون

تجولت بسيارتها لساعة زمنية على الأقل

ضاع كل شيء

هذا الجشع يساومها

هي لا تخشى فريد

فلن يستطيع الوصول لأموالها

ولكنه سيكون معه الدليل الذي سوف

يقصها بعيداً عن حياة ابنها

ولن تستطيع الفرار بعد

هزمت هناك أموراً معلقة

فلم ينقدها صفوت ثمن الأسهم فقد سافر

منذ بضعة أيام

يا الله

عقلها مشتت

لا تعلم من أين تبدأ؟

هل يستحق الأمر؟

أتعطيه سبعون بالمائة من حصيلة صفقتها

ماذا يتبقى لها بعد كل هذا؟

ثلاثون بالمائة !!

تعلم أنها تكفيها أكلاً وشراباً

ستستطيع العيش بهم

وابنها سيرث فريد عاجلا أم آجلا وستصبح
الوصية على أمواله

إن لم يسدد لها فريد ضريبة أخرى بوصية
مجحفة

ولكنها لم تكن ترضى بهذا ثمن بخس

تلك سنون عمرها وزهرة شبابها

وجدت نفسها بمحيط تألفه

يعود لها منذ زمن بعيد ذكراه

شقة جدتها

شقتها المحترقة

تقع في هذا الشارع

ألهذا النهايات تصل دوما للبدائية؟!

هي على أعتاب التخلص من حياتها مع فريد

والآن تقف تماما فوق البقعة التي رضخت

فيها لشروط صفقته

ترجلت من سيارتها وصعدت المبنى القديم

ووصلت للطابق الرابع حيث شقتها

توقفت لبرهه أمام شقة العجوز التي كانت

تجاورها

ترى أتزال على قيد الحياة ؟

تلك العجوز الحقود الشريرة

لطالما ظننت أنها ساحرة سوداء

ولكنها لم تخفها قط

فقط أثارت داخلها شعوراً عارماً بالتحدي رغم

حدائث عمرها وقتها

دفعت الباب المهترى كورقة شتاء خريضية

ففتح بسهولة تحت ضغط كفيها

واستقبلتها رائحة العفن والرطوبة ولكنها

لم تمنعها من التقدم نحو الداخل

فقط بخطوات حذرة بفضول نحو ما كان

ماضياً تناسته

أخرجت مصباحاً ضوئياً صغيراً تحتفظ بها في

حقيبتها للطوارئ

ومضت بحنين نحو السنوات السابقة تتطلع

لجدران الشقة التي عاشت فيها أشهر قليلة

تطوع أحدهم وأخرج الأثاث المحترق

وبقيت الجدران والأرض عارية

شعرت بنفسها هشة وضعيفة كطلاء الحائط

المتقشر أمامها

مدت تلمسه فسارفتا على الفور

نفضت بقايا ذراته من أعلى أصابعها ونفضت
 من على كتفيها هموم الحاضر وحاولت
 التحلى بإيجابية
 رغم سوداوية المكان
 ورغم مرور الأعوام وتتابعها
 لاتزال رائحة الحريق تسيطر على أجواءه
 ولم تستطع مسامحة والدها حتى اليوم
 ولا أن تغفر له هجرانه ووصيته المجحفة
 حتى تلك الساعة
 تشعر أنه المسئول الأول والأخير عما آلت إليه

عالمها

لولا ججوده،
 لما تزوجت من فريد
 وبقيت فى كنف عائلتها
 ولتبرعت لأختها بكليتها وهى راضية
 فقط لتصبح جزءا من أسرة تدعمها وتقف إلى
 جوارها
 عقدت حاجبيها وهمت بالانصراف
 فالتواجد فى هذا المكان لا يبعث لها إلا
 بالذكريات الأليمة

ولكنه لم يستجب إلا عندما دفعته بالخطوة
نحو الداخل نحو شقة العجوز

ففتح

فاتسعت عيناها دهشة عندما طالعت

شقا في الحائط بات واضحاً للغاية

ليشكل خندقاً صغيراً يكاد يكفى لعبور

طفل

أو قطرة

أو امرأة عجوز نحيلة

أخفضت المصباح اليدوى ومضت بخطوات
متعجلة تود الخلاص من تلك الرفقة وتلك
الذكريات

فاصطدم الضوء المنبعث من مصابحها بقبضته
معدنيه أسفل أحد الجدران فزادت من توجهه

فعقدت حاجبيها واقتربت من ذلك المقبض

الصغير الذى كان يبدو أنه فقد لونه

المماثل للون الجدران تماما بفعل الحريق

جثت على ركبتيها وحاولت جذبه مرارا

وتكراراً

فهى باتت واثقة أنها من أحرقت شقتها

مأواها الوحيد

وكانت أحد أهم الأسباب التى دفعته

للإقتران بضريد

دقت الباب بقوة وفتحت لها بعد قليل امرأة في

أواخر الأربعينيات بشوشة الوجه

فنظرت لها إيما بدهشة بالغة

وظلت المرأة تنظر لها بتعجب وقالت:

- من تريدين ؟

ترددت إيما قليلا حتى قالت:

قامت بسرعة وجذبت المصباح الصغير مرة

أخرى فوجدت الجانب الآخر مصمط وبدلا

من فتحة خشبية مماثلة وجدت حائطا

أسمنتياً حديثاً

حاولت دفعه ولكنه كان قوياً للغاية

دفعت بجسدها للخارج وقامت ونفضت ملابسها

من آثار الغبار وخرجت واتجهت للباب الملاصق

لها

هى لن تنصرف قبل أن تواجهه تلك العجوز

الشريرة وتصب عليها غضبا وحنقا احتبسته

لسنون مضت

جلست إيما إلى إحدى المقاعد بمواجهة
المرأة البشوشة التي استطردت مسترجعة
ذكريات الماضي

ارتسمت علامات الأسف على وجه المرأة
وقالت:

- لقد كنت بالخارج برفقة زوجي وأولادي
وعدت منذ أربع سنوات هنا لبيت والداتي

تسكن الطابق الثاني

علمت أن نفيستة قد ماتت وعرضت على

صاحب العقار مبلغاً لتأجير الشقة وقمت

بتجديدها كما ترين، أخبرتني أمي أن شقة

- كانت هناك امرأة عجوز تسكن هنا،
أليس كذلك؟

ظهرت علامات الأسف على وجه المرأة وقالت:
- هل أنت أحد أقاربها؟

هزت إيما رأسها نافية وقالت:

- لا، لا لقد كنا جيراناً بالسابق

وأشارت إلى شقتها الملاصقة لها

فغرت المرأة فاها وهي تقول بسعادة بالغة:

- إنه أنت. يا إلهي، لقد كبرت، تشبهينها

كثيراً، تفضلي أرجوك

لتنشأ فتاة رقيقة هشة أحبها جاراها المعشوق
والدته تكون نفيستة

أو "خبيثتة" كما يدعوها البعض

أو "شمطاء العقار" كما يلقبها البعض الآخر
كانت أمها الوحيدة من بين الفتيات والصبية
التي كانت تشفق عليه وتدعوه للعب معهم
ولكن ما يلبث الصبية بهجره واللعب دونه
فهو كان فتى منطو، عنيف، بذهن متخبط
حتى كبرت الفتاة وتزوجت من والدها سليل
العائلة العريقة وعادت ذات يوم لتزور الحي
وجيرانها

وداد قد احترقت وتفاجئت يوم الحريق
بأنك كنت تسكنيها، لقد ظلت مغلقة
لسنوات عدة

ركبت سيارتها الفارهة بعد مضي نصف
ساعة استمعت خلالها لحكاية "مدام أمنية"
هذا كان اسمها عن طفولتها والدتها وحياتها
جدتها

المرمضة الأرملة التي رحل عنها زوجها وهي
شابة صغيرة فأعرضت عن الزواج واكتفت
بتربية ابنتها الوحيدة

لقد انقلبت السيارة التي تحملهم وماتت
والداتها على الفور ومات المعتوه بعدها
بساعات

واستغل صحفي ضئيل الشأن الخبر وأشاعه في
إحدى المجلات الصفراء لينال شهرة على
حساب سمعة والدتها وعائلة بدران التي كان
يكن لها الإحتقار كحالها مع كل العائلات
العريقة

لم تكن نفيسته ووداد يوما أصدقاء

ولكن بحكم المصائب تقربت نفيسته

الخبیثة من وداد المكلومة حتى رحلت يوما

وتعلق بها المعتوه ورفض أن يدعها ترحل دون
أن يطلعها على سر دفين عليها أن تعلمه
فصرفت السائق وذهبت معه لترى ماهو السر
الخطير الذي بحوزته

عارضت أمنية قرارها الطائش بالذهاب معه
وعرضت عليها الذهاب برفقتها ولكنها
كانت تشفق للغاية عليه كما أن المعتوه
رفض إصطحاب أمنية صديقتها معهم
وبعد مرور ساعات جاءها الخبر المشؤوم

عن الحياة إثر جرعة دواء للقلب زائدة
تناولتها وداد بالخطأ

كان الجميع يشك بنفيسته انها وراء مقتل
وداد

ولكن لم يكن بحوزتهم دليلاً

حتى ماتت نفيسته ذات يوم وعثروا على
جسدها وقد تأكل

••• خمن الطبيب الشرعى أنها رحلت منذ أشهر
والهرة الجائعة تغذت على أطرافها حتى ماتت
إلى جوارها

نهاية بشعة

لإمرأة بحق خبيثة

هذا ما اختتمت به حديثها أمنية

وسارت إيما فى طريقها وهي تفكر فى أمر

كل من مر بحياتها

ماتت جدتها وحيدة

حافظ هو الآخر مات وحيداً

ونفيسته الخبيثة

هي الأخرى ماتت وحيدة

ستذهب إليه وتعتذر

سترجوه أن يعد نفسه للسفر معها في أقرب وقت

ستحظى أخيرا بالحب

وبالسعادة

رد شريف البدري وهو يقول بصوت منتصر :

-كنت أعلم أنك ستتصلين بي مجددا

ردت إيما بثقة فهي الآن تشعر بأنها أفضل

حالا وعقلها الفذ قد افتر عن مساومة عادلت

كانت غائبة عنها بفعل إحباطها

وفتور عزيمتها ولكنها الآن باقت أكثر

ولو كانت تملك كنوز الأرض أو حتى سبعون بالمائة من أسهم شركة فريد لم يكن هذا لينقذها من مصيرها الأسود

طعام لهرتها

أمرشير للشفقة والإشمزاز

رفعت هاتفها الخلوي وضغطت بأصابع واثقة فوق رقم شريف البدري المتبجح الذي سجله بنفسه وهو يثق أنها ستعود للإتصال به

ستمحبه مايريد

وستضر بابنها

لكنها لن تبقى وحيدة

ردت بصوت صارم :

-إثنان وثلاثون ولا أكثر وستمنحني أصول
الشرائط والصور

وأغلقت الهاتف دون إنتظار رد

هي تعلم جيدا كما يعلم هو أنه قد يحصل
منها على مال أكثر

ولكن لن تبقى أنفاسه متصلة بجسده إن
علم فريد أن رجله المخلص خائن كزوجته

وزادت من سرعة سيارتها لتقابله

اشتاقت إليه للغاية

صلاية وسعيا نحو خطتها التي لن يمنعها
عنها أحد :

-ثلاثون بالمائة شريف فأنت لا ترغب بعداء
فريد إن علم أنك كنت تتستر عليّ لتحظى
بصفقة أفضل

امتقع الرجل وكادت تسمع حشرجة أنفاسه
فشعرت بسعادة طاغية

سعادة النصر

اللعنة عليها تلك الصغيرة خارقة الذكاء

فقال بصوت جاف:

ثلاثون بالمائة

وعقلها يسرد سيناريو لحديث معتذر وغوص
 بأحضانه طلبا للمغفرة
 ولكن أحضانه كانت تحتلها أخرى
 ومن أنت إليه لطلب الغفران
 وعلى استعداد تام لسماع تقريع شفتاه
 بكلامات قاسية كفعلتها به
 كانت شفتاه تجول بمجون على جسدها
 العارى
 تصلبت فى وقفتها وهى تراقبه يمنح الحب
 لسواها
 بسهولة تامته

وكادت تموت احترقا لرؤيته عندما أتى
 إليها منذ يومان ورفضت مقابلته بقسوة
 وأرسلت سارة لطردته
 هل سيغفر لها فعلتها ؟
 هل سيتفهم معاناتها ؟
 أوقفت السيارة أمام مقر شركته وسرت للغاية
 عندما لمحت الأضواء مضاءة هذا يعنى أنها لن
 تضطر للبحث عنه
 فصعدت الدرج بسرعة وأنفاس لاهثة
 ودفعت بالباب
 انفتحت نحو الداخل

وهو من كان يرجو عودتها منذ يومان فقط

لا أكثر

أم أنها مثلها مثل الأخرى

نكرة

رفع أبصاره فجاء فرأها تقف تراقبه غاضبة

محتقرة محترقة

والدموع تتقاذف من مقلتيها

دفع بنفسه عن مساعدته وهم بستر جسده

واللحاق بها قبل أن تنصرف وهو يصرخ بها

عدة مرات :

-إيما . انتظري .إيما

استطاع اللحاق بها عبر الدرج قبل أن تستقل

سيارتها وجذبها بقوة وهو يقول بارتعاش :

-إيما ، أرجوك لا تذهبي

صرخت به بكل قهر أعتمل بصرها والدموع

لا زال تجرى على صفحة وجهها :

-أنت عار ابتعد عني ، لن تلوثنى بعد

الآن، ابتعد

وصعدت إلى سيارتها وانطلقت بها بأعين

غارقة بالدموع ورؤية ضبابية وأنفاس

ملتهجة وحرقة بالغة تعتصر صدرها

حتى شعرت بعدم قدرتها على مواصلة
القيادة فخرجت من سيارتها وسارت لبضعة
خطوات تائهة في الحى الساكن

أهذا من أحبته؟

أهذا من كانت تظن أنه يملك بيده مفاتيح
السعادة ،

أهذا من ارتضته ليظل إلى جوارها؟

••• بل وجوار وليدها الوحيد !!

افترشت الأرض بانسة باكية

شاعرة بخذلان لامثيل له

شعرت بمرارة الخيانة تغتال أنفاسها وتختنق
يا إلهى ما فعلته بزوجها كان حقا مريع

قصر آل خيرت

لسنوات ظلت تمنى نفسها بإعتلاء عرشه
لتصبح سيدته

ولكن تلك الملعونة استطاعت فرض
سيطرتها على فريد الرجل المحنك كحيت
مرقطة وجعلته يطلب الزواج منها فى غضون
أشهر قليلة وهى من كانت تسعى بتصميم

لم تشعر به وهو يتقدم بخطى بطيئة
خفيفة نحوها وأجفلت عندما استمعت إليه
وهو يقول :

-مالذي أتى بك فى تلك الساعة سارة؟

التفتت سريعا وقلبها يقفز من بين أضلعت
فما جئت لتخبره إياه ليس بالهين ولربما صب
عليها جام غضبه ولكنها لن تتراجع

عليه أن يعلم بما تمكر به زوجته الشابة
وأیضا رجله المخلص فقالت بصوت يرتجف :

-جئت إليك سيد فريد لأطلعك على
معلومات هامة للغاية

نحوه لسنوات ولكنها قد فشلت فى السيطرة
عليه

واليوم حانت لها الفرصة للانتقام

ولربما أصبحت بعدها

سيدة القصر الجديدة

كانت تقف ترقب بغل اللوحة المائية التى
تحتل عرض الحائط فوق المدفئة الرخامية
••• لغريمتها والإمبراطور وابنتها الرضيع

كان يجب أن تكون هى مكانها

كان هذا الطفل ليصبح من صلبها وصلبه

-ماذا تقصدين ؟

قامت مرة أخرى واقتربت منه وحدقت بعيناه
تستمد منهما القوة لتتابع بأنفاس واثقة :

-كنت أسهر اليوم لإتمام بعض الأعمال
وكانت السيدة إيما لا تزال بالطابق العلوي
،عندها ظهر شريف البدري يطلب مقابلة
السيدة فحاولت صرفه وصعدت إليها لأخبرها
ولكنه اقتحم الطابق وفرض نفسه على
السيدة،

ثم تنحنحت وهي تبتدع كذبة ساذجة
لتبرر اصطناعاتها على حديث رئيستها:

عقد فريد حاجبيه واقترب منها وأمرها :

-اجلسي إذ

ظل واقفا يتطلع إليها من عليائه وينفخ
غليونه وظلت تنظر إليه برهبة وفقدت
قدرتها على النطق فقال بنفاذ صبر :

-أتخططين لقضاء الليلة هنا سارة ؟

هزت رأسها بقوة وقالت بأنفاس متسرعة :

-رجلك شريف البدري يخونك سيدي

نزع غليونه من بين شفتيه وحدق بها بقوة
ثم قال :

الشركة بحساب سرى وستبيعها قريبا
لصفوت بك وهذا ما كان يساومها عليه
شريف البدرى سبعون بالمائة من ثمن تلك
الصفقة القريبة

نفث غليونه بعصبية شديدة ثم وضعه فى
المرمودة الكريستالية وهدر بها فهو يعلم أنها
تحمل المزيد فى جعبتها من الأسرار قائلا:

- وما المقابل؟ مالذى لدى شريف لتمنحه ذاك
الثمن الباهظ؟

همسها كان أشبه بفحيح وهى تقترب منه:

- فشعرت بالقلق عليها ولذلك بقيت على
قرب من الدرج فسمعته يقوم بمساومة
السيدة طالبا منها سبعون بالمائة من أسهم
الشركة لكيلا يفضح أمرها عندك

فاتسعت عيناه وتسارعت دقات قلبه حتى
صمت أذنيه فمضى نحو أقرب مقعد وجلس
وأشار لسارة لتقترب وقال :

- ماذا تقصدين بأسهم الشركة؟

قالت بسرعة :

- هذا أمر لا أعلمه ولكننى علمت من

حديثهما أن السيدة إيما اشترت أسهم

واشدت قبضته على يد المقعد الخشبي
حتى ابيضت معاقلته وصوت تنفسه يعلو
ويهبط
زوجته تخونه وظنه كان بمحله
وتسارعت الأفكار داخل عقله المحنك
ذاك المصمم الوضيع سينتقم منه ويذيقه
العذاب ألوانا
ولكن لن يستطيع المساس بها فيده مغلوته
سمعته وسمعت العائلة
بل وسمعت صغيره الذي سيكبر في يوم من
الأيام ليصبح الإمبراطور

في يوم ما تلقت السيدة زهورا بديعة أرسلها
لها ذاك الشاب الذي تولى تصميم الفرع
وبعدها عدة مكالمات هاتفية لحوحة
ولكنها كانت ترفض تلقيها حتى ظهر ذات
يوم أمام باب الشركة فطرده عامل الأمن
بناء على أوامر من السيدة

ثم أخذت نفسا عميقا ورددت :

-لا أعلم لم قفز هذا الأمر بذاكراتي
ولكنني رأيت السيدة تحرق مظلوما أصفر
اللون لا بد أنه كان في حوزة شريف البدرى
قبل أن ينصرف

كيف سيستطيع رفع رأسه والسيطرة على
أملكه وعار أمه الخائنة يلاحقه ؟!

لا بد أن يظل هذا الأمر سراً دفيناً
لا يعلمه أحد

وذلك الفاريتستر على خيانة تلك الحقيبة
ليقبض الثمن

فليستعد للثمن ولنرى إن كان يتحمله

وتلك الواشيتة أتت حتماً طمعا في منصب أو
أموالا وهو لن يرضخ للابتزاز كزوجته
الخائنة السارقة

أما صفوت بك الذي يسعى للسيطرة على
أملكه فليستعد لضربة قادمة

قام من مجلسه وجذب مرفقها بعنف فشهقت
ولمعت عيناه بقسوة وهو يقول :

-إن علم أحدا بما أخبرتني إياه للتو
فسيكون آخر يوم في عمرك سارة
هزت رأسها وهي تتم بصوت متقطع :

-لا ، لا لن أخبر أحد

ابتسم لها فجأة وقال :

- غدا أصدر قرارا بترقيتك لتصبحي مديرة
الشركة سارة

لا بد أن تكون قد أخذت للنوم في تلك
الساعة

وقال بعد برهة دون مقدمات:

●●● -قومي بالاتصالات اللازمة مع المنسق العام
للمدرسة الداخلية بلندن وأعدى لسفري
برفقة سيف في غضون أسبوع
ومضى يرقب عقارب الساعة وهي تقترب من
منتصف الليل

حتى الآن لم تعد تلك الحقيبة بعد

عليه أن يتخلص منها بهدوء

قتلها قد يورطه بمشاكل هو في غنى عنها

تهديد بالقتل يتبعه ترقية ضخمه

هذا هو الحال مع فريد خيرت

لا يمكن التنبؤ أبدا بما يجول في رأسه

خاطبت نفسها بسخرية :

-أتظنينه يطلبك للزواج؟!، فلترضى بتلك

تسوية عادلة ولا تفتحي فمك بنبت شفاه

هزت رأسها بطاعة وحررت ذراعها وتراجعت

خطوة للخلف مستأذنة للانصراف

راقبها وهي تنصرف وأمسك بهاتفه وهو

يطالع ساعة معصمة ليطلب مساعدته التي

زيارات معدوده فى تلك الأشهر لا تكاد
 تشبع غريزة أمومتها المتعطشة
 وبالنهاية وجد نفسه مجبرا للتصرف
 بحكمة
 حتى لا يخسر المزيد
 سينفصل الإمبراطور عن زوجته انفصالا
 حضارياً بارداً
 وستنطلق السنة الجميع حوله بتكهنات
 حول أسباب الطلاق

إن استطاع تكبد ضريبة الفضيحة فستبقى
 الأعمال والأموال دافعا قويا يلف حبل
 المشنقة حول رقبتة
 لقد استطاعت السيطرة على تسع وأربعون
 بالمائة من أسهم الشركة ولا زال هو
 المسيطر على النسبة الأكبر
 وستبيعها آياه بثمن بخس إذا كان المقابل
 رؤية الصغير
 وهذا سيكون عقابها
 سيعود صغيره لأرض الوطن فقط فى شهور
 الصيف الثلاثة القصيرة

ولئن يمنح أحداً هذا السر مطلقاً

فسيحمله معه إلى قبره

.....

تلك الحمقاء

أخبرها ألا تعبت بأشياءه أكثر من مرة

كان الخطأ خطؤه

هو من اعتمد عليها

ترك سيارته بحوزتها لتقوم بالتبضع قبل

الرحيل

لا وقت لديه والآن هو تائه

وميعاد الطائرة على بعد ساعتين من الآن

أخذ بحث محرك البحث الذاتي عن طريق

المطار مرة بعد الأخرى

ولكن الحمقاء بدلت لغته لتصير باليابانية

هو لا يفقه حرفاً فيها

سيتجه إلى أرضها في غضون ساعتين إن لحق

بالتائرة

صممت خطيبته المجنونة على أن يتعلم

اللغة قبل السفر لليابان

وحصيلة عزمها الآن أنه تائه على متن سيارة

حديثاً تعتمد على محرك البحث القائم

قال بارتياح عظيم مخاطبا جهاز البحث

Airport

ثم رفع بصره مرة أخرى ليتفاجأ بامرأة تتوسد

منتصف الطريق فحاول الإقلال من سرعته

ولكن باءت المحاولة بالفشل لسوء حظه

وحظها

جل ما استطاعه كان إدارة عجلة السيارة

للجهة الأخرى ومع ذلك

اصطدم بها

على الأقمار الصناعية ولكنه الآن معد

لإستقبال وإرسال المعلومات باليابانية

الجوار هادىء للغاية

لا إشارات ولا لوحات معلقة

هو معلق فى حى سكنى هادىء

يدور فى شوارع بانتظام

زاد من سرعة السيارة فالشوارع تشبه بعضها

البعض

أخيرا تمكن من تغيير اللغة لتصير

بالإنجليزية

بدا له الأمر مناسب وسينجح مرت ساعات
النهار ولم يسأل طفله الهاديء الطباع عن
والدته التي لم تظهر بعد رغم تخطى
الساعات منتصف الليل وحتما سينساها ولن
يفتقدها بالقدر الذي يثير قلقه عندما يسافر
لخارج البلاد للدراسة

تمنى أن يحظى ابنه بعلاقة وطيدة بعائلته
كى ينشأ قويا يحمل الولاء لعائلته واسمها
يبدو أن هذا أمر مستحيل الحصول عليه لكن
ماسيعوضه حقا تلك الثروة الطائلة والعيش
الرغد الذي سيتمتع بهما صغيره

أوقف سيارته فورا وخرج منها مسرعا نحو
جسد المرأة الملقاة على الأرض غارقة في
دمائها

دقات قلبها المنتظمة الضعيفة طمأنته أنها
لا تزال على قيد الحياة

فقط يحتاج لسيارة إسعاف

فصرخ عاليا:

••••• للنجدة

وقف يراقب طفله الذي كان يغط في نوم

•••••

تصاعد رنين الهاتف فأسرع للإجابة خارج
 حجرة صغيره كي لا يوقظه
 ربما يظن البعض أنه خبرا مشنوما وقد يجزع
 البعض من مجرد تلقيه
 ولكنه تلقاه برحابة صدر واثقا أنها عدالت
 السماء التي لا تخطيء
 كما أنها منحتة الفكرة المثالية للتخلص
 من شريف البدري للأبد

الفصل الرابع والعشرون

مكالمة هاتفية أخرى تقوم بها تلك
المجنونة التي لم ترضخ بعد لحقيقتها
إنصالة عنها منذ شهران، فلولا حماقاتها
التي كانت تبدو وكأنها سلسلة لا متناهية
لما وقع في هذه المتاعب
ولما علق يومها مع تلك المرأة التي لا تزال
فاقدة الوعي حتى هذه الساعة
أتى زوجها في نفس الليلة وطالعتها صامتاً دون
أن ينبت بشفه ولا حتى بسؤال عن سبب
الحادث ومن المسئول وأجاب بصعوبة على
سؤال المحقق وأغلبها كان بـ "لا أعلم"

أما هو فقد أدلى بشهادته وتحفظت الشرط
على سفره حتى تضيق السيدة وتدلى بشهادتها
هي الأخرى

وفقد الوظيفة التي كان لطالما يحلم بها
وظل يعمل ويجتهد لأجلها سنوات عدة
وكل هذا بسبب خطأ تلك الحمقاء
في بداية الأمر كان يشعر بالغضب الشديد
حتى على تلك الغريبة التي صدمها
فلولا توسدت الطريق لما حدث كل هذا
ولكن شيئاً ما حثه على التعاطف معها
فحتى اليوم لم يزرها أحد

شعر بالمسئولية نحوها بعد مرور عدة ايام
على اصابتها
فاصبح ينتظم في زيارتها يوما بعد الآخر
كان في البداية يقضى معها بضعة دقائق
وتطور الأمر ليصل لعدة ساعات
يجلس فيها بجانبها يقرأ لها
كان ليقسم عاليا ذات مرة للطبيب بأنه رأى
رأسها يتحرك بضعة مرات
بل وأنها قد ابتسمت إبتسامته صغيرة ذات مرة

ولا حتى زوجها قام بزيارة ثانية لزوجته التي
تصارع الموت
لا أفراد عائلة ولا حتى أصدقاء
مخيفة خبايا البشر
قبل سفره كانت أمه تبكى أنهارا من الدموع
اليوم يشعر بمدى كونه محظوظا
على الأقل يفتقده أحد
أما تلك المسكينة ترقد دون صحبت
فقط دقائق قلبها العنيدة التي تأبى مغادرة

الحياة

ولكن ذلك الطبيب البارد أخبره بأن هذا
 أمرا مستحيلا فهي فاقدة للوعي وما رآه لا يعدو
 كونه سيل من الإشارات العصبية المتأخرة
 أو على الأرجح تهيؤات يدفع بها عقله الباطن
 ليريجه من الذنب قليلاً
 كاد يومها أن يلكمه بقبضته ولكنه منع
 نفسه بصعوبه فقد أصبح يستمتع حقاً
 بصحبتها وداخله شكاً يرقى لحقيقة واقعة
 أنها هي الأخرى تستمع بصحبته وكتبه
 وقرائته المسلية

ترك تلك المجموعة القصصية التي
 يقص عليها بضعا منه جانبا ومضى يتأمل
 ملامح وجهها الملائكية الرقيقة
 وجه مستدير بعض الشيء وأنف صغير مستدق
 وشفتين مكتنزتان وردية رغم شحوب وجهها
 خصلات شعرها الناعم معقودة خلف رأسها
 بعصابة مطاطية اشتراها لها وطلب من
 الممرضة أن تلبسها أياها
 وتركزت أبصاره على عيناها المغلقتان
 بإحكام وتساءل داخله
 "تري مالونهما؟"

يكاد يجزم بأنها بنيت صافية

كانت أنظاره مركزة عليها وهو شارد حتى
أنه لم يلاحظ أنها قد فتحتها بالفعل حتى
هب من مجلسه فرحا وهو يقترب منها عندما
لاحظ حركة رموشها العصبية وهو يقول
بضح عارم :

-رياه لقد استيقظتى !!

مرت عدة أيام عليه لم يتمكن فيها من
رؤيتها بناء على تعليمات من الطبيب المعالج

فمحققون الشرطة يقتطعون جزءا يسيرا من
ساعات النهار مما يتركها في نهايته متعبت
مستسلمة للنوم من جديد

حتى تلقى مكالمته هاتفية تخبره بضرورة
الذهاب لقسم الشرطة

وكانت زيارة سريعة حاسمة أخبره فيها
الضابط أن السيدة إيمان مراد قد برأته واقرت
بأنها المذنبة فهي من جلست في منتصف
الطريق

وهكذا انتهى الأمر

عاد حرا

كان مؤمنا وبشدة بحكمة القدير

وقرر التوجه للمشفى لشكرها أو بالأحرى

لرؤيتها فهو أصبح يفتقد صحبتها

وداخله سؤال يتردد

عن كيف هي صحبتها وهي واعية؟!؟

.....

كانت ترقد بالفرش تتابع المشهد من نافذة

حجرتها صامتة ،

عندما سمعت طرقة على الباب خفيفة ورجلا

غريبا يتقدم منها

وبإمكانه السفر إن أراد

خرج من القسم وهو يفكر في الأمر

في البداية كان ساخطا

ولكنه اليوم يشعر بالراحة

لاتزال فكرة السفر ترواده وتلح عليه بشدة

وسيعمل على إيجاد فرصة أخرى في القريب

العاجل

ولكنه الآن بات متأكدا أن فرصته الأولى

كانت لتودي به إلى الفشل لولا تدخلت

الأقدار

لماذا الغاية من وراء كل ما حدث؟!؟

جلس الرجل على المقعد المجاور لفرشها
 المعدنى وأخرج رزمة أوراق من حقيبته
 الجلدية وهو يقول بدينا ميكيت :
 -نبيل القائد محامى زوجك السابق
 ومد يده بورقة طلاقها
 مدت أصابعها النحيلت نحو الورقة وطالعتها
 هكذا بسهولة
 لقد طلقها وحصلت على حريتها
 فى كل الأحوال لم تكن لتبقى يوما على
 ذمته كانت لتصرخ عاليا طلبا للطلاق

هى لم تفقد الذاكرة فلا زالت تتذكر كل
 شىء
 خيبة الأمل ومرارة الخيانة كالعقم فى
 جوفها
 رفعت حاجبها متعجبة عندها تقدم منها
 الرجل السيتينى وهو يقول بأدب جم :
 سيدة إيما هل لى أن أخذ بضعة دقائق من
 وقتك ؟
 أجابته بصوت خفيض :
 -تفضل ولكن من أنت ؟

الدراسة وبإمكانك زيارته شهور الصيف
 فكما علمت منه أنك تعملين ولست
 متفرغة لرعايته
 هزت رأسها بعنف مما أشعرها بالدوار:
 - لن أقبل بتلك تسوية، لن يأخذ طفلي مني
 استعد المحامي للإنصراف وهو يقول:
 -فكرى بالأمر مجددا فالخوض فى القضايا
 من إختصاصى ولكن على أن أحذرك أنه
 أمرا مؤلما وصعبا للغاية ويعانى منها الطفل
 قبل والديه، الحلول الودية خير منقذ
 ابتسمت له ساخرة وهى تقول:

تنحج المحامى وقال:

-أنا آسف سيدتى

قاطعته بخشونة:

-لا تأسف فأنا لست بحزينة

صمت المحامى حرجا فأردفت:

-وماذا عن طفلى؟ أين هو؟

وضع الرجل عويناته واستقام فى جلسته وهو

يقول بألية باردة:

-زوجك السابق يعرض عليك تسوية أمر

الحضانة المشتركة، سيبقى معه شهور

فطفلها بعيد عنها منذ وقت طويل

بل قبل إصابتها بهذا الحادث

لقد انغمست في حياتها وكوينونتها

ونسيت أنها أم

حان الوقت لتستعيد مكانتها في حياة ابنها

فالعطاء يجلب السعادة

وخاصة لمن ينتمون للعائلة

وكانها سمعت ما يدور بذهنها

وكانها لفضلت تلك العبارة عاليا

-لا يوجد للود موضع بينى وبين زوجى

خاصة بعد ما حدث سيد نبيل

وانصرف بعدها المحامى متمتا بكلمات

الإعتذار عما حدث لها ووعد بزيارة قريبة

أمسكت بالورقة ومضت تحديق فيها بعد

إنصرافه

إختيارها من البداية كان خاطئا

ولذلك هى راضية بتلك النهاية العادلة

فالواقع لم تكن سعيدة معه

لا تعلم ان كانت ستستطيع العثور على

سعادة دونه

ووجهها تجعدت منحناياته
 وخط الزمن عليه بخطوط عميقة أفقدها
 جزءا يسيرا من جمالها الأخاذ
 تقدمت منها بأقدام مرتعشة ونظرة عين
 ثاقبة وقالت بصوت أبح :
 -هل تسمحى لى بإقتطاع جزءا يسيرا من
 وقتك؟

عقدت إيما حاجبيها
 فرؤيتها تبعث بالغضب فى جوانحها
 تجعلها تفر بضعلة أبيها بها

وكان حروفها تطير فوق رأسها استطاعت
 قرائتها
 اقتحمت الغرفة فلم تطرق حتى الباب
 ضاقت عينا إيما وهى تتطالع زائرتها الشاحبة
 لاتزال متشحة بالسواد كيوم رأتها لأول مرة
 وظنت أنها ستكون الأخيرة
 ولكنها كانت مخطئة
 فهى تقف أمامها وهيئتها أقرب لشبح
 عيناها غائرتان
 وشعرها الذهبى فقد بريقه

زمت إيما شفيتها وقالت بنفاذ صبر :

-مالذي أتى بك إلى هنا وكيف عرفت
طريقي ؟

●●● جلست شاهنדה على المقعد المجاور لفراشها
وقالت :

-لقد رأيتك يوم جنازة حافظ وعرفت
عنوانك وعندما سألت عنك عرفت بأمر
الحادثة وغيابك عن الوعي

هزت إيما رأسها وقالت :

-وماذا بعد ؟

ردت شاهنדה سريعا :

على الرغم أنها قد سامحته بعدما عرفت
قصة موت أمها

إلا أن غصّة بقيت تتنزع أنفاسها كلما عادت
بها الذكرى ليوم مغادرتها أرض الدير
واستقبال عائلتها المجهولة لها وتلك
الوصية المجحفة

ردت ببرود :

-أسفّة ليس لدى وقت

أمسكت شاهنדה بكف يدها راجية بشدة
وقالت :

ك أنتى لن أطيل الحديث

شيء من التعاطف مر بخاطرها ولكنها
نفضته بعيدا كانت متعبة للغاية لحد عدم
تحملها لسماع آيه أخبار سيئة ولا حتى عن
حال البلدان المجاورة
ركزت شاهنده أبصارها عليها وقالت عندما
طال صمتها دفعت لها بأوراق سهى الصحية
وتقارير الأطباء وتوصيتهم
عقدت إيما حاجبيها وقالت :

-لا تحمليني مسئوليتكما، لقد نبذتوني منذ
وقت بعيد ،إياك وأن تحمليني ذنب أحدكم
صرخت شاهنده بها راجية :

-كنت أود زيارتك فى وقت أبكر من هذا
ولكن ..أخت

كادت أن تنطقها ومع ذلك تبد وصعبة
وبخلاف تلك النظرة التى سددها إيما لها
وكادت أن تقتلعها من مكانها لأكملت
نطقها فهى تعلم أنها حقيقة كحقيقة
الصباح والمساء ولكنها خشيت أن تثير
غضبها وحنقها فأثرت السلامة وتابعت :

سهى ،ابنتى طريحة الفراش وتنتظر عملية
جراحية بالغة الخطورة فى خلال أيام والا
فارقت الحياة

-سهى بحاجه لمتطوع بكلى وأنت أختها
وتحملين نفس فصيلة دمها النادرة
تعالت وتيرة أنفاسها حتى أنها صمت أذنيها
تلك المرأة لاتعقل بحق

تجرؤ للمجىء إلى هنا وليس لسؤال عليها
وعلى صحتها ولكن طمعا بقطعة من جسدها
ولأجل أخت لا تذكر حتى شكلها

• قالت بخشونة :

-اخرجى

همت شاهنדה بإعتراض وتوسل وطلب للغصير
لأجل صغيرتها ولكن الأخيرة ما لبثت
بالصراخ مرة أخرى وهى تقول :

-قلت لك انصرفى

غادرت شاهنדה بخطوات متعثرة تاركة أوراق
سهى الطيبة بين يدي إيما التى ما أن لاحظت
استكانتهم بين كفيها حتى ألقت بهم بثورة
عارمة بعيدا نحو ركن الغرفة وفوقها ورقة
طلاقها

وارجعت ظهرها للخلف وأسندت رأسها للوسادة
وتتمت بصوت متعب خافت :

-رياه هذا كثير على أول يوم ،فما التالى ؟
 والتالى كان فى غضون ساعتين يقف على
 الباب يراقب جفونها المنسدلة بشيء
 من خيبة الأمل

دخل الغرفة بهدوء ووضع زهور الجورى التى
 كان يحملها فى المزهريّة

رائحتها المنعشة اقتحمت انفا ودغدغت
 خلاياها الحسية برأسها ففتحت عيناها ببطء
 وهى تتساءل عن الزائر الذى يحمل لها زهورا
 لقد رحلت الطيبة باتى فمن هذا الذى يابه

فيها

وجدته ينظر لها وعيناها تشع بالفرحة وتلصق
 شفتيه باعث للضحك

رجل تخطى الثلاثون من عمره يتلثم
 بحضرتها ضاقت عيناها وهى تتفحصه

وقالت بسخريّة :

-من أنت الآخر ؟

قضب حاجبيه لم يتوقع أن يكون إستقبالها
 له بهذا التهكم الصارخ لم يتوقع ترحيبا
 أيضا ولكن إمتعاض شفتيها قاتل
 قال بصوت هادىء:

-أكمل ،دكتور أكمل الجابرى

ضاققت عيناها وكان مصابيح سيارته تلمع
امامها مرة أخرى فعادت لها الذكرى وهي
تقول :

-آسفت، أنا لم أدرك هويتك من قبل

ابتسم لها وعاد الأمل يرفرف بجناحيه داخله
وقال وهو يمد يده ويجذب المقعد قريبا من
فراشها

قريبا جدا فى الواقع حتى التصق به وكل
هذا وهى تراقبه بأعين مندهشة وهو يتابع
بأريحية :

-لا بأس اضطررت للمرور على قسم الشرط
أولا ولهذا تأخرت على موعدنا المعتاد

متى كان لهم موعد؟!!!

لقد كانت غائبة عن الوعي قرابة الستون
يوما

ضحكة قوية رجت أرجاء الغرفة لا تعلم
مصدرها ومن أين انبعثت فنفسها محملة
بالكثير والكثير من الحزن والألم وضيق
النفس

ولكنها أنعشته وبعثت بالحياة فى صدره
ولجمت لسانه وأفقدت عقله الصواب

-هل كنت تزورنى كل يوم ؟

هز رأسه وقال بهدوء :

-نعم ،كنت أفعل أرجو ألا أكون باعث

للضيق بزيارتى المتكررة

هزت رأسها نافية وهى تقول :

-لا لا ،لم تكن ،أشكر

طفى الصمت على نسيمات الخريف التى كانت

تقتحم الغرفة خلست من وراء النافذة حتى

رفعت رأسها وقالت فجأة:

-ولكن لم ؟

احمرت وجنتيها وأشاحت بوجهها نحو النافذة

وقالت بهدوء :

-أشكرك على إهتمامك وعلى تلك الزهور

،أرى أنك بدلت زهورى القديمة بأخرى

رائعة الجمال

هز رأسه وعاد النطق يخط فوق شفتيه ليعلن

أنه إنسان قادر على التحدث وعطاء الكلمات

ولكن بصوت أبح وهو يهز رأسه :

-نعم ،لم أكن أعلم أى الأنواع تفضلين

فكنت أحمل فى كل يوم نوع ولون مختلف

حدقت به وقالت :

ابتسم وقال ببساطة :

-ولم لا

بقي مركزا أنظاره عليها وسحب بيده

الكتاب الذي كان يقرؤه لها

مجموعة قصصية متنوعة ليوסף السباعي

وقال بإبتسامته واسعة :

-هل تودين سماع حكاية اليوم ؟

أرتفع حاجبيها دهشة وقالت :

-وهل كنت تقرأ لى أيضا ؟!!،هلا أخبرتنى

ماذا كنت تفعل بخلاف الزهور والكتب

من غيابه عن الوعى ؟

رد بغموض وهو يفتح الكتاب عند الصفحة

التي توقف عندها سابقا :

-لا شيء

ومضى يقرأ لها

صوته كان هادئا ،رخيما يبعث بالراحة

لنفسها وبقيت هى تستمع لقرائته ساكنة

حتى رفع أنظاره ولا حظ أنظارها المرتكزة

عليه بعمق وقال :

-هل أصبتك بالملل ؟أم أنك لا تحب

كتابات يوسف السباعي

هزت رأسها نافيتها وأردفت:

الأخر فقد انسدل جفنيها وغاصت بنوم
عميق

ومرت الأيام واستعادت عافيتها رويدا رويدا
ولم يخلف هو موعدهم قط

حتى ذلك اليوم الذي تلقى فيه إتصالا
تليفونيا من السفارة اليابانية تخبره بموعد
جديد عليه أن يلتزمه إن كان يود حقا
الالحاق بوظيفته التي لحسن حظه لا زالت
شاغرة

تلقى المخابرة وعادت السعادة تملئ جوانب
حياته

- صوتك باعث على الإسترخاء للغاية

شعر بإحراج وقال :

-وهل هذا أمر جيد أم سيئا بقدر ما أشعر؟

حدقت به وتساءلت داخلها لم أمر بقاءه
لجوارها على قدر ما يعد أمرا غريبا إلا أنه في
ذات الوقت مريحا

بل وكأنها تشعر أنها معتادة عليه منذ زمن
بعيد

لم تكن بحاجة لإجابة ولم تنتظر واحدة
ولم يتوقع هوا أن يحصل على إجابة هو

لم يشعر بأن هناك شيئاً خاطئاً وراء شرائه
خاتم زواج إلى جانب باقّة الأزهار التي لم
يكف عن حملها يوماً
بل شعر أنه هذا التوقيت المناسب لفعل ذلك
غداً تغادر المشفى وقد وعدّها بإصطحابها
لفندق كما طلبت منه
أخبرته أنها انفصلت عن زوجها وأن مسكنها
قد احترق منذ زمن بعيد ولم تهتم بإصلاحه
ولذلك ليس لديها مكان لتأوى إليه
شعر بالسعادة يوماً

لقد تأخر فقط بعض الوقت عن اللحاق
بوظيفته التي كان يحلم بها
وفي ذلك الوقت تخلص من امرأة حمقاء
كانت تبعث بالجنون والحقد وتعيث بحياته
فساداً بتحكماتها الخرقاء
والآن يشعر أن أخرى اقتحمت بالفعل حياته
وتمكنت منها في وقت قصير وفي هدوء
شديد
بقي فقط أن تختار

وحياته المقبلة تخضع

لاختيار امرأة

.....

طنين أصاب أذنيها وبريق الخاتم أعمى

أنظارها

لم الرجال دوما هكذا ؟

يقتحمون حياتها في وقت تكون هي أضعف

مايكون

هشة كفصن قديم في مهب الريح

فهذا الجاحد الذي يترك زوجته ورائه فاقدة

للوعى بالمشفى لا يستحق أن يكون رجلا

بالأساس وفقدانه لهو مكسب في حقيقة

الأمر

اليوم تقرر

اليوم تختار

اليوم لديه أمل عارم بأن يقوم بحجز

تذكرتى سفر وليس واحدة

اليوم يرتجف وبشدة

فمصيره ،

عالاته

عادت شاهنדה للاتصال بها ورجائها بالعضو
عنها وعن أختيها وانقاذ صغيرتها من موت
محقق

وهذا المحامي البارد زارها في الصباح الباكر
مرة أخرى يريد ترتيب لقاء قريب بينها وبين
زوجها السابق واللقاء غير شامل رؤية الصغير
حتى يتوصل كلاهما لاتفاق

دعكت جبهتها وجلست بتعب على طرف
الفرش وبقى محلقا بأنظاره فوق رأسها
المحنى

ودقات قلبه تعلن الهزيمة

أغلق العلبة المخملية ووضعها بجيبه واقترع
منها وقال :

-إيما أعلم أنه جنون، الوقت وطريقت
تعارفنا...

ثم اقترب منها ورفع ذقنها وهمس لها :

ولكنك ستدسدينى صنيعا لن أنساه طيلت
عمرى إن وافقت على الزواج منى والسفر معى
لليابان

اتسعت عيناها ورددت خلفه :

-اليابان !!

اندفع قائلا :

ولكن بقيت ذرة مسئولية تجاه مصيرها
تشعره بضرورة التدخل وحتى وان كان
تدخلا غير لائقا

فهو الآن رسميا بخانة العشيق ويقف أمام
الزوج مطالبا بمكان تواجدها بسؤال قاطع:

- أين إيما ؟

.....

- فقط لستين بعدها سنعود

.....

في عالم مواز

يقف الرجلان متقابلان

الزوج

والآخر

الذي أصبح الآن يدرك أن مشاعره لا ترقى

أبدا لكونها حبا وعشقا

فمعاني الحب أسمى بكثير

الخاتمة

لم تشعر بأنها مرت بليلة صعبة كتلك من
قبل

حتى بأسوء إختياراتها

وكانها أصبحت فجأة مسئولة إما عن سعادة
رجلا ما

أموت أخت ما

والأهم حياة طفلها

طفلها الوحيد

وتجسد الإختيار لها صباحا بعد أن أتمت
إجراءات خروجها من المشفى

ووقفت أعلى الدرج الرخامي تراقب الطريق
من وراء البوابة المعدنية بأعين توارت خلف
نظارة شمسية لاداعي لها تحت سماء
نوفمبر المكفهرة

شاهندة تقف وراء باب المشفى المعدني
ولا زالت متشحة بالسواد والدموع تنهمر من
عيناها ولا تتوقف وكلما تخطت درجة
للأسفل كلما استطاعت رؤية الدموع
والنشيج وصل لأذنيها وهي تخبرها صارخت
بصوتها اللعين :

ستموت ابنتى إيما ولن أسامحك أبداً

وأكمل يهب من مقعد سيارته فقد كان لا زال

على وعده بتوصيلها للفندق أيا كان قرارها

والمحامى البارد يقترب من باب المشفى حاملاً

حقيبتة التى قلما تفارقه

وآخر غاب لفترة طويلة حتى أنها نستة

سقط من ذاكرتها ومحتة

وعليها الآن الإختيار...

واختارت

بل انها حتى لم تتردد

تماما كالسابق

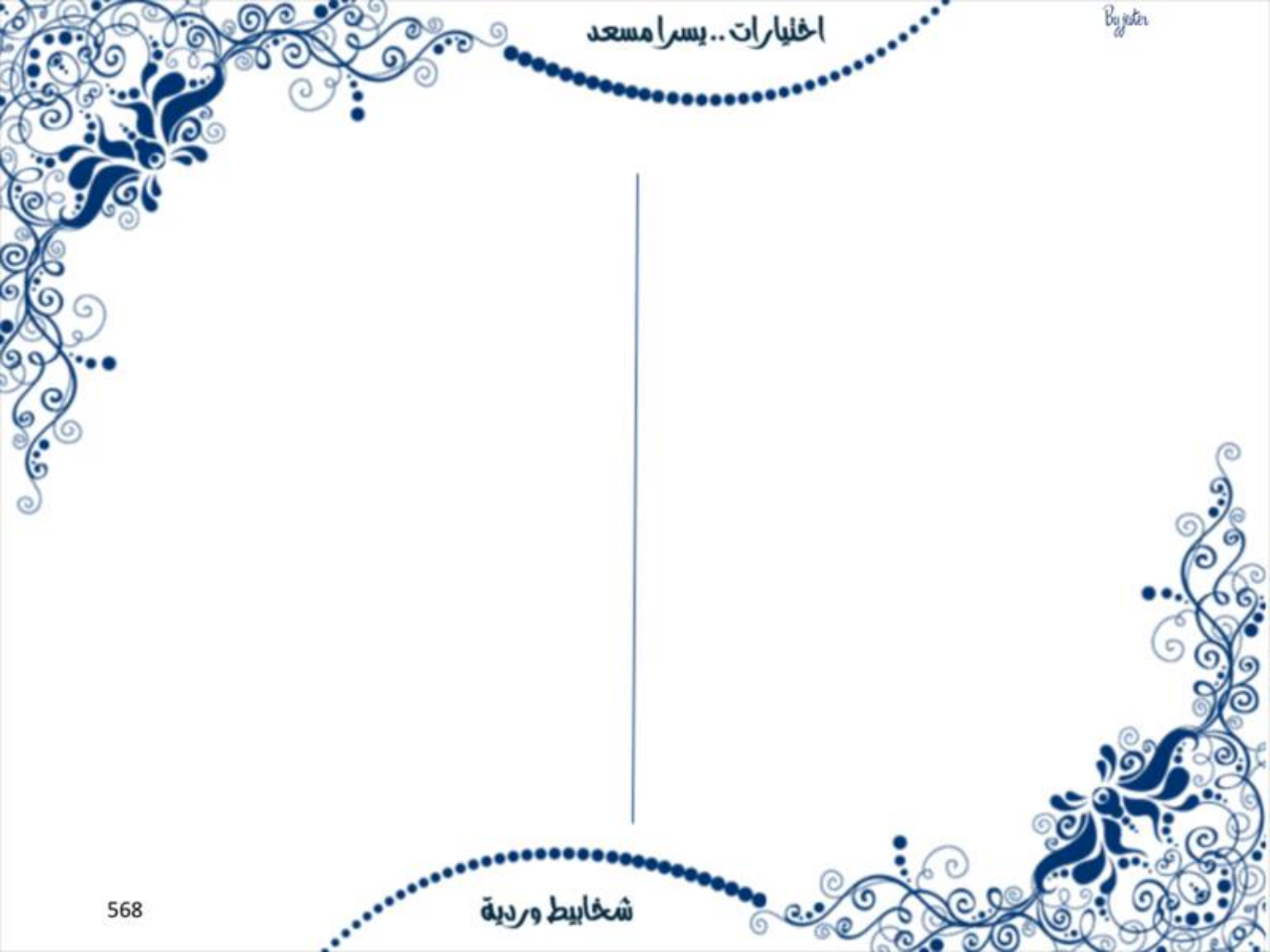
وكان هذا عهدا بالاختيارات

قرار حاسم وسريع

وهمست لئفسها ساخرة :

-وبعدها يأتى الندم

تمت



اختيارات.. يسرا مسعد

